دِيوان

سَيِّدْ قُطُبْ

جمعه ووثقه وقدم له

عبد الباقي محمد حسين



جمعه ووثقه وقدم له

عبد الباقي محمد حسين

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـــ ١٩٨٩ م

صححه وضبطه وفسّر غريبه

لجنة النشر بدار الوفاء

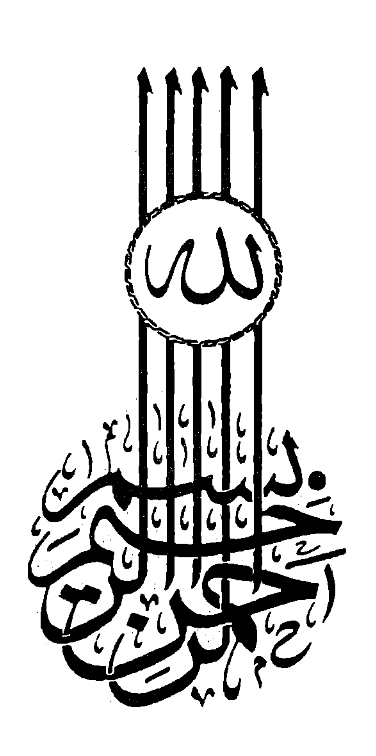




الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ .... ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٥١٨ / ٣٩٢٤٦٠٦


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

أخـى أنْتَ نَفْسِى حينما أنْتَ صُورَةٌ

لآمَـالِىَ القُصْـوى التى لَـمْ تُشَـارِفِ

سيد قطب

الإهداء[1]

« أخى » ذلك اللفظُ الذى فى حروفِه
رُموزٌ ، وألغازٌ ، لِشتىٰ العَواطِفِ
« أخى » ذلك اللَّحْنُ الذى فى رَنينِه[2]
تَرانِيمُ[3] إخلاصٍ ، وَرَيًّا[4] تَآلـفِ
« أخى » أنت نَفْسِى ، حينما أنتَ صُورةٌ
لِآمَالِىَ القُصْوىٰ التى لم تُشارِفِ[5]
تمنيتُ ما أعيَا المقاديرَ ، إنما
وجدتُكَ رَمزاً للأمانِى الصَّوادِفِ[6]
فأنتَ عَزائِى فى حياةٍ قصيرةٍ
وأنتَ امتدادِى فى الحياةِ وخَالِفى
تَخِذْتُك لى ابناً ، ثم خِدْناً[7] ، فياتُرىٰ
أعيشُ لأُلْقى منكَ إحساسَ عاطِفِ ؟
على أيّما حالٍ أراكَ مُخَلِّدِى
وباعثَ أيام العِذَابِ السَّوالِفِ
فدونَكَ أشْعارِى التى قد نَظَمْتُها
لِتبقىٰ على الأيامِ رمزَ عواطِفى

---

١ ــ إهداء ديوانه الشاطىء المجهول .
٢ ــ الرنين : الصوت .
٣ ــ ترانيم : كل ما استُلِذَّ صوته ، والمراد إخلاص عن رضا وقبول دون هدف أو غرض .
٤ ــ رَوِى من الماءِ رَيًّا : شَرِبَ وشبع ، والمراد تآلفٌ صافٍ محبوبٌ .
٥ ــ شَارَفه : فاخره فى الشرف .
٦ ــ الصوادف : المراد الأمانى التى تنتظر دورها كما جاء فى لسان العرب .
٧ ــ خدنا : صديقا .

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الديوان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

وبعد .

فملكة الإبداع الأدبى عطاء من الله ، يهبه لمن يشاء من عباده ، ولهذا سميت موهبة ، وهى تكمن فى القدرة على استخدام اللغة استخداما جميلا قادراً على حمل الأفكار والمشاعر .

إن الأديب يرى الكون والحياة رؤية متميزة خاصة ، وتتوفر له القدرة على التعبير عن هذه الرؤية تعبيراً دقيقاً وجذاباً . فإدراك الحياة والقدرة على التعبير عن هذا الإدراك سمتان لازمتان للأديب .

والمواهب كثيرة ومتنوعة ، والله أعطى لكل مخلوق موهبة خاصة به ، ولكن المواهب تتفاضل ولا تتساوى ، ويقع الإبداع الأدبى فى أعلى المنازل ، والشعر فى أرقى مراتب الإبداع ؛ لأن الأصوات تتآلف فيه وتترابط فى إيقاع جميل تطرب له الآذان ، وتهتز له النفس والمشاعر ، وتلك مزيته . وهو من المواهب النادرة التى لا يُلَقَّاها إلا القليل ، فمن رُزِقَه بلغ به مقاماً عالياً ، وأصبح موضع إعجاب وإكبار ؛ ولهذا كانت نظرة العرب للشاعر قديما على أنه من طينة الجن ، يأتى بما لا يقدر عليه غيره ؛ فقدموه على كل أفراد القبيلة ، واعتبروه ضرورة من ضرورات العيش فى الحياة ، حتى أن القبيلة التى لا شاعر لها كانت تُعيّر ، وتبقى فى المؤخرة حتى يخرج من بين أبنائها من يعلى شأنها ، ويرفع ذكراها .

وموهبة الشعر عطاء تحفه الفتنة والغواية من كل جانب ، مثل فتنة المال والصحة والولد ... ولا يقدر عليها إلا من خشى الرحمن وجاء بقلب منيب ، وهذا

يتفق فى أساسه مع حكمة الخلق : من العبادة والطاعة مع القدرة على المعصية والغواية : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلبٍ ينقلبون** ﴾(١)

إذن الشعر عطاء ، مسئوليته عظيمة فى توجيه الناس إلى الحق والتعرف عليه ، وتربية أذواقهم ، وتعظيم الفضائل ، وتحقير الرذائل وأهلها ، وترقية الحياة والنهوض بها إلى المستوى الذى أراده الله لبنى آدم ... ولنا فى القرآن الكريم وهو نص عربى مبين آية فى الإبداع الأدبى والبيان اللغوى ، ترشد الناس إلى الحق ، وترسم لهم منهجا فى الحياة متكاملاً . إن دور الشاعر فى ريادة الناس وتهذيب مشاعرهم وأذواقهم لا يُنكر إذا أدرك حدود هذه المسئولية وتبعاتها ، وهذا لا يتأتى إلا أن يكون لديه إيمان قوى وتصور جلى عن الحياة والناس والكون ، ينبع من عقيدة صحيحة قويمة ، تعصمه من الزلل ، وتحدد معه الغاية وترسم له الهدف . والإسلام ـــ كعقيدة ـــ « لا يحارب الشعر والفن لذاته كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ فى الآية الكريمة السابقة ، إنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن ، منهج الأهواء والانفعالات التى لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام المهومة التى تشغل أصحابها عن تحقيقها » .

وحدود هذه المسئولية متفاوتة ، كشف الرسول الكريم ﷺ عن بعض ملامحها حين قال لحسان بن ثابت : « اهجهم وروح القدس معك » ، بينما فهم لها حدوداً أخرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الموقف التالى : « ذكر محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد فى الطبقات أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة ، وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها
بميسان يسقى فى زجاج وحنتم(٢)
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية
ورقاصة تحدو على كل مبسم

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٤ ـــ ٢٢٧ .

(٢) الحنتم : الجرة الخضراء .

فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى
ولا تسقنى بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إى والله إنه ليسوؤنى ذلك ومن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وكتب إليه عمر : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾[1] أما بعد فقد بلغنى قولك !

لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا بالجوسق المتهدم

وأيم الله إنه ليسوؤنى وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال : والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شىء طفح على لسانى » .

نعم لم يتعاط النعمان بن عدى الخمر ولكن الشعر غلبه وطفح على لسانه ، وتلك هى الفتنة التى تتطلب عزيمة وإرادة تكبحها وتردها إلى صوابها ، لا سيما إذا كان صاحبها فى موضع المسئولية يرعى شئون البشر كما كان النعمان .

إن الكثير من أصحاب المواهب ــ وعلى رأسهم الشعراء ــ تغرهم مواهبهم ، فلا يؤدون حقها ، ويخونون أمانتها ، فيسعون بها سعيا أنانيا محصورا ، ويشترون بها ثمنا قليلا ، فيفقدون ذواتهم ، وتمسخ صورهم . يوماً يكتبون عن الحق فتجد لكلماتهم بريقا وأسلوبهم حلاوة فتحسبهم من أهله ، وآخر يكتبون عن الهوى والباطل فلا ترى فيهم إلا شياطينا ، فترتد إلى نفسك يائساً ضائعاً .. وهؤلاء قد لا يريدون الإفساد لذاته ، ولكن الفساد يأتى تبعا لهواهم وشهواتهم ..

وهناك نوع آخر من ذوى المواهب يُلبِس الباطل ثوب الحق ، ويمتطى صهوة الإصلاح متجها إلى الفساد والفاحشة ، ويعجبك قوله ولكن إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، وهؤلاء أشرهم .

(١) سورة غافر : ١ ــ ٣

دار حوار بينى وبين أحد الزملاء المهتمين بالأدب عندما بالغ فى إطراء شاعر ماجن من شعراء العربية ، ووصفه بأنه أسوة تتبع ، ومثل يحتذى فى الشجاعة وتخليص الناس من الهوان ، لأنه كتب قصيدة سياسية يعرى فيها حكام الأمة العربية ويفضح سيرتهم . فقلت لصاحبى إن هذا الشاعر الذى زدت فى مدحه سبب من أسباب الهوان الذى ينتقده فى أمة العرب ، سواء فى اتجاهه الفكرى والسياسى أو مضامين شعره الأخرى التى تفيض بالإباحية والفجور ، وإلى عهد قريب كان صاحب رأى وشأن ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لما أصابه ، وأنه لو ملك زمام الأمور لمال بالناس فى مستنقع الفساد ميلا شديدا . وأضفت إننى لا أحاسبه لأنى لست إلهاً ولا ولى أمر وكل نفس بما كسبت رهينة ، ولا أنكر عليه شيطان شعره ، ولا أنقصه حقه فهو شاعر ، وأن له الحق فى أن يغار على أمته وأن يحزن لهوانها .. ولكن ينبغى أن تزن الأمور بميزان واضح ، وتكون الصورة أمامنا عند السماع لهؤلاء بينة : هو شاعر . نعم . وقصيدته جيدة موافق . لكن لا ننسى أن مثل هذا الشاعر ليس هو المرتجى للخلاص من الذل والضياع الذى عليه الأمة ، وليس هو الأسوة التى نقتدى بها ، ولا المثل الذى نضربه للناس . يجب أن يكون هناك وضوح فى الرؤية والكلمة ، وأحيانا يكون الصمت أبلغ فى الإصلاح من الكلام ، وإلا كان ذلك دليل عجز وهزيمة حيث صرنا نهلل ونعتقد فى كل من هب ودب . إنها الفتنة ، فتنة الموهبة التى تنطلى على خاصة الناس وعامتهم !!

وسيد قطب سبقت لنا دراسة نشرت عن حياته وتراثه الأدبى ، وتناولت بشىء من التفصيل شعره وملامح شاعريته ، وانتهت إلى عدة حقائق هى :

سيد قطب شخصية سوية التكوين ، متماسكة البناء ، نمت نموا طبيعيا بعيدا عن الشذوذ والمفاجآت ، وجاءت نهايتها أمرا محتمل الوقوع فى مثل ظروف العصر الذى عاش فيه . له قلب كبير ، وهمة عالية ، وشهامة فى الطباع ، ونفس ودودة ، وهدوء فى الملامح ، وحديث جذاب ، وقلة فى الكلام ، وصوت منخفض ... ولا أدل على نبله وحنانه من أنه وهب حياته لأسرته ، يرعاها ، ويتكلف فى سبيل ذلك الشىء الكثير ؛ فلم يتزوج حتى لا تشغله الزوجة أو الأولاد عن تلك المهمة التى وجد نفسه مسئولا عنها . ويتعدى عطفه وكرم شمائله دائرة أهله الأقربين إلى الناس

الآخرين من حوله . يروى الأستاذ محمد خضير[1] ، وكان من تلاميذ سيد قطب فى تحضيرية الداودية سنة ١٩٣٣ : أن سيد قطب ــ رحمه الله ــ كان يرعى الفقراء من التلاميذ ، يشترى لهم الكساء ، ويدفع لهم النفقات ، وأنه كان رحيم القلب حانى النفس . ويؤكد هذا أيضا الأستاذ زاهر حميدة[2] فيما يحضره من صفات سيد قطب قائلا : « كنت أيام الطلب رقيقْ الحال ، لا تفارقنى الحاجة ، وكانت اللحم بالنسبة لى وبعض الزملاء الآخرين شيئا عظيما ، ثم رزقنا الله بصحبة فتحى بن أخت سيد قطب عليه رحمة الله ، فلم يتردد فى أن يذكرنا عند خاله ، ويعود لنا منه بدعوة مفتوحة إلى بيته ، فصرنا نذهب عندهم كل يوم جمعة لنصيب من طيب الطعام ما لم نقدر عليه ، بل اتخذنا البيت مثابة نهرع إليه كلما ضاقت بنا السبل وعز علينا العيش » . إن سماحة النفس تلك ولين الجانب هذا استعداد واكتساب ، استعداد وهبه الله له ، واكتساب أخذه من البيت الذى نشأ فيه ، فلقد كان والده ــ رحمه الله ــ كريم النفس جواداً ، وقورا رزينا ، رحيما عطوفا ، لين الجانب حى القلب ، ديِّناً فى سلوكه وأخلاقه .

سيد قطب أديب شاعر يملك الموهبة ، موهبة الإبداع والتذوق ، وإن هذا العطاء الإلهى هو الذى فرّخ لنا سيد قطب صاحب الظلال والتصوير الفنى ومشاهد القيامة فى القرآن . إن التذوق الرفيع للغة ، والتعبير الجيد عنه هو السمة البارزة التى تميز بها الرجل وجعلت لفكره جاذبية وتأثيرا ، يضاف إلى ذلك إيمانه القوى بفكره والتزامه بكل ما يصدر عنه ؛ ولهذا نسمعه يقول : « إن الفكرة شيء جميل قيم ثمين ، لكنها لا تؤثر إلا حين ينبض بها الشعور من الداخل حتى لينساها الفكر الواعى ، حتى لتكون جزءا من حياة صاحبها » .

« إن السر العجيب ــ فى قوة التعبير وحيويته ــ ليس فى بريق الكلمات وموسيقى العبارات ، وإنما هو كامن فى قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء الكلمات ، وأنه فى ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية ، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس » « **إن كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان ، أما الكلمات التى وُلدت فى الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصل**

---

(١) مهندس بالمعاش .

(٢) مدير عام شئون الأفراد بوزارة التربية والتعليم .

بذلك النبع الإلهي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرًا واحداً إلى الأمام، وأن أحداً لن يتبناها، لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات ... » لقد فهم سيد قطب أمانة الموهبة والكلمة، وعلم أن الصدق فيها أمر ضروري للتأثير والتعبير، فنجده يقول: « **إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيرا، ولكن بشرط واحد أن يموتوا لتعيش أفكارهم، وأن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم، وأن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق.**

إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة، حتى إذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء ».

ويتوجه بالنصيحة إلى أصحاب المواهب: « فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم، يكدون قرائحهم لينتقوا اللفظ الأنيق، وينمقوا العبارة الرنانة، ويلفقوا الأخيلة البراقة، إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة: وفروا عليكم كل هذا العناء؛ فإن ومضة الروح وإشراق القلب بالنار المقدسة، نار الإيمان بالفكرة هو وحده سبب الحياة، حياة الكلمات وحياة العبارات ».

سيد قطب يعطينا مثلا للأديب الذى غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب كى يحقق ذاته وأمله. الأديب الذى تحددت معالم نفسيته فى الوضوح والصراحة والمجابهة والثبات على الفكرة التى يؤمن بها مهما كانت النتيجة. فلا نجد من سماته المكر أو الدهاء، ولا من قيمه الازدواجية أو الانتهازية. الأديب الذى اتصل بالعقاد ليستفيد فى وعى واتزان واستقلالية تحفظ عليه كيانه وتحقق ذاته.

الأديب الذى لم تفتنه الحضارة الغربية عن الصواب وإدراك ما فيها من خير وشر، وحق وباطل، وزيف وضلال، بل منحته فرصة المقارنة بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي الصحيح، وكانت النتيجة أنه آمن بالأخيرة عن يقين وثبات، ونقد الأولى وهاجمها انتقاد خبير وهجوم بصير. الأديب الذى استطاع بالكلمة المكتوبة الصادقة أن يؤثر ويوجه الكثير من الرجال والشباب الذين التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التى أحاطت بهم. الأديب الذى قدم حياته فى سبيل الدعوة التى آمن بها.

لقد حققت الدراسة السابقة شعره تحقيقا دقيقا ، وتناولته تناولا موثقاً ، يقوم على الإحصاء والتسجيل ، وتحدثت عن روافد شاعريته ، وطبيعة البيئة التى نشأ فيها ، والظروف التى أحاطت به ، ونوعية المعارف والعلوم التى تركت بصماتها عليه . كما صنفت شعره حسب الموضوعات التى يعالجها ، وخرجت من تحليلها لتلك الأغراض إلى نتائج هى :

خلو شعر سيد قطب من المدح والفخر والهجاء ، بعده عن الغزل الحسى الفاحش ، الذى يصدر عن شهوات النفس وملذاتها وعبث الشباب ومجونه ، ويتركز حول وصف مفاتن المرأة الجسدية، والحديث عن لقاءاتها المحرمة .. على العكس من ذلك تماماً نجد فى غزله الحب الطاهر العفيف ، الخالد الذى يرتفع ــ كما قال ــ بالإنسان عن خطل الجسم إلى عالم النور والضياء . بل نجد نوعاً آخر من الحب ، حيث يحدثنا عن نفسه كواحد من شعراء الشباب فى مقالة كتبها فى مجلة الأسبوع سنة ١٩٣٤ ، فيقول : « نفسه خيرة محبة ، يغمر الحنان جوانبها تريد ــ لو استطاعت ــ أن تبسم لكل شيء وأن يبسم لها كل شيء ، وهى تعشق الرضا والهدوء وتتلمسه فى كل ناحية وفى كل مظهر من مظاهر الحياة ، وتود لو كانت الحياة منبسطة هادئة لا عوج فيها ولا نتوء .

تصطدم هذه الطبيعة بالواقع فتحار وتتألم وتشكو ، وقد تغضب وتنفعل ، وقد تسخر وتهدد بالانتقام ، ولكنها مع ذلك تحتفظ بخيرها وحنانها فى أشد ساعات الغضب والانفعال والسخرية ، وهى تود ألا تغضب وألا تنفعل فى يوم من الأيام ، حتى إذا انتهى ذلك الموقف عاد إليها حنانها ، وعادت تبحث عن مظاهر الود والمحبة بحث اللاهث المستزيد .

وكل ذلك فى غرارة بريئة مندفعة فى رضاها وسخطها على السواء ، وفى طفوله كبيرة لاتخرج منها إلا وهى تحن إليها ، وتسخط على الحوادث والتجارب التى فجعتها فيها .

ولو تهيأ لصاحبنا أن يتخيل الكون من جديد ما أحسبه كان يتخيله إلا حدائق ومتنزهات تجرى من تحتها الأنهار ، وتغرد فيها الأطيار ، وتجمع فيها الأصدقاء والخلان والمحبون للتناجى والسمر الهامس اللطيف ، ولا ضجيج ولا اضطراب ، ولا تجنى

ولا تزاحم فى ذلك النعيم المقيم .

وهذا الحب الذى يخفق به قلب شاعرنا ليس مقصورا على حب المرأة ولا حب الأصدقاء ، وما أردت ذلك فقط حين قلت إن نفسه محبة ، وإنما قصدت إلى معنى أشمل هو معنى الحب العام الذى يغمر النفوس ، فلا يدع فيها مكانا للبغضاء أو الحقد ، والذى يجعلها نزاعة أبدا إلى الاجتماع والعطف ، وتلقى كل مظهر من مظاهر الحياة بنوع من القبول والرفق ، فهو يود لو يشمل الكون جميعه بالحنان ، وأن يشمله كل شيء فى الكون بالحنان كذلك ، يكون بينهما تعاطف وتراحم وتواد ، وهذا الحب يظهر فى حب المرأة ، أو فى حب الأصدقاء ، أو حب العهود الماضية والدروب البالية ، والأشجار الناضرة الذابلة ، والطيور المغردة والنائحة .. فيكون كل أولئك منصرفاً لذلك الحب الشامل ومظهراً له ، لا تستوعبه ، ولكن تدل عليه ، لأنه أكبر من أن ينحصر فى بعضها أو فيها جميعها :

هو قلب ما درى كيف السرور   لا ولا كيف يرائى أو يخون
يحفظ الود وحاشا أن يجور   ولكَم يبكى لمرأى البائسين

وهو قد يصبر ويتجلد حين يصاب فى نفسه ، ولكنه يأسى لمصاب غيره ، لأن هذا المصاب ، يهيج فيه عاطفة الحنان الدفينة :

عجبت لنفسى لا تراع من الأسى   ويقتلها خطب ينيخ على غيرى
ويا ربما أبكى لمن خلت بائساً   على حين يقضى ليله باسم الثغر

والقارىء لهذا الشاعر يجد حب المرأة ، وحب الصديق ، وحب الطبيعة — ولا سيما الأشجار والأطيار — وحب الذكريات والعهود والأطياف ، وكل ذلك يسير معاً فى تيار واحد ، وبقوة تكاد تتماثل لأنها جميعها ترجع إلى معين واحد وهو معين الحب العام فى تلك النفس الحانية الرءوم »

ويقل الرثاء فى شعر سيد قطب ، مخافة أن يندرج تحت اسم (شعراء المناسبات) ، وقلّت وطنياته للسبب نفسه ، ولسبب آخر هو الكبت الذى فرضه المحتل ، وقلة الأعمال البطولية والوطنية التى تحرك قرائح الشعراء وتلهب مشاعرهم .

إن شعره فى مجمله يقدم صورة فعلية للشباب الذى تلتهمه الحياة المعاصرة

بواقعها المر ، الشباب الممزق الذى تداعبه آماله وطموحه ، ويرده واقع الحياة خائبا خاسرا ، فيسقط فريسة الضياع والتمرد والشكوى ، ويبحث عن نفسه هنا وهناك ، فيضل وينحرف ، ولا ينجو من ذلك إلا من رحم . وهنا يأتى دور العقيدة الصحيحة التى تعصم الإنسان من الزلل وتبصره بذاته وغايته .

وأشير إلى مسألة مهمة هى : **ليس فى أدب سيد قطب ما يشين أو يشكل مغمزًا فى حياته، أو يضع من قدره كعلم بارز فى الفكر الإسلامى المعاصر ، أو يحط من جهده فى مجال الدعوة والإصلاح.. حتى نسمع كثيراً من التحفظات حول نشر تراثه الأدبى** ، بدعوى أن سيد قطب قد تبرأ منه وتخلى عنه ، والحقيقة أن كل هذه التخوفات لا مبرر لها ولا دليل عليها . **فهذا التراث ليس فيه ما يعارض تراثه الإسلامى أو ينقضه**، وما هو إلا نتاج مرحلة من حياة الرجل عبرت عنه تعبيراً صادقا ، ولا يمكن إسقاطها حين نريد أن نعطى صورة متكاملة عن مبادئه ؛ بواعثها ومكوناتها . زد على ذلك أن لهذا التراث أهمية بالغة فى حياة سيد قطب بعد ذلك ، فهو ــ كما ذكرت ــ يمثل الأساس الذى كونه وأكسبه كثيرا من التجارب فى الحياة والتذوق والفكر ، **ولولاه لما كان « لظلاله » أثر ، ولا « لمعالمه » وضوح .**

لم يرد نص مكتوب ولا نقل موثق عن سيد قطب يفيد تخليه عن أدبه ، وكان بإمكانه هذا ، وإذا كان الناشر لكتابه « فى ظلال القرآن » قد أعرض عن ذكر مؤلفاته الأدبية وأسقطها من قائمة إنتاجه قائلاً « ليس فى النية إعادة طبعها للشعور بأنها قد أدت دورها فى حينها ، ولم يعد لها إلا الاعتبار التاريخى . وبعضها مما يحتوى آراء أو اتجاهات للمؤلف تبين له خطؤها فعدل عنها » أقول : هذا اجتهاد من الناشر لم يوح به أحد إليه ، وهو اجتهاد غير دقيق ، لأنه أثبت فى القائمة كتابى : التصوير الفنى ، ومشاهد القيامة وهما من الكتب الأدبية . وإذا كنت متفقاً معه فى أن تراث سيد قطب الأدبى قد أدى دوره فى حينه ، فإن هذا ليس معناه التخلى عنه أو التبرؤ منه كما يشاع ، بل أُومن بأهمية حفظ هذا التراث ومناقشته وإبراز أهميته ، وقد لا يكون هذا ضروريا لمن عاصروه وعاشروه عن قرب ، بل هو مهم للأجيال القادمة التى ستتمنى ــ يوما ــ سيرة واضحة لحياته ورصداً كاملا لأعماله ، كما نطلب نحن آثار من سبق من العلماء ، ونأسى لضياع شيء ولو كان يسيراً . **وخلاصة الأمر : أن سيد قطب لا يضره أبداً أن كان يوماً أديباً أو شاعراً .**

ولقد سبق دراسة شعره دراسة فنية مفصلة ، أبرزت ملامح تجربته الشعرية فى الشكل والمضمون ؛ فعالجت : بناء القصيدة ، اللغة ، الصورة الشعرية ، المفارقة التصويرية ، الخطابية والمناجاة ، وأخيرا الموسيقى الشعرية المستخدمة . وانتهت إلى أن شعر سيد قطب يغلب عليه الوجدان وتميزه العاطفة ، إذ ينتمى إلى جيل الشباب ، جيل : إبراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، والهمشرى ، ومحمود حسن إسماعيل ... الجيل الذى تلا أوائل النهضة المعاصرة ، جيل البارودى وأحمد شوقى والرافعى والعقاد ... ولا عجب أن نجده محافظا على منهج الأقدمين خاصة فى رثائه وقصائده الوطنية ، ومجددا على منهج العقاد فى تأمله ووصفه .

وديوان سيد قطب الذى نقدمه اليوم متمم للدراسة التى سبقت ، وهو ملحق لها ، ويشتمل على كل شعره سواء ما أخرجه هو فى ديوان « الشاطىء المجهول » ، أو ما أمكننى جمعه من الصحف والمجلات ، ولم ينشر فى ديوان . ويشكل ديوان « الشاطىء المجهول » حوالى نصف إنتاجه كله تقريبا ، وما جمعته يشكل النصف الباقى أو يزيد قليلا .

نشر ديوان الشاطىء المجهول فى يناير ١٩٣٥ ، حجمه من القطع الصغير ١١ سم × ١٤ سم وعدد صفحاته ٢١٠ صفحة ، ويبدأ بالإهداء الشعرى التالى :

« أخى » ذلك اللفظ الذى فى حروفه ... رموز وألغاز لشتى العواطف

« أخى » ذلك اللحن الذى رنينه ... ترانيم إخلاص ، وريا تآلف

« أخى » أنت نفسى ، حينما أنت صورة ... لآمالى القصوى التى لم تشارف

تمنيت ما أعيا المقادير ، إنما ... وجدتك رمزاً للأمانى الصوادف

فأنت عزائى فى حياة قصيرة ... وأنت امتدادى فى الحياة وخالفى

تخذتك لى ابناً ، ثم خدناً ، فيا ترى ... أعيش لألقى منك إحساس عاطف ؟

على أيما حال أراك مخلدى ... وباعث أيامى العذاب السوالف

فدونك أشعارى التى قد نظمتها ... لتبقى على الأيام رمز عواطفى

وينتهى بالتصويبات ، وله مقدمة نثرية كتبها سيد قطب بنفسه آثرنا أن نوردها فى مكانها كما هى لأهميتها .

ويشتمل الشاطىء المجهول على أربعة أجزاء : ظلال ورموز ، صور وتأملات ،

غزل ومناجاة ، ووطنيات . ويضم سبعا وخمسين قصيدة ، وخمس مقطوعات ، مذيلة بأعوام إنشائها ، وأقدمهـا مقطوعـة من ثلاثـة أبيـات بعنـوان « وردة ذابلـة » مؤرخـة بعام ١٩٢٥ م وأحدثها مؤرخـة بعـام ١٩٣٤ ، وأطـول قصيـدة سـتون بيتـا ، وهـى قصيـدة « السر أو الشاعـر فى وادى الموتى » ، وأقصر قصيـدة عشرة أبيـات مثـل « ابتسامة ، وخراب ، واللغز .. » .

وهذه قائمة بقصائد ومقطوعات « الشاطىء المجهول » بنفس ترتيبها فيه ، مع عدد أبيات كل قصيدة ومقطوعة ، مع تاريخ إنشائها ، مع الإشارة إلى ما يكون قد نشر منها فى الصحف والمجلات :

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات علاوة على الديوان
١	إلى الشاطئ المجهول	١٨	١٩٣٤	
٢	الشعاع الخابى	٢٨	١٩٣٢	أبولو . نوفمبر ـ ١٩٣٢ . ص ٢٣٣
٣	خراب	١٠	١٩٣٢	
٤	فى الصحراء	٣٦	١٩٣٢	الرسالة . سبتمبر ١٩٤٥ .ع ٦٣٧. ص ١٠١٥
٥	الإنسان الأخير	٤٠	١٩٣٤	المقتطف ـ ١٩٣٤.م ٨٥ . جـ ٤ ص ٤٣٣
٦	خريف الحياة	١٥	١٩٣٤	
٧	خبيئة نفسى	٢٤	١٩٣٤	الرسالة ـ أغسطس ١٩٣٤.ع ٦١. ص ١٣٨٥
٨	النفس الضائعة	١٨	١٩٣٤	الرسالة ـ سبتمبر ١٩٣٤ . ع ٦٣ . ص ١٥٢٩
٩	الغد المجهول	١٥	١٩٣٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٤ : ع ٦٦ . ص ١٦٦٧
١٠	غريب	١٠	١٩٣٤	
١١	بين الظلال	٢٤	١٩٣٤	
١٢	عودة الحياة	١٤	١٩٣٢	
١٣	البعث	٢١	١٩٣٢	
١١	السر أو الشاعر فى وادى الموتى	٦٠	١٩٣٤	
١٥	سخرية الأقدار	٦	١٩٢٩	
١٦	التجارب	٣٠	١٩٣٤	
١٧	ليلات فى الريف	١٨	١٩٣٣	
١٨	العودة إلى الريف	٢٥	١٩٣٣	
١٩	الليلات المبعوثة	٢٤	١٩٣٣	
٢٠	الجبار العاجز	١٢	١٩٣٣	
٢١	ناحت الصخر	١٦	١٩٣٤	
٢٢	بريشة الشعر	٢٤	١٩٢٨	البلاغ الأسبوعى . مارس ١٩٣٠ . بعنوان (صورة صادقة) والوادى . أغسطس ١٩٣٠ .
٢٣	ابتسامة	١٠	١٩٣٠	

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها في الصحف والمجلات علاوة على الديوان
٢٤	وردة ذابلة	٣	١٩٢٥	
٢٥	العود	١٧	١٩٢٧	
٢٦	عبث الجمال	٢٠	١٩٢٩	البلاغ الأسبوعى . ديسمبر ١٩٢٩ . ع ١٤٢ ص٢٨ بعنوان (دعها تغرد)
٢٧	يوم خريف	٢٥	١٩٣٢	
٢٨	مر يوم	١٤	١٩٣٤	صحيفة العلوم . أكتوبر ١٩٣٤.ع٢.ص٥٦، ٥٧
٢٩	الدنيا	٣	١٩٣٠	
٣٠	هى أنت ؟	١٩	١٩٣٠	
٣١	أحبك	١٣	١٩٣٠	
٣٢	الظامئة	١٥	١٩٣٤	
٣٣	رسول الحياة	١٦	١٩٣٤	
٣٤	لماذا أحبك ؟!	٢٠	١٩٣٤	
٣٥	توارد خواطر	١٥	١٩٣٤	
٣٦	سر انتصارالحياة	١٠	١٩٣٤	
٣٧	المعجزة أو السهم الأخير	١٥	١٩٣٤	
٣٨	اللحن الحزين	١٢	١٩٣٤	
٣٩	الغيرة	٢١	١٩٣٤	
٤٠	مصرع حب: ليلة الشك – اليقين – الجنة الضائعة	٣٦	١٩٣٤	
٤١	الحنين والدموع	٥	١٩٣٤	
٤٢	اللغز	١٠	١٩٣٤	
٤٣	قبلة	١٣	١٩٣٤	
٤٤	داعى الحياة	١٢	١٩٣٤	المقتطف . م ٨٥ . جـ ٣ . ص ٢٩٦
٤٥	تحية الحياة	١٠	١٩٣٤	
٤٦	الخطر	٢١	١٩٣٤	
٤٧	يقظة	٨	١٩٣٤	
٤٨	رقية الحب	١٨	١٩٣٤	
٤٩	الحياة الغالية	١٣	١٩٣٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٦٩ .ص ١٧٨٩
٥٠	الكون الجديد	١٠	١٩٣٤	
٥١	حب الشكور	١٥	١٩٣٤	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٤ . ع ٧١ . ص١٨٦٨
٥٢	عصمة الحب	١٠	١٩٣٤	
٥٣	الانتظار الخالد	١١	١٩٣٤	
٥٤	الحب المكروه	٢٠	١٩٣٤	
٥٥	نكسة	١٤	١٩٣٤	
٥٦	على أطلال الحب	٢٠	١٩٣٤	

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات علاوة على الديوان
٥٧	البطل	٢٤	١٩٣٤	
٥٨	إلي البلاد الشقيقة	١٥	١٩٣١	مجلة الشباب . أكتوبر ١٩٣٨ . بعنوان (فلسطين الدامية) ونقلت بهذا العنوان فى كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث) جـ ٤ . ص ٣٩ .
٥٩	صوت الوطنية	١٩	١٩٣٢	
٦٠	ذكرى سعد	٢١	١٩٣٢	
٦١	مأساة البدارى	١٥	١٩٣٢	
٦٢	طليعة الضحايا	١٧	١٩٣٣	

فيكون مجموع أبيات الديوان ١١٠٣ ثلاثة ومائة وألف

وهذه قائمة أخرى بالقصائد التى وجدتها خارج ديوان الشاطئ المجهول ، مرتبة ترتيبا زمنيا ، وفيها عدد الأبيات ، وأماكن وتاريخ النشر فى الصحف والمجلات .

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات
١	من بالبغى يعتصم (١)	١٠	البلاغ اليومية . ١٦ / ١ / ٢٥
٢	عهد الصفر	١٦	البلاغ الأسبوعى . يناير ١٩٢٨ . ع ٦١ . ص ٧
٣	جولة فى أعماق الماضى	٢٤	البلاغ الأسبوعى . فبراير ١٩٢٨ . ع ٦٦ . ص ٣٣ وأعيد نشرها فى ع٦٩ بعنوان (سبحة فى أغوار الماضى)
٤	وحى الخلود	٢١	البلاغ الأسبوعى . أبريل ١٩٢٨ . ع ٧٣ . ص ٣٤
٥	سعادة الشعراء	٢٥	البلاغ الأسبوعى . مايو ١٩٢٨ . ع ٧٨ . ص ٢٥
٦	هدأة الليل	٢٣	البلاغ الأسبوعى . يونيو ١٩٢٨ . ع ٨١ . ص ٢٦
٧	ليلة	١٢	البلاغ الأسبوعى سبتمبر ١٩٢٨ . ع ٩٤ . ص ٢٥
٨	الماضى	٢١	البلاغ الأسبوعى . يناير ١٩٢٩ . ع ٩٧ . ص ٢٦
٩	بسمة بعد العبوس	٢٠	البلاغ الأسبوعى . فبراير ١٩٢٩ . ع ١٠٢ . ص ٢٦
١٠	عزلة فى ثورة	٣٩	البلاغ الأسبوعى . مارس ١٩٢٩ . ع ١٠٤ . ص٢٧
١١	الصبح يتنفس	٢٠	البلاغ الأسبوعى . ابريل ١٩٢٩ . ع ١٠٦ . ص ٢٧ ثم نشرت فى الوادى بتاريخ ٢٧/ ٨ / ١٩٣٠
١٢	اضطراب خانق	٢٦	البلاغ الأسبوعى . ابريل ١٩٢٩ . ع ١٠٨ . ص ٢٧
١٣	نظرة موحشة	٣٢	البلاغ الأسبوعى . أبريل ١٩٢٩ . ع ١١٠ . ص ٢٧
١٤	هدأت يا قلب	١٢	البلاغ الأسبوعى . مايو ١٩٢٩ . ع ١١٢ . ص ٢٧

(١) لم أتمكن من الحصول عليها .

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات
١٥	زفرات جامحة مكبوحة	١٩	البلاغ الأسبوعى . مايو ١٩٢٩ . ع ١١٤ . ص ٢٧
١٦	طيف	١٨	البلاغ الأسبوعى . يونيو ١٩٢٩ . ع ١١٧ . ص ٢٧
١٧	رثاء عهد	٢٠	البلاغ الأسبوعى . سبتمبر ١٩٢٩ . ع ١٣٠.ص ٢٧
١٨	الصديق المفقود	٣٢	البلاغ الأسبوعى . يناير ١٩٣٠ . ع ١٤٧ ص ٢٧
١٩	صوت	١٥	البلاغ الأسبوعى . مارس ١٩٣٠. ع ١٥٥ ص ٢٥
٢٠	عهد ذاهب	٢٤	البلاغ الأسبوعى . يوليو ١٩٣٠ . ص ٢٧
٢١	الذكرى الخالدة لسعد زغلول	٣٨	الوادى . أغسطس ١٩٣٠ . ع ٤٣ .
٢٢	السعادة حديث الأشقياء	١٥	البلاغ الأسبوعى ١٩٣٠. ع ١٦٦ ص ٢٨ ،
٢٣	عينان	٨	أبولو . مايو ١٩٣٤ . ص ٨٤١ .
٢٤	حدثينى	١٢	الأسبوع . سبتمبر ١٩٣٤ . ع ٣٩
٢٥	خصام	١٦	الأسبوع . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٤٥
٢٦	بيانو وقلب	١٢	الأسبوع . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٤٨
٢٧	الخطيئة	١٠	صحيفة دار العلوم . أبريل ١٩٣٥ . جـ ٤
٢٨	القطيع	٤٠	صحيفة دار العلوم . يونيو ١٩٣٥ . جـ ١
٢٩	إلى الثلاثين	٢٠	المقتطف . مارس ١٩٣٧ . جـ ٣ . م ٩٠ . ص ٣٢٣
٣٠	ريحانتى الأولى أو الحرمان	٢٠	الرسالة . سبتمبر ١٩٣٧ـ ع ٢٢٠ . ص ١٥٤٦
٣١	غنىٍّ ....!!	٢٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٧. ٢٢٤ . ص ١٧٠٩
٣٢	خطى الزمن الوثاب	١٤	صحيفة دار العلوم . أكتوبر ١٩٣٧ . جـ ٢
٣٣	صدى قبلة	٢٠	المقتطف . أكتوبر ١٩٣٧ . جـ٣ م ٩ . ص ٣٢٠
٣٤	عبادة جديدة	١٥	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٧ . ع ٢٢٦ . ص ١٧٨٩
٣٥	وحى جديد	٣٢	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٧ . ع ٢٢٩ . ص ١٩١٢
٣٦	على القمة	٢٥	المقتطف نوفمبر ١٩٣٧ . جـ٤ . م٩١ ص ٤١٣
٣٧	المهرجان	٣٨	صحيفة دار العلوم . مارس ١٩٣٧ . جـ٤
٣٨	تسبيح	١٥	الرسالة سبتمبر ١٩٣٨ . ع ٢٧٣ ص ١٥٩٣
٣٩	فى السماء	١٣	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٨ . ع ٢٧٥ .ص ١٦٧٣
٤٠	حلم النيل	٦	صحيفة . دار العلوم . أكتوبر ١٩٣٨ . جـ٣
٤١	مصرع قصيدة	١٢	الرسالة . ديسمبر ١٩٣٨.ع ٢٨٣ . ص ١٩٩٣
٤٢	موت سوسو	١٥	المقتطف . ١٩٢٠ . جـ٤ م٩٣ . ص٤٦٠
٤٣	وداع الشاطئ	١٥	الرسالة . سبتمبر ١٩٤٠ . ع ٣٧٧ .ص ١٤٨٧
٤٤	أكذوبة السلوان	١٠	الرسالة . يونيو ١٩٤١ .ع ٤١٤.ص ٧٦٦
٤٥	الزاد الأخير	١٥	الرسالة . يوليو ١٩٤١ .ع ٤٢٠ .ص ٩٣٥
٤٦	فى مفرق الطريق	٢٠	الرسالة . أغسطس ١٩٤١ . ع ٤٢٤ . ص ١٠٤٧
٤٧	بين عهدين (العش المهجور / نداء العودة)	١٩	الرسالة . فبراير ١٩٤٢ . ع ٤٥١ . ص ٢٥٠
٤٨	وجوه طريفة	١٤	الرسالة . مارس ١٩٤٢ . ع ٤٥٦ . ص ٣٨٩
٤٩	عاشق المحال	١٤	الثقافة . مايو ١٩٤٢ . ع ١٧٥ . ص ٢٤
٥٠	نوبعة أو شطر من العمر	٤٢	الثقافة . نوفمبر ١٩٤٢ .ع ٢٠٤ . ص ٢٢

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات
٥١	حلم الحياة	٣٢	الثقافة . يوليو ١٩٤٣ . ع ٢٣٦ . ص ٢٤
٥٢	إلى الظلام	١٥	الثقافة . يوليو ١٩٤٣ . ع ٢٣٨ . ص ٢٤
٥٣	الكأس المسمومة	١٥	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٣ . ع ٥٢٩ . ص ٦٦٩
٥٤	نداء الخريف	٤٢	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٣ .ع ٥٣٨ . ص٨٥٨
٥٥	الوادى المقدس	٦٠	الرسالة . مايو ١٩٤٤ - ع ٥٦٦ - ص ٣٩٥ ثم نشرت فى الرسالة . أبريل ١٩٤٦ ص ٤٤٨ بعنوان (وادى الخلود)
٥٦	وحى لقاء	١٤	الرسالة . يونيو ١٩٤٤ - ع ٥٧١ . ص ٤٩٥
٥٧	حلم الفجر	١٥	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٤ - ع ٥٨٨ . ص ٩١٧
٥٨	صدى الفاجعة	١٨	الرسالة . مارس ١٩٤٥ .ع ٦١٠ .ص ٢٥٨
٥٩	انتهينا	٣٠	الرسالة . أبريل ١٩٤٥ .ع ٦١٦ . ص ٤٢٩
٦٠	نهاية المطاف	٢٠	الرسالة . أغسطس ١٩٤٥ .ع ٦٣١ .ص ٨٤٩
٦١	فى ليلة من ليالى الربيع	١٦	الرسالة . أغسطس ١٩٤٥ . ع ٦٣٣ . ص ٩٠٤
٦٢	حلم قديم	١٦	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٥ . ع ٦٤٠ .ص ١١٠١
٦٣	قافلة الرقيق	١٨	الكتاب . يونيو ١٩٤٦ .جـ ٨ . م٢
٦٤	أقدام فى الرمال	١٤	الكتاب أكتوبر ١٩٤٦ . جـ ١٢ . م٢
٦٥	بعد الأوان	٢٠	العالم العربى - جمادى الآخرة ١٣٦٦ .ع ٢ . ص ٥٥
٦٦	جمال حزين	١٠	الفكر الجديد - يناير ١٩٤٨ .ع٤
٦٧	خدعة الخلود	١٥	الأديب ١٩٤٨ . جـ٥ .ص ١٦
٦٨	هتاف روح	١٥	الرسالة . ابريل ١٩٥٠ .ع٨٧٧ .ص ٤٧٢
٦٩	دعاء الغريب	١٨	الكتاب يونيو ١٩٥٠ . ص ٤٩٧
٧٠	هُبَلٌ .. هُبَل	٢٧	فى كتاب (شعراء الدعوه الإسلامية فى العصر الحديث جـ٤ .ص ٤١ تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع ، وحسنى أدهم جرار (مؤسسة الرسالة)
٧١	أخى	٣٢	المصدر السابق كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث) جـ٤ .ص ٤٣

فيكون مجموع قصائد الشاعر خارج ديوان الشاطئ المجهول واحد وسبعون قصيدة ، ومجموع الأبيات ١٤٧٠ سبعون وأربعمائة وألف .

ولقد أشيع أن لسيد قطب دواوين أخرى غير الشاطىء المجهول . والحقيقة أنى لم أعثر على غير الشاطىء المجهول . وأسماء الدواوين التى نسبت له هى : أصداء الزمن ، الكأس المسمومة ، وقافلة الرقيق وحلم الفجر فخبرها كالتالى :

« أصداء الزمن » أغلب الظن أنه قد صدر لسيد قطب ديوان بهذا العنوان ، والدليل

على ذلك أنى عثرت على بعض القصائد فى مجلتى : الرسالة وصحيفة دار العلوم تفيد تذييلاتها أنها من ديوان سيصدر فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ بعنوان : أصداء الزمن ، وعناوين هذه القصائد هى : « عبادة جديدة » ، « وحى جديد » فى مجلة الرسالة ، « وخطى الزمن الوثاب » فى صحيفة دار العلوم . ودليل آخر هو تأكيد الموظف المختص بمكتبة معهد الدراسات العربية العالى الكائن بجاردن سيتى على أن هذا الديوان كان موجودا بمكتبة المعهد ، لكنه فقد فى أيام محنة سيد قطب مع الإخوان .

وأما الكأس المسمومة ، وقافلة الرقيق ، وحلم الفجر فليست إلا عناوين لقصائد نشرها سيد قطب فى مجلتى : الرسالة والكتاب ، ولم أعثر على أى خبر أو أثر يفيد أنه قد ظهرت له دواوين بهذه الأسماء ، ومن المحتمل جداً أن يكون الأمر قد التبس على الناشرين الذين نشروا مؤلفات سيد قطب أيام محنته دون إذن أو تصريح ، فظنوا تلك القصائد دواوين فنشروا أسماءها فى قائمة مؤلفاته .

وأخيرا فإنى قد صنفت القصائد فى هذا الكتاب حسب الموضوعات التى تعالجها ، وهى :

١ ــ **التمرد** : ويشتمل على القصائد : اضطراب حانق ، زفرات جامحة مكبوحة ، عزلة فى ثورة ، عاشق المحال ، بعد الأوان ، وحلم قديم .

٢ ــ **الشكوى** : وفيه نجد قصائد : خريف الحياة ، الصديق المفقود ، غريب ، خراب ، النفس الضائعة ، نهاية المطاف ، الغد المجهول ، مر يوم ، خطى الزمن الوثاب ، سعادة الشعراء ، وسخرية الأقدار ، إلى الثلاثين .

٣ ــ **الحنين** : وقصائده هى : جولة فى أعماق الماضى ، عهد الصغر ، رثاء عهد ، الماضى ، وحى الريف : (العودة إلى الريف ، ليلات فى الريف ، الليلات المبعوثة) ، بين عهدين : (العش المهجور ، نداء العودة) ، ريحانتى الأولى أو الحرمان ، السعادة حديث الأشقياء ، ابتسامة ، هتاف روح ، دعاء الغريب ، عبادة جديدة ، تسبيح ، فى السماء ، نداء الخريف ، عهد ذاهب .

٤ ــ **التأمل** : فى الصحراء ، الإنسان الأخير ، إلى الظلام ، قافلة الرقيق ، أقدام فى الرمال ، القطيع ، خدعة الخلود ، الدنيا ، الخطيئة ، السر أو الشاعر فى

وادى الموتى ، بين الظلال ، إلى الشاطىء المجهول ، الشعاع الخابى ، التجارب ، هدأت يا قلب ، عودة الحياة ، البعث ، مصرع قصيدة ، فى مفرق الطريق ، وجوه طريفة ، بسمة بعد العبوس ، خبيئة نفسى ، على القمة .

٥ ــ **الغزل** : وتتناوله القصائد التالية : هى أنت ، الظامئة ، رسول الحياة ، تحية الحياة ، أحبك ، لماذا أحبك ، توارد خواطر ، سر انتصار الحياة ، المعجزة ، اللحن الحزين ، الغيرة ، مصرع حب ، الحنين والدموع ، اللغز ، قبلة ، داعى الحياة ، الخطر ، يقظة ، رقية الحب ، الحياة الغالية ، الكون الجديد ، حب الشكور ، عصمة الحب ، الانتظار الخالد ، الحب المكروه ، نكسة ، على أطلال الحب ، غنى ، وحى جديد ، أكذوبة السلوان ، وحى لقاء ، حلم الفجر ، انتهينا ، الكأس المسمومة ، حلم الحياة ، حدثينى ، خصام ، بيانو وقلب ، ليلة ، نظرة موحشة ، طيف ، عينان ، صدى قبلة ، صوت .

٦ ــ **الوصف** : وتعالجه قصائد : هدأة الليل ، وردة ذابلة ، الصبح يتنفس ، يوم خريف ، وداع الشاطىء ، فى ليلة من ليالى الربيع ، وادى الخلود أو الوادى المقدس ، حلم النيل ، عبث الجمال ، ناحت الصخر ، الجبار العاجز ، العود ، جمال حزين ، وبريشة الشعر أو صورة صادقة .

٧ ــ **الرثاء** : ونجده فى قصائد : وحى الخلود ، الذكرى الخالدة لسعد ، ذكرى سعد زغلول ، صدعة الفاجعة ، البطل ، طليعة الضحايا ، نوسه أو شطر من العمر ، وموت سوسو ، الزاد الأخير

٨ ــ **الوطنيات** : إلى البلاد الشقيقة ، مأساة البدارى ، صوت الوطنية ، والمهرجان .

وأسأل الله أن يرحم سيد قطب ، وينفعنا بعلمه ، ولا يفتنا بعده ، ولا يحرمنا أجره ، ويهدينا سواء السبيل .

عبد الباقى محمد حسين تهامى

باريس فى يوم الجمعة ١٨ من المحرم ١٤٠٨ هـ ١١ من سبتمبر ١٩٨٧ م

مقدمة الديوان

كتبها الأديب الناقد « سيد قطب » بيراعه الثاقب ولمسته الحريرية عام ١٩٣٤ فى مقدمة ديوانه « الشاطئ المجهول » آثرنا إثباتها فى أول الديوان للاستفادة من رأى الشاعر وأفكاره فيها .

المقدمة

بقلم الناقد سيد قطب

تمهيد :

أعرفُ مؤلفَ هذا الديوانِ ؛ معرفةً وثيقةً عميقة ، قد لا يتأتى لأىّ سِواى أن يعرفَها ! ولقد صاحِبتُه زُهاء[1] سنواتٍ عشر أو أكثر قليلا ، وراقبتُ خوالجَه[2] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاتِه وميولَه ؛ وكونتُ لى رأياً عنه ، أقربَ ما يكون إلى حقيقته .

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثيرٍ من الخَوالج والقصائد ، ولكنا كُنَّا نلتقى عن قريب أو بعيد ، إلا أمرا واحدا ، لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف .

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان ؛ أمّا أنا فلستُ راضيا عنها إلا بمقدار ، وما أزال أتطلعُ إلى مُثلٍ عُلْيَا ، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعِ الضعفِ والخطأ ؛ وما يشبه الضعفَ والخطأ فى بعض الأفكَارِ وبعض الألفاظ !

وفى هذه المقدمة ؛ سأَستعرض آراءَ الشاعر واتجاهاتِه ثم أذكر مآخذَه وعيوبَه مُحاوِلاً ألا تؤُثرَ صُحبتى الطويلةُ له ، والصداقةُ العميقة بيننا ؛ فى تحليلى لديوانه !!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية :

فى الفصل الأول من هذا الديوان* ، وفى كثير من قصائد الفُصول الأخرى ، تُطالع القارىء ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة ، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتِها[3] العلمى وشخصيتِها المحددة ، بل استحالت صورةً من صورِ الشعر ، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه ؛ ولها سِحْنَتُهُ[4]

---

(١) زهاء : ما يقرب من .

(٢) خوالجه : خواطره ونزعاته .

(*) كما جاء فى ديوان الشاطىء المجهول .

(٣) بسمتها : بما تميّزت به .

(٤) السحنة : الهيئة واللون .

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم فليس الثلاثة أنداداً(٥) حتى يَشْجُرَ بينها العداء !

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم ؛ ومن الفلسفة أيضا ، ولن يَعْسُر عليه ، حين يبلغُ حَداً مُناسباً من النُّضُوج ؛ أن يلتهِمَهما جميعا ، ويَعتصرَهما دماً ، ويُمثِّلَهما غِذاءً ، يُقَوِّى من بِنْيَتِه ؛ وإن لم يُحسّ بوجوده !

ولن ننكر على الشعرِ إلمامَه بالحقائقِ العلميةِ والفلسفية فيما يُلِمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسب طبيعَته ؛ إلا إذا قَصَرْنا طرقَ « المعرفة » على القُوىٰ الواعية فى الإنسان ، وهذا مبدأ لم يسلمْ من المآخذ ، حتى فى أكْثَفِ العصور ماديةً ، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية(٦) الحديثة ، تحسب للقُوىٰ المجهولةِ فى النفس الإنسانية حسابا كبيرا ، وفى مقدمتها « مدرسة التحليل النفسى » .

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل ، التى تُعْرَضُ للقارىء فى هذا الديوان ، والتى أدْرَكَها الشاعر بالإحساسِ والتأمُّل تارةً ، وبالاستغراقِ والتجردِ تارةً ؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظرياتٍ علميةٍ وفلسفيةٍ مقررة ، واتفقتْ معها ؛ أو اختلفتْ ، لأنها لم تتقيدْ بها ، ولم تأتِ عن طريقِها وحدَه .

الجسم والعقل والروح :

القولُ بالتباينِ بين الجسم والرُّوح ، قديمٌ مُتداولٌ فى الفلسفة القديمة ، والشاعر مَيّالٌ إلى الأخذ بالرُّوح العامة لهذه الفلسفة القديمة ، وإن لم يأخذْ بنصوصِها فى الفصل بين هذين العُنْصرين ، لاعتقاده بوحدةِ الوجودِ .

وبالتحديدِ يرى أنَّ هناك شيئين متميزين « جسماً ورُوحاً » ولكن بينهما اتصالاً ...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرِّق بعد ذلك بين القوىٰ العقلية ؛ والقوىٰ الرُّوحية فى الإنسان ، وبتعبيرٍ أدق بين القوىٰ الواعية ، والقوى المُلْهِمَةِ « وليست هى الغرائز » القوى المجهولة الكُنْه والوظيفةَ ، والتى تعمل دون شعور بها ؛ للسمو بالإنسانية .

---

(٥) النِّدُّ : المِثْلُ والنظير .

(٦) السيكلوجية : علم النفس .

ويرى أن العقل يستطيع أن يَكْفُلَ للإنسانية حياتها اليومية وما يقربُ منها ولكنه يَقْصُرُ عن اتصالِها بالمُثُل العُليا الغامضة ، وبالعوالِم المجهولة ، كما يَقْصُرُ عن إدْماجِهَا فى الوحدةِ الكونية الكُبرَى ، والحقيقة الثابتة المتصلة ، التى تبعد عن الفواصل من أمثال « قبل وبعد . ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير » .. إلخ

وفى قصيدةِ الشاطىء المجهول ؛ وهى أُولَىٰ قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث ، كما أن فيها ظاهرة أخرى ؛ وهى عدم ثقَة الشاعر بالقُوىٰ الواعية ؛ وشدةُ إيمانه بالرُّوح وما يتصل بها من بَدَاهةٍ(٧) ، واستغراقٍ ، وتجردٍ ؛ وصوفيةٍ

لقد حَجَبَ العقلُ الذى نستشيرُه حقائقَ جَلَّتْ عن حقائِقنا الصُّغْرىٰ
هنا عَالمُ الأرواحِ فَلْنَخْلَع الحِجَا(٨) فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرَا

الجسم والزمن والوحدة :

القُوىٰ الرُّوحية ــ عند الشاعر ــ هى التي تربطه بالوحدة الكونية الكُبرىٰ كما تقدم ، فى حين تَقْصُرُ القُوىٰ العقليةُ عن ذلك ، وهو يرى أن الشعورَ بالزمن ؛ نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوىٰ الواعية ؛ وأن الرُّوح تحسُّ بالوجود المطْلَق ؛ لا يقيده الزمن ؛ وبالبداهة(٩) لا يقيده المكان .

ولذلك فهو حينما خَلَعَ الجسم وخلع الحِجَا فى « الشاطىء المجهول » رأى أنْ ليس هناك « حيث » ولا « أمس » ولا « اليوم » ولا « الغد » ولا « غير » ولا « أنا » ... إلخ

ولكنه رأى « الأزمان كالحَلْقَةِ الكُبرى » ورأى « الوحدة التى احتجبت سراً » . وكذلك فى قصيدة « الليلات المبعوثة » حين تجرد لم يَرَ للزمانِ مَعْلَماً ولا رَسْماً ورأى كل شىء كرمز الدَّوام .

وقد يكون لهذا الإحساس علاقةٌ بنظرية النسبية(١٠) لأنشتين ، كما قد يكون

---

(٧) وضوح الأفكار والقضايا بحيث تفرض نفسها على الذهن (فى الفلسفة) .

(٨) الحجا : العقل . (٩) بالبداهة : بالتفكير السليم .

(١٠) نظرية النسبية : النظرية التى يتوصل فيها على أساس مبدأ النسبية إلى معرفة ما تُفضى إليه من نتائج . ونظرية النسبية لأنشتين : العلاقة بين الزمن والحجم والكتلة والتى يطلق عليها أنها تتغير طبقا لزيادة السرعة =

له علاقة بنظريات التصوف الإسلامى ولكنه الإحساس المستقل للشاعر ؛ الذى يشعر به ، ويكرره فى كثيرٍ من قصائده .

ويبدو شعورهُ بالوَحدة الكَوْنية بشكلٍ واضحٍ فى قصيدة « الإنسان الأخير » ؛ حين يستيقظُ والكون قد خَلا من الأحياءِ

ففى نفسِه ما يُشْبهُ الموتَ سَكْرَةً ومِنْ حَولِهِ موتٌ نَمَتْه المقابرُ
وفى نفسِه مِنْ مِثْلِها كلُّ ذَرَّةٍ فَهاتِيك أشلاءٌ[١١] وهَذِى خَواطِرُ

وفى قصيدةِ « خبيئة[١٢] نفسى » إذ يقول

خَبيئةُ نَفْسِى فى ثناياك مَعْرِضُ لِما لَقِيَتْه الأرضُ فى الجَولَانِ
وإنكِ طَلْسَمُ[١٣] الحياةِ جَميعِها وصورتُها الصُّغْرىٰ بكلِّ مَكَانِ

ويبدو شعورُه بوَحدةِ الإنسانية ؛ فى مواضع كثيرة منها أن يجعلَ الإنسانَ الأخيرَ يحاولُ كَشْفَ أسرارِ الغيبِ إكمالاً للجهادِ الإنسانى لهذه الغاية

فيالَيته يَدْرى بما خَلْفَ سِتْرِهِ فَيَخْتِمُ سِفْرَ[١٤] الناسِ فى الكونِ ظَافِرُ

وفى قصيدة التجارب ، يبدو إيمانُه بوَحدة الشعور فقد صَوَّرَ شقيًّا وُهِبَ ماضياً سعيداً ؛ فلم يُطِقْ عليه صَبْراً وعادَ ماضيه الشَّقى تَوْحيداً لشعورِهِ !

الإحساس بالزمن ، ومحاولة الخلود :

تَبدو ظاهرةٌ ؛ تستحقُ الالتفاتَ فى شعر هذا الديوان ، فكثيرٌ منه ، يدلُّ على إحساس متيقظٍ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه ؛ والتنبه إلى قِصَرِ الحياة ؛ ومحاولَة خلودِها أو امتدادها على الأقل .

ويملأ الإحساسُ بالزمن كثيراً من فُصول الديوان المختلفة ؛ ففى فصل « الظلال والرموز »يبدو هذا الإحساسُ على أشُدّه فى قصيدة « البعث » .

= النظرية النسبية : Theory of relativity
The relationship between : Time, Size and mass, which are said To change with increased Speed
.P. 932 long dic . of Contemporary English .

(١١) أشلاء : مفردها شِلْو ، والأشْلاء : أجزاء الجسم بعد الموت والبِلَىٰ .

(١٢) خبيئة : المَخْبُوء .

(١٣) الطِّلَسْم (فى علم السحر) : الشيء الغامض .

(١٤) سفر : كتاب .

هكذا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ   فى ربيع العمرِ ؛ فى العهدِ النَّضِرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضى الحَسيرِ[١٥]   رَجْعَةً ، مِنْ بَعْدِ ما جَاءَ وَمَرْ
كنتُ أُحْييه كما يَحيا الشَّبابُ   نابضاً بالحُبِّ ؛ جَيّاشَ الأمَانِى
مُمْسِكاً أهْدابه[١٦] خَوفَ الذِّهابِ !   مُسْتَعِزاً فيه حتى بِالثَّوانِى

وفى فصل « الصور والتأملات » تجده جَازِعاً آسفاً على أنه « مر يوم » من حياته .

لم تكنْ فيه حَياةٌ أو أملْ   أو تَمَتُّعْ
وهو مَحسُوبٌ علينا فى الأجَلْ   فَهو أضْيَعْ

وكذلك تَجِدُهُ ينادى ليلاتِ الريف فى لهفةٍ « إيه ليلاتنا ، اخْلُدِى ، لا تغيبى » !

وفى فصل « إلغزل والمناجاة » تجده يتحدث عن « الحياة الغالية » فيقول .

واليومَ آسفٌ للدقائِق تَنْطَوِى   مِنْ عُمرِى الغَالى الثمينِ الطيِّبِ
واليومَ أرْقُبُها وأرْقُبُ خطْوَها   فَأعِيشُها مِثْلَينِ بعدَ تَرَقُّبِى !

وفى مواضع أخرى كثيرة

وليس غريبا ؛ أن تلمحَ اعتزازَه بالماضِى وأسَفَه عليه مُتَفَشّياً فى معظمِ فصولِ الديوان ، فهو تتمةٌ لهذا الإحْساسِ الغريبِ بالزمن .

وهو لهذا يحاولُ الخلود ، ويسلُكُ إليه طرائق شتىٰ فتارة يَعْتَصِمُ بالحب .

وغَنَاءٌ عن الخلودِ غَرامٌ   هو رمزٌ وَوَصْلَةٌ للبَقَاءِ

وتارةً يلجأ إلى الريف ؛ لأن مظاهر الدَّوام والاستقرارِ فيه ؛ تُخففُ حدةَ الشعور بمرور الزمن

ياريفُ فيك مِنَ الخُلُودِ أثَارَةٌ[١٧]   تَنْسَابُ فى خَلَدِى وفى أوْهَامِى

فإذا أعياه ذلك ؛ وأعيا طبيعةَ الخلق ، فهو يتعزّى بأخيه ؛ ويُهدِى إليه الديوان لأنه امتدادُه فى الحياةِ .

---

(١٥) الحسير : المُتْعَبُ الكليل .   (١٦) أطرافه .   (١٧) أثارةً : من أثره يَأْثُرُ أثْراً وأثَارةً : تبع أثره .

تمنيتُ ما أعيَا المقاديرَ إنما وجدتُكَ رمزاً للأمانِى الصَّوادِفِ
فأنْتَ عَزائِى فى حياةٍ قَصِيرةٍ وأنتَ امتدادِى فى الحياةِ وخَالفِى

المجهول :

يملأ الشَّغَفُ بكشفِ « المجهول » والحديث عن « السِّرِّ » حَيزاً كبيرا من الديوان ؛ ويمدُّ جنَاحيْه على حيزٍ آخر ، ومن هنا جاء اسمه .

ولعلّها محاولةٌ من محاوَلات الخُلودِ ، أو تَعْميق الحياة وتمديدها ؛ بمعرفةِ عَوالم وَمصَائرَ مجهولة ، يضيّق الجهلُ بها أُفقَ الحياة .

أم لعلّها نتيجةٌ للفصلِ بين أجزاءِ الكونِ والحياة ، بهذا الجسم الذى لابدَّ له من الفواصِلِ والحدودِ مع شوقِ القُوىٰ الرُّوحية ، إلى العوالِم المجهولَةِ ، التى حجبها الجسم والقُوىٰ الواعية .

وعلى أى حالٍ فالحديثُ عن المجهول يأخذ صوراً متعددة ، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر ، حتى لقد يُلِحُّ عليه فى فصل « الغزل والمناجاة » فى قصائد كثيرة .

ملكة التصوير وروح القصص :

يتبين للناقد ، أن الشاعر فى هذا الديوان ؛ يقف موقفَ المُصوِّرِ فى كثير من القصائد ؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير .

وقد يزيد على الصورة الصامتة فى كثير من الأحيان حركةٌ نابضةٌ ؛ والأمثلةُ على ذلك فى « الشُّعاع الخَابِى . وخراب . والصحراء . والإنسان الأخير . وخريف الحياة . والجبار العاجز . ونَاحِتِ الصَّخرِ » لا بل الأمثلة هى هذا الديوان كله ، فهو مُتْحَفُ صُورٍ ، قبل أن يكونَ قصائدَ شعرٍ !

ولكن أى تصوير ؟

إنه التصوير الهادِئ ؛ الغامض . فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران فى الشاعر خاطر التصوير ، بل خاطر التعبير وهو يَهرُبُ من الضجةِ كما يهرُبُ من الوضوحِ ، فإذا اضطر لملابستهما ، فهو يعيش فيهما ولكن لا يعبِّر عنهما .

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعا تتفق مع هذا الميل وكذلك ألوان الأزهار التى يَألَفُها ؛ والمناظر التى يفضلها .

وهو مصورٌ حِسيٌّ فى بعض الأحيان . كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها ، أو الخواطر النفسية ؛ ومنها ما يجول فى نفسه هو ؛ فتعجب لهذا « الوعى الفنى » الذى يستطيع معه تصوير خَلجَات نفسِه تصويرَ « المنتبه » لها فى حركتها الداخلية المستمرة كما فى « خبيئة نفسى ، والنفس الضائعة ، والغد المجهول ، وغريب » وسواها .

وكذلك تجد رُوحَ القصص واضحةً ومتفشيةً فى كثير من المواضع ، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة ، أو حوار كما فى « التجارب » و « فى الصحراء » أو يجعل بعض القصيدة قَصَصاً ، لتصويرِ موقِفٍ من المواقف .

موسيقية الديوان :

منذ عهد قريب جداً ، كشفتُ عن ظاهرةٍ تستحق التسجيلَ ، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا ؛ يتفشى فى هذا الديوان كله ؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته .

ويجب قبلَ الحديث فى هذا ، أن أذكر أن موسيقا القصيدة ؛ غير وزنها . فالوزنُ يتحققُ بأيِّ الألفاظِ ؛ ولكن المُوسيقا ؛ كما تعتمد على الوزن ؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة .

هذه هى الموسيقا السمعية ، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقىٰ وهى الموسيقا الفكرية ؛ ثم الموسيقا الرُّوحية .

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ ، والثانية بتسلسل الفكرةِ وتلاؤمِ أجزائها ، والثالثة بالجو العام الذى يحس به القارىء للقصيدة . ومَامِنْ شَكٍّ فى أن جواً نفسيا خاصاً يَحفُّ بالقارىء دون أن يحددَ أسبابَه .

وهذه الموسيقا الرُّوحية هى الثى أعنى أنها واحدة فى الديوان ، وهى من لَونٍ واحد . لون الموسيقا الصعيدية ! موسيقا أولئك « الصعايدة » الغُرباء ؛ وهم يرتِّلُونها فى نَغَمٍ رتيب ، فيه شَجْوٌ[17] وفيه ألم ، وفيه حنين . ولكن فيه كذَلك رجولة

(١٧) شجو : حزن .

وخشونة وروعة .

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهلٌ . ونظرية « العقل الباطن » تفسره فقد انْدَسَّتْ(١٨) هذه الألحانُ فى نفس الشاعر وهو طفلُ فى « موشا » وهى قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف :

إنى فَقَدتُكَ فى الطفولةِ غَافلاً   عَمَّا حَويتَ مِن الوجودِ السَّامِى
لكن وَجَدتُك إذ كَبرتَ بِخاطِرِى   رَمزاً أُحِيطَ بِغَمْرةِ الإبْهامِ

التعبير :

تبدو فى هذا الديوان ؛ صورة واضحة للتعبير الدقيق المُصوِّر للأفكار ؛ وأضْرِب مثلا لذلك بقصيدة « فى الصحراء » فهناك نَخْلَةٌ مَلَّتْ الحياةَ التى لاتعرِفُ سِرَّها « يرمز بها إلى الأحياء جميعا » فهذه النخلة تقول لأختها :

مُنذُ مَا أُطْلِعْتُ فى هذا الخَرابِ   وأنا أسْأَلُ : ما شَأْنِى هُنا ؟

ولو قال « منذ مَا طَلَعتُ » لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التى أُرْغِمَتْ على الحياة « فَأُطْلِعَتْ » دون إرادتِها ؛ ولم « تَطْلُعْ » هى بمشيئتها . ومثل هذه الدِّقة كثير فى الديوان إلا أن هذا لا ينفى أن هناك ضعفاً فى بعضِ التراكيب ؛ وخَطَأً فى بعضِ الألفاظِ وإن تكن معدودة .

والذى يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأَةً فى الاشتقاق ، قد تُؤدى إلى الفوضى ، وقد يستغلُّها العاجزُون فى اللغة استغلالا ... !

خاتمة :

وبعدُ : فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصولِ الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصلُ « الغزل » وفصلُ « الوطنيات » أتركها للقراء .

ثم أنبه إلى أن هذا الديوان ، قصائد مختارة من مجموعة شعر الشاعر معظمها من إنتاجه فى عام ١٩٣٤ ، أما بقية القصائد فقد حال تضخَّمُ هذا الجزء ، دون نشرِها وستُنْشر فى مجموعات أخرى .

---

(١٨) انْدست : دخلت فى خفاء واستتار ، أو دخلت بقهر وقوة .

التمـــرد

إنّ نفسِي ليس تَرضَى : أيُّ نفس

تقبل العيــش كسُــكّانِ القبــورْ ؟

سيد قطب

عُزْلَةٌ فى ثَوْرَة !!![1]

حَدثِينِى أنْتِ يا نَفْسِى فما — أفهـمُ العَالَـــم أو يَفْهَمُنِـــى
إننـــى أنكَرتُـــه اليـــومَ كما — أنـــه بالأمسِ قَدْ أنْكَرنـــي
لم أجدْ فى الكون إلا ألَما — إنّما الوَحْدَةُ أصلُ الشَّجَنِ

وَحْدَةُ الأرواح أنْكَى[2] الوَحَدَات — وَحـدةُ الأجسامِ تُنْسَى وتَهـوُنْ
أى بؤسى تستـحثُ الذكريـاتِ — كانفرادِ الرُّوح فى وادى الشُّجُونْ
إنَّ رُوحـى قد تَنـاسَتْ « خُذْ وهَـات » — وانزوتْ فى عالمٍ[3]جَمِّ السُّكُـونْ

*

لم أجدْ قلباً إذا ارتعتُ[4] خَفَق — خفقـــةَ الـــحُبِّ بوحْـــيٍّ صادقِ
وإذا شَذَّ فؤادٌ فَصدَق — أتبـعَ الـحُبَّ بغَـدْرٍ مَاحِـقِ[5]
وفـؤادِى يَتنَـزى[6] فى حَرَقٍ[7] — وَاجِفاً[8] مِنْ كلِّ حَدسٍ طارِقِ

وحبيبٌ قَدْ سَمَتْ رُوحِى إليه — وعبدتُ الطُّهْرَ فيـه والجَمَـالْ
ووقفتُ النـفسَ والفكـرَ عليـه — والأمانـــيَّ وأطيـــافَ الخَيـــالْ
ورأى مِنـى أسيراً في يَدَيـه — فتولَّـى لاهِيـاً عنـى ومَـــالْ

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٢٩ .

(٢) أنكى : أشد جرحا أو ألماً .

(٣) جم السكون : شديد السكون : سكون تام .

(٤) ارتعت : فزعت .

(٥) ماحق : هالك .

(٦) يتنزى : يتوثب .

(٧) حرق : نار .

(٨) واجفا : مضطربا .

لم أجدْ فى الكونِ ما أنْشُدُه مَثَلا أعْلىٰ فأُرْوِى ظَمَئِــــي
وإذا صوّرتُ ما أقْصدُه بُهِتَ النـــاسُ لهذا النَّبَـــأِ
وتولّـــى بعضُهــــم يَنْقُــــدُه جاهداً والبعضُ يَروِى خَطَئِى

* *

وتقاليــــدٌ وأسْرَىٰ يَعْبُـــدُون هذه الأصنامَ مُغْلُولى الفِكَـرْ
وإذا ثُرتُ عليها يَسْخَطُـــون ويقولـــون تمـــادَى وكَفَـــرْ !
وَيْحَهم ماذا تَراهـم يبْتَغُونَ ؟ أتُرىٰ نَحيا شُخَوصاً مِنْ حَجَرْ ؟!

إنْ ذكرتُ الحُبَّ قُدْسياً نَقِياً حسَبُوه من خَيالِ الشُّعَــراءْ
إننى أُدْرِكهُ رُوحـــاً خَفِيـــاً يَهْبطُ الأرضَ ومَأواه السَّمَـاءْ
وهـــم يَبْغُونَــــه إثماً فَرِيـــاً يُرْتَـدَىٰ فى أثْوابِ البغـــاءْ !

يَسْتبى الحُسْنُ فُؤادِى فأميلُ مُبْدياً كُلَّ الذي بِى مِنْ شَغَفْ
مُوفيا بالعهدِ عَنه لا أحـولُ ظَاهـرَ العِفَّـةِ مَوفـورَ الشَّرَفْ
ماالـذى يَبْغِيه مِنْ عَذْلِي جَهولٌ وأنـــا أنْقَـــىٰ فؤاداً وأعَـــفْ

أتُرى أحيـا بُروحٍ لا تَحِسُّ وفؤادٍ ليس يَدْرِى مَا الشُّعورْ ؟
أكتمُ الأنفاسَ إن جَالتْ بِحسٍّ ثُمَّ أبْقَى صخرةً بين الصُّخُورْ ؟
إنَّ نفسِي ليس تَرضَىٰ : أيُّ نَفسٍ تقبلُ العيشَ كسُكَّانِ القُبُورْ ؟

حدثينى أنتِ يا نفسُ إذَن واتركِي العَالَمَ في الكَوْنِ يَمُوجْ
واعشَقِـــي كلَّ جمالٍ يُفْتَتَنُ واضحَ الطَّلعةِ بَسَّامٍ بَهيـــجْ
وخُذِى مَا شِئتِه من كلِّ فَنٍّ ودَعِى مَنْ هَاجَ فى الأرض يَهيج !

* * *

حَلِّقي يا نفسُ فى كلِّ فَضَاءِ واهبِطى بينَ الأقاحِي والزُّهُـورْ

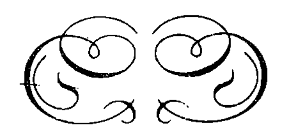
واسمَعِي ماشئتِ مِنْ عَذْبِ الغِنَاء   حينما تَهْتِفُ باللّحْنِ الطُّيورْ
إنما الكونُ ومَنْ فيه هَبَاء   بعدمَا يَرْضَى عن النفسِ الضَّميرْ

* * *

حَدِّثي يانفسُ إني لَسميعٌ   إنْ لَهاَ[٩] الناسُ ولم يَسْتَمِعُوا
وَصِفِي إحساسَكِ السَّامِي البديعَ   ودَعِيهم حيثُ هُمْ قَدْ وَدَّعُوا
وإذا الألفاظُ أعيتْ ، فالدموعُ   فإذا جَفَّتْ ، فخفْقٌ يُسْمَعُ

* * *

أقفرَ العَالَمُ من كلِّ سَميرٍ   يُبْعِدُ الوَحْشَةَ عَنِّي غيرَ نَفْسِي
فَلْيُفْضِ ما جَاشَ فيها من شعورٍ   ولتكنْ إلْفِي ومَنْ أرجُو لِأُنْسِي
وَحْدَةٌ فيها هُدوءٌ وسرور   ومناجاةٌ ، فيا نَفْسِي تَأَسِّي



---

(٩) لها : من اللهو .

آضْطِرَابٌ حَانِق ![1]

أحيـــــــاةٌ أمْ نارُ الجحيم بِلظَاهَا الهائــج المُسْتَعِـــرْ ؟[2]
لا . ففى نفسِى من الشَّجْو الأليمِ من حَياتى فَوقَ مَافى سَقَرْ !

آه . لا شَكْوىٰ ولا بَثَّ شَجَنْ لاأريـدُ الضعـفَ . كلا . لاأريـــدْ
سوفَ لا يظهرُ منى مَاكَمُنْ[3] فليشدَّ الخَـطْبُ إنى لَشديـدْ

* * *

ولمن أشكُو إِذا شئتُ الشَّكَاه ؟ ولمن أسطيعُ إيضاحَ شُعورِى ؟
أيـنَ مَن ينظـرُ مِنّـي مَاأراه في شعورِي ، غيرَ نَفسِى وضَميرِى؟!

أُغْرُبي عَني بعيداً يا حَيَاتِي قد كَرِهتُ العيشَ فى جَوٍّ قَذِرْ !
أُغْــرُبِى محفوفـــةً باللعنــــاتِ آبْعُدي عن سَاخِطٍ جهمٍ[4] ضَجِرْ ![5]

لاافِــــراراً من جهـــــادٍ كالجَبَـــــانِ لا . فمــــا كنتُ جَبَانَـــا أحْــذَرْ !
إنما أنْتِ سبيــــــــلٌ للهــــــــوانِ لستُ أرْضَاه ونَـــــفْسِى تَشْعُـــــــرْ

أأنَاسِيَّـــــــــــــا أرى أم حَشَرَاتٍ شَوَّهَتْ من طَلْعَةِ الكـونِ الجميــــلْ ؟
يُشْبِهُــونَ النــاسَ فى تلك السِّمــاتِ بينما أنْفُسُهـــــم رِجْسٌ يَسِيـــــلْ !

---

(١) نشرت فى ابريل ١٩٢٩ . (٢) المستعر : المتوقد ، المشتعل . (٣) كَمُنَ : اختفى .
(٤) جهم : عابس الوجه . (٥) ضجر : ضاق وتبرم .

حَقَـروا الكونَ وأغـراضَ الحيـاةِ حَسبُوهـــا دَنَساً في دَنَس
وصَغَـــاراً ليس يَرْضَاه إلـــــه وَهَبَ الأرواحَ نُورَ القَـــبَسْ(٦) !

* * *

إنَّهـم لَم يَعرِفُـوا معنـى الجمـالِ إنّهـم قد جَهِلُـوا سِرَّ الوجُـودْ
وإذا طَالَعَهـم طيـفُ الكمـال لائحـاً يَهفُـو ، تَولَّـوا فى جُمُـودْ

* * *

فَهِمُـوا العـيشَ طَعامـاً وشرَابـاً ورَواحـاً حيثُ شَاءوا وغُـدُوَّا
أنـفسٌ كالكهـفِ مازالت خَرَابـاً من شعـورٍ يُلْهِـمُ النـفسَ السُّمـوّا

* * *

فإذا حدثتَ عن طُهْـرٍ بديـعٍ وشعـورٍ يَغْمُـرُ النـفسَ بَراءْ(٧)
أدْرَكُـوه سَافِـلَ الشأنِ وَضيـعٍ وهـو أسمى مااستطَاعتْـه السَّمـاءْ !

* * *

حَقَـرُوا العِفَّـةَ والـحِسَّ البَـراءَ حَقَـرُوا الـرُّوحَ وهَامُـوا بالجُسُـومْ
حَقَـرُوا الإخـلاصَ مَحْضاً والوفَـاءَ ورَأَوْا في النـفسِ مَحْيَاهـا الذَّميـمْ

* * *

أئِـذَا ما أخـلصَ الـودَّ فُؤادٌ لفـؤادٍ مُخْـلِصٍ ، فَائتلَفَـا
لم يكـنْ ذلك إلا لِفسادٍ يُثْلِمُ(٨) العِـرْضَ ويُـؤذِى الشَّرَفـا ؟

* * *

لا . فمـا أَقْفَـرَ هاتـيك النفـوسَ لا . فمـا أَجْمَـدَ ذيـاك الشُّعُـورْ
إنَّ وَجْـه الكـونِ مُغْبَـرٌّ عَبُـوس بِهمُـو . فَلْيَغْرُبُـوا عنـه يُنِيـرْ !

---

(٦) القبس : النار أو شعلة منها .

(٧) براء : خالص (بعيد عن الشبهات) .

(٨) يثلم : يصيب .

زَفَراتٌ جَامِحَةٌ مَكْبوحَة(١)

اذهبْ وخَلِّفْنِــي هُنــــا متألِّمـــــا ... لا تَلْقَنِــى سَمْحــًا ولا مُتَجَهِّمـــا !

اذهبْ وخلِّفْنـــي تذوبُ حُشاشَتِـــى ... ويَــبُضُّ(٢) قلبــى من قرارتــه دَمــا

اذهبْ فلن أشكُو إليـك عَواطِفــى ... يومــاً ولــن ألقـــاكَ إلا أبْكَمَـــا

أرخصتَ حُبِّـى إذْ بَثَثْــتُكَ بعضَه ... فَلْيَبْــقَ مكْبُوحــاً إِذَنْ فَتكَتَّمَــا

إن كانَ بَثُّ الحبِّ عنـدك مَأْثَمــا ... فكـذاك عِنْدى سَوف يغـدُو مَأْثَمــا

* * *

اذهبْ وفى نفسِى لِبُعـــدِكَ حَسْرَةٌ ... والعيشُ بَعْـدَكَ صَار صُلْبًا عَلْقَمــا

سَأنــامُ مهمومـًا وأصْحُــو حَائِــرًا ... وأهيـــمُ فى وَادِى الأسَى مُتألِّمَـــا

ويُخيِّم البـؤسُ المُمِضُّ(٣) فلا أرى ... إلا شَقَـــاءً فى الحيـــاة مُخَيِّمَـــا

لكــن سَأكتــمُ ماتُكِنُّ جَوانِحــى ... وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى(٤) مُسْتَسْلِمَا

* * *

واويلتَــاه لقــد أهــنْتُ عَواطِفـــى ... وحسبتُهـا عبثـًا يُمَـجُّ(٥) مُذَمَّمَــا

وأراكَ تَأبـــى أن أكــونَ مُتابعـــاً ... لك فى الغُــدوِّ وفى الــرَّواح مُيمِّمَــا

لك مَاتَشَاء ، فمــا أطيـــقُ تَبَــذُّلاً ... منــى ولستُ أطيـــقُ منك تَبَرُّمَـــا

لك ماتَشَاءُ ، فلــن أرى متنائيـــا ... عنــى فأرجُــو عَطْفَــه مُسْتَرْحِمَــا

وإذا شَكَــوتُ فللسمــاءِ سَأشْتكِــى ... ألَمِــى وأبْــدُو صَابِــراً مُتَبَسِّمَـــا .

* * *

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٢٩ .

(٢) يبض : رَشَحَ كالعرق من إجهاد الدقّ .

(٣) الممض : المؤلِم من مَضَّ يَمَضُّ : ألِمَ من وجع المصيبة .

(٤) الجوى : حُرقة الشوق .

(٥) يُمَجُّ : يُلْفَظُ من مَجَّ ، ويقال : كلام تَمُجُّه الأسماع .

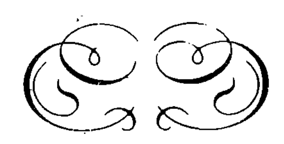
سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدِيـن وكانَ لِى ... أمـلٌ حَطَـمْتُ قِوامَـه فَتَحطَّمَـا

أملِى الـذى قَدْ كانَ لِى هو أن يعيـ ... شَ الحبُّ فينَـا طَاهِـراً ومُكَرَّمَـا

أمَّـا وقَـد أرْخَصْتَـهُ وأهنْتَـهُ ... ورأيتَـهُ إثماً لديكَ مُحَرَّمَـا

فليـذهَبْ الأمَلُ الـذى أمَّلْتُـه ... حِينـا وعِشْتُ بظلِّـه مُتَنَعِّمَـا

سَأصُون عهـدَ الحبِّ عَفًّـا طَاهِـراً ... حتـى أمـوتَ بِه شهيـداً مُغْرَمَـا



عَاشِقُ المُحَال[1]

ضِقْتَ بالقيـــــدِ فانْطَلِـــــقْ ... أيُّهـــــــا الآبقُ[2] الشَّرودْ[3]
قد تحررتَ فاستَبــــــــــــقْ ... للصِّرَاعــــاتِ مِنْ جَدِيــــــدْ

انْطَلِـــــقْ تَصْعَــــدُ الرُّبَــــاه ... ثم تَهْـــــوى إلى السُّفُـــــوحْ
شَارداً تَقْطَــــــعُ الحَيَـــــاه ... فى التَّعِـــلَّاتِ[4] والطُّمُـــــوحْ

* * *

انْطَلِـــقْ تفجَـــأُ الخَطَــــرْ ... كالــــذى يَفْجَـــأُ الرَّجَــــاءْ
لُعْبَــــــةٌ فى يَدِ القَــــــدَرْ ... تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَـــــــــاءْ

جَمْـــــرةٌ أنْتَ تَتَّقِـــــــدْ ... خَلْــفَ سِتْــرٍ منَ الرَّمَـــادْ
وهــــــى تَذْكُـــــو بِلا مَدَدْ ... ثم تَغْــــــدُو إلى نَفَــــــادْ

أنْتَ مِنْ طَيْــــفِ القَلَــــقْ ... صَاغَكَ اللهُ والجُمُــــــــــوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ[5] والحَــــــرَقْ ... والعَقَابِيــــلَ[6] والجُــــرُوحْ

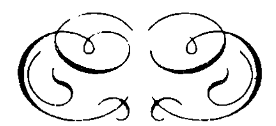
* * *

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٤٢ .
(٢) الآبق : الهارب .
(٣) الشَّرود : المطارد الذى لا مأوى له .
(٤) التعلات : جمع مفرده التَّعِلّة : ما يُتَعلَّل أو ما يُتلهى به .
(٥) الأيْنَ : التعب والإعياء .
(٦) العقَابيل : جمع مفرده العُقْبُول : الشديد من الأمور أو الدواهى .

أنْتَ ترنُــــو إلى المُحَـــــالْ عَاشِقــــاً بُعْـــدَه السَّحِيـــقْ
فإذا شَارَفَ المَنَــــــــــالْ خِلْتَــــه مِنْ لَقَـــىٰ(٧) الطَّريـــقْ

ضِقْتَ بالقيـــــــــدِ مِنْ ذَهَبْ ضِقْتَ بالأمْنِ والقَــــــــرَارْ
فَانْطَلِـــــــــــقْ ثم لا تَثِبْ عِشْتَ للخـــوفِ والعِثَـــارْ(٨)



(٧) من لَقى الطريق : ما طُرِح وتُرك لهوانه على الطَّريق .
(٨) العِثار : السقوط .

حُلْمٌ قَدِيم[1]

طَافَ بِى مُسْتَطِلعاً حُلْمِى القَدِيمْ
فَتَطَلَّعْتُ إليهِ فى وُجُومْ
قلتُ : مَنْ أنْتَ ؟ فأغْضَى خَجلاَ
قال لى : حُلْمُكَ فى العَهْدِ الوَسِيمْ ![2]
قلت ! يَاحُلْمُ . متى عَهدِىَ ذَاكْ ؟
منذُ كَمْ ياحُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ
قال : لَم يَبْعُدْ بأطيافِى المَدَى
قلتُ : ماأبْعَدَ مامَرَّتْ خُطَاكْ
شَدَّ يا حُلْمِىَ ماقَدْ حَالَ حِسِّى ؟
شَدَّ يا حُلْمِىَ ماأنْكَرتُ نَفْسِى !
أتُرى ذاكَ الذي نَعْرِفُه ؟
قال : ماتُبْصِرُ عَينِى غيرَ رَمْسٍ[3] !
ومَضَى عَنِّى فى يأسٍ عَقِيمْ
سَادِرَ[4] الخَطْوةِ فِى الأرضِ يَهيمْ[5]
قلت : يَا حُلْمِىَ تمضِى مُفْرَداً
ليسَ فى الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَمِيمْ[6] !

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٤٥ .
(٢) الوسيم : الحسن الجميل .
(٣) رمس : القبر مستوياً مع وجه الأرض .
(٤) سادر : غير مبال ولا عابىء .
(٥) يهيم : خرج على وجهه فى الأرض لا يدرى أين يتوجه .
(٦) الرميم : البالى (فَانٍ) .

بعدَ الأوان[1]

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ ، تُوَلْوِلُ بالنُّواحْ
والأفقُ مخضوبُ الأديمِ[2] ، وقد تأذَّنَ بالرَّواحْ
أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمِينَ ، فأينَ كنتِ لدىٰ الصَّباحْ ؟
وَجهُ الخريفِ يُطلُّ فاستمعِى لإعوالِ الرِّياحْ !

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ ، فويحَ أيامِ الشبابْ !
لا نستقِى إلاّ عَلَى رَنَقٍ[3] وأنفسُنَا غِضَابْ
لم تَصْفُ كَأْسُ حياتِنا يوماً ولا لذَّ الشرابْ
والآنَ تَنطلِقينَ فى لَهَفٍ إلىَّ وفى ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالِهتَانِ[4] لَاهِفتَانِ[5] كلُّهما دُعَاءْ
وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلَّعَ فى قُنوتٍ[6] للسَّماءْ
ويحى فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِى الظِّماءْ ؟!
صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّنِى وعليه شَاراتُ المَسَاءْ !

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ ، فامضِى أنت عَنِّى
ماعَادَ يُوقِظُنى نِداؤكِ خِلْسَةً مِن بعد وَهْنِ

---

(1) نشرت فى ١٩٤٧ .

(2) الأديم : بياض النهار .

(3) رَنَق : كدر (الماء العكر) .

(4) والهتان : متحيرتان من شدة الوجد أو الخوف .

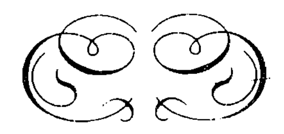
(5) لا هفتان : حزينتان مستغيثتان .

(6) قنوت : خضوع وذلة .

ماتتْ مُنَاىَ جَمِيعُها ، فعَلامَ يَخْدَعُنِى التَّمَنِّى ؟
فَرَقَ الزمانُ طريقَنا ، فامضِى وحَسْبُكِ ذَاكَ مِنِّى !

* * *

هَذِى خُطَاى على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ[٧] خُطَاكْ
الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أَثرٌ هُنَاكْ
شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تَشعرْ بِهذا أو بذاكْ
تَتْلُوهُما الأَشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكِ[٨] !



(٧) واجفة : مضطربة .

(٨) دَرَاكِ : اسم فعل بمعنى أَدْرِكْ ؛ مغزى الأيام وما تحمله من عِبَر . أو من أَدْرَكَ الشيءَ : أى حققت الأيامُ — فى مُضِيها — ماتريد من الإنسان .

الشكـــوى

لكنهـــا نفـــسٌ ســـمتْ فتألّمتْ

والمـــاءُ لا يصفُـــو الحياةَ لشـــاربِ

سيد قطب

سَعَادَةُ الشُّعَرَاءِ[1]

دَعْنِى ولا تَنْفُسْ[2] عَلىَّ مَواهِبى ... خُذْهَا وخُذْ ألمِى بها وَمَتاعِبى
دعْنى فلستُ كما حَسِبْتَ مُنَعَّمًا ... بمواهب مَلَكَتْ عَلىَّ مَذَاهِبِى
أنتَ الخَلىُّ فخلِّنِى وعَواطِفى ... آلمتَ وُجْدَانِى فَلَسْتَ بِصَاحِبى
دَعْنى أعيشُ كما يَشاءُ لِىَ الأَسَى ... لا كنتَ مِثْلى . لادَهَتْكَ نَوائِبى
إنى شَقِىٌّ لو علمتَ دَخَائِلى ... فَدَعِ المظَاهِرَ لاتَرُعْكَ[3] جَوانِبى

* * *

الشِّعْرُ من نِعَمِ الحياةِ عَرَفْتُه ... وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبَةَ لاَزِبِ[4]
الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ[5] مَسْفُوكَةٍ ... ألماً وَوَجْدًا فى حنينٍ ذَاهِبِ
مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم ... شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلبِى الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضِى ... مِنها مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالبِ
والشاعِرُون تَؤزُّهم[6] أدْرَانُها[7] ... يَبْغُونَها لم تمتزجْ بِشَوائبِ
حِسٌّ أرقُّ من الأثيرِ[8] يُهيجُه ... ماقدْ تمرُّ عليه مَرَّ اللاعِبِ
وهى الحياةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُعورُه ... ألم وأن يُكَثِّفَ[9] فَلذَةَ رَاغِبِ

* * *

مَنْ لِى إذَا جَنَّ الظلامُ بَهْدأةٍ ... كالهادئينَ وَمَنْ يُطَمْئِنُ جَانِبى

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٢٨ .

(٢) لا تنفس : لا تحسد .

(٣) لا ترعك : لا تثير إعجابك .

(٤) لا زب : ثابت : لاصق .

(٥) حشاشة : بقية الروح فى الجسد .

(٦) تؤزهم : تهزهم .

(٧) أدرانها : أوساخها .

(٨) الأثير : المراد النسيم .

(٩) يُكَثِّفَ : من كثف يكْثُفُ : يغلظ والمراد تقوى .

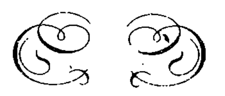
أنا فى الطبيعةِ مُغرمٌ بمشاهدٍ تُلْهِى فؤادِى عن أعَزِّ رَغَائِبى
الليلُ يُشْجِينى برائعِ صَحْوِهِ(١٠) وكواكبٌ يَغْرُبْـن إثـرَ كَواكبِ
والبدرُ يُوحِى لِى بِسرِّ طوافِه مُسْتَوْحِشاً لم يأتنسْ بِمُصَاحِبِ
والحُسْنُ يَدْعُونى إليـه فأنثَنِـى ويَصُدُّنِى عنـه بِصَفْقَةِ خَائبِ

* * *

البائِسُون إذا سَمِعْتُ أنينَهـم أحسستُ أن مصابَهم هوَ صَائِبى
والبَاسِمُون إذَا شهدتُ ثَغورَهم هَاجتْ حَنينى للصَّفاءِ الذَّاهبِ
والبعدُ يُؤذِينـى وربَّ مفـارقٍ لَمْ يُؤْذِه يَومًا تَنـائِي غَائِبِ
وكَرَامةٍ لو مُسَّ منها جانبٌ أصْغَرْتُ عيشِى عندَها ومَطالِبى
بَلغَ الحِفاظُ بِها القداسةَ والتُّقَى وحَذَارِ وَهمٍ خَاطِىءٍ أو صَائِبِ

* * *

يَاليتَ لي نَفساً إذا ماسمْتُها(١١) عَكَرَ الورودِ استرشدتْ بتجَاربي
لكنَّها نفسٌ سَمَتْ فَتَأَلَّـمتْ والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ
دَعْنِـى أعـيشُ مُعذَّبـاً متـألماً بمواهِبِى ياشِقْوتِـى بِموَاهِبـى



(١٠) صحوه : المراد صحوه وهدوئه .

(١١) سمتها : أذقتها .

سخريةُ الأقْدار[1]

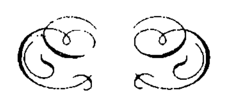
أغلبُ الظنِّ ، وقد تدرى الظنونُ   أنّها ألعابُ دَهْرٍ سَاخرِ
مَاهرٍ يَهْزَأُ بالمُستهزئينَ   يبعثُ النُّكْتَةَ عفوَ الخاطرِ ![2]

* * *

وسَواءٌ أضحكتْ سُمَّارَه   أم دَهَتْهمُ بالرزَايا والمِحن
فهو يُلقِى أبداً أدوارَه   وهو لايُسأَلُ عن ماذَا ومَن ؟

* * *

يسمعُ الأنَّاتِ تشتقُّ[3] القلوبَ   صارخاتٍ كشجيَّاتِ[4] النُّواحِ
ليكادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يَذُوبُ   وهو يَلْقاها بِهُزءٍ ومِزَاحِ !



---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ .

(٢) عفو الخاطر : دون إعداد سابق أو بنت لحظة الكلام .

(٣) تشتقُّ : تشقّ .   (٤) كشجيات : من شَجِنَ شَجَنًا : حَزِن .

الصديقُ المَفْقُود !(١)

ابحثُوا لي مااستطعتُم عن صديقْ فلقد أعياني البحثُ الكثيرْ !
مخلِصِ الطَّبْعِ له قلبٌ رَقيقْ خالصُ الإحساسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبدَا
لصديقٍ أصْطَفِيـه مُفْـرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدىٰ

غيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ(٢) نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ فى القلبِ الشفيقْ ويَرىٰ الغدرَ بِإعجابٍ جديـرْ

* * *

طالما هِمْتُ(٣) بحبِّ الأصدقاءِ
وتغنيتُ بألحانِ الوفــاء
سامياتٍ كأناشيدِ السَّماءْ

سكرةٌ عَجْلىٰ ومنْ ثَمَّ أفيقْ فإذا بي ألْمَسُ الغدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْلاصُ خَلَّابٌ (٤) بريـقْ مِنْ سَرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِيرْ

* * *

أيهذا الكـونُ إنْ كنتَ تُجيـبُ !
أىُّ عيش فِي حِمىٰ الغدرِ يَطيبُ؟
ثم ماذا تَبتغِــى تلكَ القلــوبْ

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٣٠ .
(٢) صفيق : قبيح .
(٣) همت : تعلّقت .
(٤) خلّاب : خَدَعَ ببريقه .

غيرَ إحساسٍ من العطفِ رقيقْ يَغْمُرُ الأرياحَ فَيَّاحَ العَبِيرْ
فإذَا العيشُ رَجَاءٌ ووُثوقْ وإذا الكونُ رِضاءٌ وَحُبورْ

إنَّ هذا العطفَ رَمْزٌ للخُلودِ
وغِذاءُ الرُّوحِ فى هذا الوجُودِ
كلُّ ما فِى الكونِ لولاه زهيدْ
ورَحِيبُ العيشِ لولا العطفُ ضَيِّقْ والنعيمُ العَزَبُ[6] مَسْلُوبُ النعيمْ
وأرى الإنسانَ بالعطفِ خليقْ فى جحيمِ العيشِ والعيشُ جحيمْ

ابحثُوا لى بينَ أطيافِ الرجاءِ
عن صديقى ذلك الطُّهْرِ البَراءِ
لن أملَّ البحثَ لو طَالَ العَناءْ
ليسَ هذا اليأسُ باليأسِ الحقيقْ فهو لن يُخْبِي فى نفسِي السَّعيرْ
حيرةٌ تائِهةٌ ماإنْ تُفيقْ وهى الوحدةُ أو عَيشُ القُبورْ

يا صديقَ الغيبِ يا طيفَ الأمَلْ
هَاهُنا قلبٌ من الوحدةِ مَلْ
ينشدُ الإخلاصَ فى قلبِ خَضَلْ[7]
وهو لاينوِى عِتاباً لصديقْ حينما يُخْطِىءُ أخْطَاءَ الغَرِيرْ[8]
فبحسبِى قلبُه السمحُ الرقيقْ في فَيافى العيشِ إلْفاً لِي سميرْ

---

(٥) فياح : منتشر .
(٦) العَزَبُ : البعيد الخفى ، من لا زوج له والمراد من لا مثيل له .
(٧) خضَلٌ : من خَضَلَ يَخْضَلُ : نَدَىٰ وابتلَّ : نَعُمَ ، والمراد قلب غض فيه حيوية وصفاء كصفاء الدُّرِّ .
(٨) الغرير : الساذج : الشخص بدون خبرة .

خراب ... ![1]

أقْفَرتْ شَيئـاً فَشيئـاً كاليبـاب غيرَ آثارٍ من النَبْتِ الهَشِيمْ[2]
باقياتٍ ريثمَـا يَسْفَـى[3] التـراب فإذا الكونُ خَلاءٌ فى وُجُومْ !

كان ينمُو هاهُنا نورٌ صغيرْ فوقَ نبتٍ لَيِّنِ العودِ هَزيـلْ
فَذَوىٰ النورُ ، وما كانَ نَضيرْ ! إنما المُعْـدَمُ يَرضَىٰ بالقليـلْ !

* * *

زهرةٌ فى إِثْرِ أُخرى تَحْتَضِرْ وهُـو يرنُـو ذاهـلاً للزَّهَـــرَاتْ
مُلْقَيـاتٍ حولَـه بيـنَ الحُفَــرْ والرِّياحُ الهُوجُ تَلوِى مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكـونُ حواَلَيـــه خَرابْ مُوحِشُ الأرجاءِ مفقودُ القَطِينْ[4]
وهو يرنو فى وُجومٍ واكتئابْ يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـــه والأنيـــنْ

ويُـدوِّى حولَـه صَمتُ الفَناءْ حيث تُمْحَىٰ كلُّ آثارِ الوجُودْ
أينَ ؟ ـــ لا أينَ ! ـــ الأمانِى والرّجاءْ طَمَسَ اليـأسُ عليها والكُنُـودْ[5]

---

(١) نشرت ١٩٣٢ .
(٢) الهشيم : اليابس من كلِّ شيء .
(٣) يَسْفَىٰ : من السَّافِ من الريح : ما حملته من التراب والغبار ؛ واحدته سافةٌ .
(٤) قطِينُ الدار : أهلها .
(٥) الكنود : نكران النعمة من كَنَدَ النعمة : كفرها وجحدها .

خريفُ الحياةِ[1]

بَكَرَ الخريفُ فلا ورودَ ولازهور ... ومَشىٰ الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ
صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو ... رُ بها ، وماتشدُو الجداولُ بالخريرْ
وسَرىٰ القَفارُ بكلِّ مُخْصِبَةٍ فَما ... تجدُ الخصيبَ بها ؛ وما تجدُ النضيرْ
والسُّحبُ طافيةٌ تُغشّى كالسُّتورِ ... وتسيرُ وانيةَ الخُطا سيرَ الأسيرْ
فإذا الحياةُ يغضُّ[2] رونَقها[3] الأسىٰ ... وإذا القلوبُ بها كَليمٌ[4] أو كَسيرْ

والحبُّ ! ويحَ الحبِّ من هذا البكورِ ... غامتْ عليه سحابةُ اليأسِ المريرْ
وذوتْ بجنتهِ أفانينُ المُنـــىٰ ... وخَبا بهيكلِ حُسنِه القبسُ المنيرْ
وسَها عن التقديسِ والتسبيحِ فى ... محرابِه العُبَّادُ مَسْحُورو الدهورْ
ومَشَوا بساحتِه كما يمشى الخلىُّ ... من الغرامِ فلا حنينَ ولاشُعورْ
هانتْ شَعائرُهُ ومَسَّ ستـــورَه ... فى جُرْأةٍ ، غيرُ المقدسِ والطَّهورْ

الأرضُ غيرُ الأرضِ فى دورانها ... لتكادُ مِنْ فَرْطِ السَّآمةِ لا تدُورْ
والريحُ غيرُ الريحِ فى جَولانِها ... لتكادُ تكتمُ فى جَوانِحها[5] الزفيرْ
والطيرُ غيرُ الطيرِ فى ألحانِها ... لتكادُ تَنْعَبُ بالخرابِ وبالثبورْ[6]
والناسُ غيرُ الناسِ فى آمالِها ... ليكادُ يجثُو اليأسُ فى تلك الصدورْ
بَكَرَ الخريفُ فويلَه هذا البكورَ ... ودنَا المصيرُ فويلَه هذا المصيرْ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) يَغضُّ : يقلل وينقص .

(٣) الرونق : الصفاء والحُسْن

(٤) كليم : مجروح من الكَلْم وهو الجُرْح .

(٥) الجوانح : مفردها الجانحة : ضلع من الصدر والمراد : داخل الصدر .

(٦) الثبور : الهلاك .

النفسُ الضائعة[1]

أئنِى أنا ؟ أم ذاك رمزٌ لغابرِ ؟ لَأنْكَرْتُ من نفسِى أخصَّ شعائرِى !
لَأنْكَرْتُ إحساسِى وأنكرتُ مِنْزَعِى[2] وأنكرتُ آمالى ، وشَتَّى خواطِرى
وأنكرتُ شِعْرِى وهو نفسِى بريئةٌ مُمحَضةٌ من كلِّ خِلطٍ مُخامرِ
وتَفْصِلُنى عما مضى من مَشاعِرى عهودٌ وآبادٌ طِوالُ الدياجرِ
وأحسبُها ذكرى ؛ ولكنَّ بُعدَها يخيِّلُ لِى : أنْ لم تمرَّ بخاطِرى !

أُنَقِّبُ[3] عن ماضِيَّ بين سرائرِى فألْمحُه كالوهمِ ؛ أو طيفِ عابرِ
أعيشُ بلا ماضٍ كأنِّىَ نَبتَةٌ على السطحِ تطفُو فى مهبِّ الأعاصرِ !
وما غايرُ الإنسانِ إلا جُذورُه فهل تمَّ نَبْتٌ دونَ جِذْرٍ مُؤازِرِ ؟
وقد يتعزَّى المرءُ عن فقدِ قابلٍ فكيفَ عزاءُ المرءِ عن فَقْدِ غابرِ ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِى التى قد فقدتُها بنفسِى التى أحيا بها غيرَ شاعرِ !
وأطلبُها فى الروضِ إذ كان هَمُّهَا تَأمُّلهُ يُفْضِى بتلك الأزاهرِ
وفى الليلِ إذ يغشى ، وكانت إذا غَفا تيقَّظَ فيها كل غافٍ وسادِرِ
وفى الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهمِسُ الرُّؤى وتُومِىءُ للأرواحِ إيماءَ ساحرِ
وفى الفجرِ ، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذىٰ[4] يفوحُ ، ويُشْجِى[5] سَمْعَهُ لحنُ طائرِ
وفى الحبِّ إذ كانت شُواظاً وحُرْقَةً ومَهْبِطَ آمالٍ ومَطْمَحَ ثائرِ

---

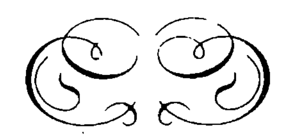
(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) منزعى : المِنْزَعُ : النزوع إلى الغاية والنزوع : الحنين والشوق .

(٣) أُنَقِّبُ : أبحث . (٤) الشذى : الرائحة .

(٥) يشجى : يطرب أو يثير إحساساته .

وفى النَّكبةِ النَّكباءِ والغبطةِ التى تجودُ بها الأقدارُ جُودَ المُحاذِرِ .
ولكنَّنى أيئستُ أن ألتقى بها وتاهتْ بوادٍ غامرِ التيه غَائرِ
سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه يدانِ ، ولا يَجْلُوه ضوءٌ لناظرِ



الغدُ المجهول[1]

يا ليتَ شِعْرِى[2] ، مايُخبِّئُه غَدِي ؟ إنى أروُحُ مع الظنونِ وأغْتدِى
وأُجِيلُ بَاصرتِى[3] بها وبَصيرَتِى[4] أبغى الهُدى فيها ، ومأأنا مُهتَدِ
حتى إذا لاحَ اليقينُ خِلالَها أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ
وأشحتُ عنه ، ولو أطقتُ دَعَوْتُه وطرحتُ عنى حَيْرَتِى وتَردُّدِى
فكأننــى الملّاحُ تَاه سفينــهُ ويخافُ من شطٍّ مريبٍ أجْرَدِ !

* * *

مَاذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ ياغدِى ؟ إنِّى أُحسُّ بهولِ هذا المولِدِ !
سَيصرِّحُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتِي فأبيتُ فاقدَ خيرَ ماملكتْ يدى
ستروغُ مِنْ حولى عواطفُ لم تزلْ تُضفى علىّ بعطفِهـا المُتـودِدِ
ستَجِفُّ أزهارٌ يفـوحُ عبيرُهـا حَولِى ؛ وينفحنى بها الأرجُ[5] النَّدِى
والمِشْعَلُ الهادِى سيخبُو ضوؤُه ويلفنى الليـلُ البهيـمُ بمفـردِى

* * *

ماذا تُخَلِّفُ يومَ تذهبُ ياغَدِى ؟ لاشيءَ بَعـدَ الفقـدِ للمتفقـدِ
« سَتُخَلِّفُ الأيامَ قاعاً صفصفاً[6] تذرُو الرياحُ بها غبارَ الفدفدِ[7] »
لَامُرتَجىٰ يُرْجَى ، ولا أسفٌ على ماضٍ يضيعُ كأنّه لَم يُوجَدِ
أبداً ولاذِكْرىٰ تُجَدِّدُ ماانطـوىٰ حتى التألم لايعودُ بِمَشْهَدِى !
رَبَّاه إنى قدْ سئِمتُ تَرَدُّدِى فالآنَ ، فَلْتقدُمْ بهولكِ ياغَدِى

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) ياليت شعرى : يتمنى أن يعلم .

(٣) الباصرة : قوة الإبصار .

(٤) البصيرة : قوة الإدراك والفطنة .

(٥) الأرج : أرِجَ الطِيبُ : فَاحَ .

(٦) صفصفا : المستوى من الأرض لانبات فيه

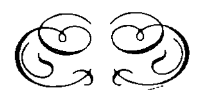
(٧) الفَدْفَدُ : الأرض الواسعة المستوية لا شيء بها .

غريبٌ .. ![1]

غريبٌ . أجل أنا فى غُرْبةٍ   وإن حَفَّ بى الصَّحْبُ والأقربُونْ
غريبٌ بنـــفسِى وماتنطـــوى   عليه حَنايا فؤادِى الحنُـــونْ
غريبٌ وإنْ كَانَ لمَّـــا يزلْ   ببعضِ القلوبِ لِقلبى حنيـنْ
ولكنّهـــا داخلتْهـــا الظنـــونُ   وجَاورَ فيها الشُّكُوكَ اليقيـنْ
غريبٌ فَوَاحاجتـــى للمُعيـــنِ   وواهفَ نفسى للمُخلصيـــنْ

* * *

أكادُ أُشارِفُ قفـــرَ الحيـــاةِ   فأُشْفِـــقُ من هولـــهِ المرعبِ
هنـــالك حيثُ رُكامُ الفَنـــاءِ   يَلُـــوحُ كمـــقبرة الـــغيهبِ[2]
هنـــالك حيثُ يموتُ الرّجـــاءُ   وتُثْـــوَى الأمـــانى كالمُتْـــعَبِ
فأرْجِـعُ كالجازعِ المُستطـــار[3]   أُرجِّـى أمانـىَّ فى المَهْـــرَبِ
ولكنـــه مُقْفِـــرٌ أو يكـــادُ   فيـا للغريـبِ ، ولم يَغْـــرُبِ !



---

(١) نشرت ١٩٣٤ .   (٢) الغَيْهَبُ : الظُّلْمَة .
(٣) المستطار : هائج مِنْ استُطِيرَ : ذُعِرَ وأُفْزِعَ ، ويقال : استُطِيرَ فؤاده .

مَرَّ يَوم[1]

مَرَّ يومٌ منــــذُ ماإستيقــــظتُ أمسِ مَرّ يومْ !
نَبـــأٌ يَأْبـــاه وِجْــدَانى وحِسِّى فهـــو وَهْــمْ

* * *

مَرّ يومٌ ؟ قالتْ الساعـــــــــهُ مَرَّ قولُ واثـــقْ !
أسألُ الشمسَ : أحقَّـــا ؟ والقمـــرَ فيوافـــقْ !

* * *

أهـــو يومٌ فى الـــرُّؤى لافى الزَّمـــانِ والحقيقَـــهْ ؟
أمْ تُرى يومٌ طَواه العَقْرَبـــــــانِ[2] فى دقيقـــهْ ؟

* * *

كيـــف مَرّ اليـــومُ ! ما هذا العـــجبُ كيـــف مَرْ
تَكْـــذِبُ الأفـــلاكُ أمْ حِسِّى كَذَبَ ؟ أمْ سَحِـــرْ ؟

* * *

لم تكـــنْ فيـــه حيـــاةٌ أو أمـــلٌ أو تَمَتُّـــعْ
وهـــو محْسُوبٌ علينـــا فى الأجـــلِ فهـو أضْيَـــعْ !

* * *

تُحسَبُ الأقـــدارُ بالْكـــــم[3] فلا هى تُفَـــرَّقْ

---

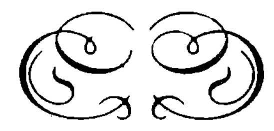
(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) عقربا الساعة حين تدير مفتاحها يطويان الدورة كلها فى لحظة واحدة ولا يكون معنى هذا مرور أربع وعشرين ساعة !.

(٣) بالكم : أى بالكمية لا بالقيمة .

بيـــــــــــنَ يومٍ مَرٍّ[٤] أو يومٍ حَلاَ أو تُحقــقْ !

ونُـــــــؤدِيها كما تَبْغِـــــــى الحسابَ وهـو عُمـــرْ !
فيــــه من خصبٍ وفيــــه من يَبـــابٍ[٥] وهـــى تَذْرُو



(٤) مَرّ : من المرارة ضد حلا من الحلاوة .
(٥) يباب : خراب .

إلى الثلاثين[1]

إلى الثَّلاثِين نَصِّى[2] الرِّكابَ[3] حَثِيثــةً[4] ياليـالِ
مَضى من العُمرِ أغلى اللُّبَابِ فلستُ آسٍ لِغَـالِ
مَضى من العُمرِ مايُستطابُ مِنَ بَهجــةٍ أو جَمــالِ
مَضى كما جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهــدُ المُنَــى والخيــالِ
وضَاعَ فى غَمرةٍ واضْطرابِ ومَــرَّ دُونَ احتفــالِ

فأسْرعى ياليَالِ

عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهِليــنْ ؟ وأىّ غيبٍ تَهــابْ ؟
وما احتفالٌ بِمرِّ السِّنين ؟ من بعــدِ مَرِّ الشَّبــابْ ؟
وما الذى ياليــالِ يكــونُ بعــد اكْتِهَــالِ الرِّغَــابْ
يكونُ ـــ وَاحَسْرتَاه ـــ السكونُ عَلى ضفــافِ اليَبــابْ[5] ؟
يكونُ ـــ كالقيد ـــ عَقلٌ رزينٌ ! يعطُــو[6] لشطِّ الصَّوابْ!

فيَا لسُوءِ المآبْ (٧)

فذلك العقـلُ رمــزُ القيــودِ ونحنُ شَرُّ العُنَــاه[8]
يَزُودُنا عن مراقِى الخُلُــودِ وخَيــرِ ما فى الحَيَــاه
والطَيشُ رمزُ الشَّبابِ المُرِيدِ يَسمُــو بِنــا عَن مداه
فنحنُ نَرْنُو لهذا الوجــودِ بِفِتْنَــةٍ وانْتِبَــاه

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٣٧ .

(٢) نَصِّى : اظهرى من نَصَّ يَنِصُّ : رفع وأظهر ، عيّن وحدّد .

(٣) الرِّكاب : السَّرْج : ماتوضع فيه الرِّجل ، والمراد : الاستعداد والتهيئة من (نصّى الركاب) .

(٤) حثيثة : من الحثيث : السريع الجاد فى عمله .

(٥) اليباب : الخراب .

(٦) يَعطو : يبطىءُ .

(٧) المآب : المصير

(٨) العُنَاه : مفردها عانٍ : الخاضع الذليل .

فلا نُبالى بِصَرْفِ[9] الجُدودِ[10] ولا نَخـــــافُ الغَـــــداه

فكلٌّ يومٍ حَياه

يُضاعَفُ اليومَ مِنِّى المُصَاب إنْ لَمْ أعِشْ بالخيـــــــالِ

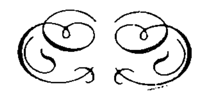
قَضَيتُ ـــ واحسرتاه ـــ الشبابَ كالكهـــــــلِ فى كلِّ حَالِ

يَجيشُ بالنفس سَيْلُ الرِّغَابِ فلا يُمْسى اعتـــــــــدالْ

وَوُجْهَتى فى الحياةِ الصَّوَابُ ونظـــــرتى للمـــــآلْ ! [11]

عصيتُ أمْرَ الحياةِ المُجَابُ فكــــــان رُشْدى ضَلالى !

فأسْرِعى ياليالِ



(٩) بَصْرف : من صَرْف الدهر : نَوائبه وحِدْثانه .

(١٠) الجدود : الحظوظ والمراد : فلا نبالى بالأحداث التى يخطها الحظ لنا .

(١١) المآل : المصير والنهاية .

خُطَا الزَّمنِ الوَثَّاب[1]

خُطَا الزَّمنِ الوثَّابِ . بعضَ التَّوثُّبِ ... إلى أينَ ؟ قد أوْغَلْت فى غيرِ مَذْهبِ
تَمُرِّينَ كالأوهامِ لا أسْتَبِينُها ... وتَمضِينَ عَنِّى مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبِ
وإنى لكالمخمُور قد غابَ وَعْيُه ... وكالشَّبح الهَيْمانِ[2] فى غيرِ مَطْلَبِ
تشَابهتْ الأَبعادُ عِنْدِى فما أرَىٰ ... أمامِى فَرقاً بينَ نَاءٍ ومُكْثَبِ
ويَارُبَّما نَسِى أمُوراً قَرِيبَةً ... وأوغَلَ فى الماضِى البعيد المُنَكِّبِ

خُطَا الزَّمنِ الوَثَّابِ . بعضَ التوثُّبِ ... طَويت حَياتى بينَ صُبحٍ ومَغْرِبِ
قِفِى لحظةً ؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذى ... ضَممْتِ ثَنَاياه على كلِّ مُعْجِبِ
وأسْتَرْجِعُ المَاضِى رُويداً وَهِينَةً[6] ... أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحِكُ الصَّبِى
وأسْمَعُ أوهامَ الفتىٰ وخَيالَه ... كما يَسْمَعُ المُشتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
قِفى لحظةً ؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذى ... أبَحْتُ له من مُهْجَتِي كلَّ مَشْرَبِ
وغَذَّيتُه نَفْسِى ، وقَدْ بِعْتُ دُونَه ... حَواضرَ أيامِى ومَاضِى المُجَرَّبِ
قِفى . أنتِ قد جَفَّلتِ[7] مَاضِيَّ فانزوى ... ونَفَّرتِ آمالى وعَمَّيْتِ مَأرَبِى[8]

تَمرِّينَ ياأيامُ قَفْراءَ ؟ أمْ أنا ... خَويتُ[9] من الإحساس ؟ قُولى وأطْنبِي
وأحْسَبُ أنْ لَن تُعْرِبِى[11] بمقالةٍ ... إذا كان سَمْعى لايصيخُ لمُعْرِبِ !

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٣٧ .

(٢) الهَيمان : من هَامَ يَهيمُ : خرج على وجهه فى الأرض لا يدرى أين يتوجه .

(٣) ناء : بعيد . (٤) مكثب : قريب .

(٥) المنكِّب : من نَكَّبَ عنه : عَدَلَ وتنحَّى .

(٦) هينَة : يقال : امش على هِينتك : على رسلك : على مهل وتُؤدة .

(٧) جَفَّلتْ : طردتِ . (٨) مَأربى : حاجتى الشديدة .

(٩) خَويتُ : من خَوَىٰ المكان : خلا مما كان فيه .

(١٠) أطنبى : أطيلى (تكلمى تفصيلا) . (١١) تعربى : توضحى وتبينى .

نهايةُ المَطَاف[١]

تَنْشُدُ السُّلْوَانَ[٢] من حُبٍّ عَقِيمِ   وتَرومُ البُرْءَ من دَاءٍ قديمْ

هاهُو السُّلوانُ فانْظُرْ : أتَرىٰ   شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ ؟

شَاه[٣] فى خاطرِك الكونُ وماتْ   وتَخَلَّتْ عنك أحْلَىٰ الذِّكْرَياتْ

وبَدَا العُمْرُ حَزِيناً عَاطِلا   كامِدَ السَّحْنَةِ[٤] مَجفُوَّ[٥] السِّمَاتْ

قَدْ مَضَىٰ الحُلْمُ ، فَحقِّق فى العَيانْ   هل تَرىٰ إلَّا خواءً[٦] فى الزَّمَانْ ؟

وتهاويلُ الرُّؤىٰ ... ياويَحها !   غالَها[٧] الصَّحْوُ فماتتْ مُنْذُ كَانْ !

نَمْ قَرِيرَ العينِ إنْ كنتَ تَنامْ   لَفَّكَ الصمتُ وغَشَّاكَ الظَّلامْ

يَأْمَنُ الدُّنيَا ويَخْلُو لِلكَرىٰ   مُعْدَمُ الكفينِ مَفْقُودَ الحُطَامْ[٨] !

قَدْ خَلا الهيكلُ من وَحْيِ الصَّنَمْ   وغَدا معبودُكَ الأسْنَىٰ[٩] حُطَمْ[١٠]

أتُطيقُ الآن تَحيا مُلْحِدَا   أم تُرى تَخلُو لشيطانِ النَّدَمْ

ضِقْتُ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ   أتَرىٰ الأَمْنَ هُنا بين اليَبَابْ ؟

أيها المنكوبُ فى أحلى المُنَىٰ   الحياةُ الحبُّ والحُبُّ العَذابْ !

ضِقْتَ بالقيدِ ! فهاأنتَ طَلِيقْ !   مايُبَاليكَ إذن حَادِى الرَّفِيقْ !

فَهُو يُخْلِى[١١] فى الفيافِى[١٢] كلَّ مَنْ   لايُساوِى ثَمَنَ القيدِ الوَثِيقْ !

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤٥ .

(٢) السُّلْوان : من سَلَا يَسْلُو : نسيه وطابت نفسه بعد فِراقه .

(٣) شاه : قَبُحَ .

(٤) السَّحْنَة : الهيئة

(٥) مَجفُو : من جفا يجفو : غَلُظَ والمراد : حزين الهيئة غليظ السمة والطبع .

(٦) خواء : من خَوَىٰ يخْوِى : خلا مما كان فيه . والمراد : الفراغ .

(٧) غالَها : أهلكها .

(٨) الحطام : متاع الدنيا .

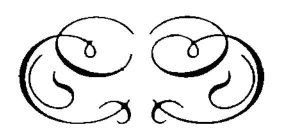
(٩) الأسنى : الأعلى .

(١٠) حُطم : مُحطّم .

(١١) يخلى : يترك .

(١٢) الفيافى : الصحراوات .

عُمْرُك الفَارِغُ كالثِّقْلِ زَهيدْ ليس فيه مِنْ طَرِيفٍ[١٣] أو تَليدْ
وهـي الأيامُ تَقْضِي مِثْلَمـا تَنْقَضِي أيامُ مَأجُورٍ شَريدْ
أينَ أحْلامُكَ بالعُشِّ الجميلْ ؟ أينَ آمَالُك في الظِّلِّ الظَّليلْ ؟
قَدْ مَضَى الحُلْمُ ووَلَّى مُوهِنَا فاركَنْ الآن إلى الصَّحوِ الطَّويلْ !
نَمْ يامنكـودُ[١٤] ماكـنتَ تَرومْ ومَشَى السُّلوانُ في الحبِّ القديمْ
نَمْ قَرِيرَ العَينِ واهناً بالكَرَى الكَرَى المَيِّت في القلبِ العَقيمْ !



(١٣) طريف أو تليد : حديث أو قديم .

(١٤) منكود : سيء الحظ ، الشؤم .

الحـــنين

كان والمؤْلـمُ فـى « كان » الفَنَـاءُ !

حيث لا رجعـى ولا طيـفُ أمَـلْ

سيد قطب

عَهدُ الصِّغر (١)

إذا الليلُ جَنَّ (٢) تجيشُ (٣) الفِكَرُ ... ويُؤرِّقُ جَفْنِـى مَرُّ الذِّكَـرْ
ويَخلُـو فؤادِى لِأحلامِـه ... فيجعلُ منها حديثَ السَّمَرْ
وتَخْلُدُ رُوحى إلى الذكريـاتِ ... فَتَسْرى تِبَاعاً سِراعاً تَمُرْ
فآنـا تَؤزُّ (٤) وآنـا تَلِـذُّ ... وآنـا تَسُوءُ وآنـا تَسُرْ
هدوءٌ طويـلٌ وصمتٌ رهيبٌ ... وفى النَّفْسِ أشجانُها تَشْتَجِرْ
إذا ماذَكَرْتُ زمانـاً تَقَضَّى ... بديعَ الرُّسُومِ جميلَ الأثـرْ
تراءى لِنَفْسِى عهدُ الصِّغَرِ ... فتشتاقُ نَفْسِى لعهدِ الصِّغَرْ
لعهدِ الرِّضَاء وعهدِ الحبُورِ ... وعهدِ الصَّفاء القليلِ الكَـدَرْ
أنـامُ وأصْحـو على ما أشاءُ ... طروبَ الفؤادِ قريرَ النَظَـرْ
وتصحُو الغزالةُ (٥) مِن خِدْرِها ... فتزهُو الورودُ ويحيا الزَّهَـرْ
وتبدو الرياضُ رياضُ القُرى ... بوشيٍ جميـلٍ ووجـهٍ نَضِرْ
ويَسْجَعُ فيها الحمامُ طروبـاً ... وتشدُو البلابلُ فوقَ الشجـرْ
رعى الله عهداً جميلاً تَوَلَّى ... وخَلَّفنِـى للأسى ثُمَّ مَرْ
وأسْلَمنـى لِصعـابِ الأمورِ ... وكيدِ الصُّروفِ وطولِ السَّهـرْ

* * *

ألا يَارَعى الله عهدَ الصِّغَرِ ... ألا يا لحا (٦) الله عهدَ الكِبَرْ
فذلك عهدُ صَبوحٌ أغَـرُّ ... وهـذا عبوسٌ ظَلـومٌ قَتِـرْ (٧)

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٢٨ .

(٢) جَنَّ الليل : أظلم .

(٣) تجيش الفكر : تتدافع وتتدفق الأفكار .

(٤) تؤز : تهزُّ وتحرك فى شدة .

(٥) الغزالة : يقصد الشمس .

(٦) لَحَا فلاناً : لامه وعزله . والمراد : معاتبة عهد الكبر والمراد قبحه ولعنه .

(٧) ضيق العيش من قَتَر. فلانٌ قَتْراً : ضَاق عَيْشهُ .

جولة فى أعماق الماضى[١]

حَدِّثانِى بما مَضَىٰ حَدِّثَانِى ... وأعيدَا إلىَّ عَهْدَ الأمانِى
واذكُرا لى زمانَ عشتُ طَروباً ... لا أُبالى بحادِثاتِ الزمانِ
وصِفَا لى لياليـاً قَد تَقَضَّتْ ... كنتُ فيها كالحالِمِ الوَسْنَانِ
صَوِّرَا لى الرياضَ والزهرَ والور ... دَ ولحنَ الطيورِ عَذْب الأغانِى
وأعيدَا لمَسْمَعِى ذكرياتٍ ... لا تَصَدَّىٰ لها يدُ النِّسيانِ
واسمحَا لى بزفرةٍ وحَنينٍ ... ليس لِى سَلوة سِوى التحنانِ[٢]
واغفرا لى دُموعَ عينى فإنى ... لأرى الدمعَ فوقَ كل بيانِ
إنهُ النَّفْسُ رُقِّقتْ ثم سَالتْ ... أو هو القلبُ ذَائباً من حنانِ
وأقلُّ الوفاءِ للعهدِ ذِكْرىٰ ... هى خيرٌ من حاضرِ الأزمانِ
وقليلٌ عند التذكُّر شوقٌ ... ودُموعٌ تُكِن أسْمى المعانى
إنّ ذِكْرى القديم للنَّفْسِ تُؤسِى[٣] ... وتُهيِّجُ الشُجونَ للوجدانِ
وهُو واللهِ بعضُ أجزاءِ نَفْسِى ... باعدتْ بينها يَدُ الحَدثَانِ[٤]
فاذكُرَا لِى القديم همساً ورفقاً ... ودَعَانى أجيشُ لا تَعذِلانِ

* * *

ياديـاراً نَشأتُ فيها صبيًّا ... وصَحِبتُ الشبابَ فى العُنفُوَانِ
لكِ منى تحِيةٌ وسلامٌ ... أنتِ دارُ النعيمِ والرِّضْوانِ

---

(١) نشرت فى فبراير ١٩٢٨ . ثم نشرت فى مارس بعنوان (سبحة فى أغوار الماضى)
(٢) التحنان : الحنين الشديد ، أو الرحمة . قال تعالى ﴿ **وحَنَاناً من لَدُنَّا** ﴾ .
(٣) تؤسى : تُحْزن من أسِىَ عليه وله يَأْسَى (أساً ، وأسىً) : حَزِنَ .
(٤) الليل والنهار .
(٥) رسيس من رسَّ يرُسُّ رسيسا : دخل وثبت والمراد : أثر باق ثابت .

فيك يادارُ من صِباي رسومٌ زاهيـاتُ النقـوشِ والألـوانِ
هي عندى أعزُّ من كلِّ شيءٍ وهى تبقى وكلُّ ماعَزَّ فَانِ
فيك يادارُ من هَواى رَسيسٌ[٥] وألـذُّ الهوىٰ هوىٰ الشُّبـانِ

فهو رَوضُ الحياةِ فى ذلكِ الحيـ ـنِ وفيه القُطوفُ شتىٰ دَوانِ[٦]
وهو وحى من جانبِ الله يُوحىٰ وهو سرُّ الإلـه فى الإنسانِ
ما أرى العيشَ غيرَ حبٍّ برىءٍ من ذَميمِ الأهـواءِ والأدْرَانِ
رُبَّ يومٍ قضيتُه فى حُبورٍ بين جمعٍ من صفوةِ الخِلَّانِ
دونَـه الدهـرُ والحيـاةُ جميعـاً فى رِضاءٍ ومتعـةٍ وامتنـانِ

* *

إن تلك الحياةَ شىءٌ عجيبٌ وهى النَّفْسُ كلَّ يومٍ بِشَانِ
كيف كان الربيعُ ثوباً بهيجاً وهـو اليـومَ نَاصِلُ[٧] الألـوانِ ؟
ها هو الروضُ والوردُ والزهـ ـرُ وهذا الحَمَامُ من فوق بانِ
لأرى الوردَ غير جذرٍ وساقٍ أو أُحِسُّ الغِناء عذباً شَجانِى
إنها النَّفْسُ حين تَصفُو تَراها خلعتْ صَفْوهـا على الأكـوانِ
وهي النَّفْسُ حين تَغْبَرُّ يَبْدُو كلُّ نورٍ أمامهـا كالدُّخـانِ
لو تساوىٰ الإحساس فى كلِّ آنٍ تتساوى الأشياء فى كلِّ آنِ
عَمَّـرك الله ما المحاسنُ إلا صورةُ النَّفْسِ فى بديع افتنانِ
وكذا القُبْحُ صورةٌ قد تَراءتْ فى خيـالٍ فحُقـقت للعيـانِ
فرعى اللهُ عهـدَ أُنسٍ أرانى صورةَ الكَونِ فى جمالِ الحسانِ
وَرَعـى الله خيرةً ورفاقـاً ورَعَـى اللهُ أربعـاً[٨] ومَعـانى[٩]

---

(٦) دوَان : دانية : قريبة .
(٧) ناصل الألوان : زالت ألوانه من نَصَلَ اللونُ ينصُلُ نَصْلاً : زال .
(٨) أربعاً : مفردة رَبْع ، والرَّبْعُ محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً .
(٩) المَعَانُ : المنزل .

المَاضى[1]

شَبَـــحُ الماضى ومــــا الماضِى سِوى بعضِ نَفْسِى قَد تولاَّه العَدَمْ
يَتراءى كُلَّمــا شَطَّ[2] النَّـوىٰ[3] فإذا الذكـرىٰ شُجُـونٌ وألـــمْ
وإذَا الكَامِنُ[4] فى نَفْسِى ثَارَ
جَائشاً[5] مُضْطرِماً
كالجحيمْ

كُلَّمـــا أقْبــــلَ يومٌ ومَضَىٰ أوْغَلَ الماضى بمجهولٍ سَحِيقْ
ذاهبـــاً عنـــي كبرقٍ أوْمضَا ثم دَوَّىٰ بعدَه الصمتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحتَه صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا[6]
ووجُومْ

آه لو ملكتُ تصريفَ الزَّمنْ كيفمَـا أهـوىٰ وأنَّـــى أرْغَبُ
لرجعتُ الدَّهْـرَ للمـاضِى إذَنْ فإذا بِى حيثُ كُنَّـا نَلْـعَبُ
ورِفاقٌ لَيِّنو العودِ صِغارٌ
ليس تدرِى الأَلَما
والهُمُومْ

زَهَــــــرَاتٌ نَضِرَاتٌ باسماتٌ تَلْمَـحُ الغِبْطَـةَ فيها والــرِّضَاءْ
مَرِحَـــاتٌ مُشرقـــاتٌ لاهيـــاتٌ لا تَرىٰ فى الكونِ إلا ماتَشَاءْ
فهو روضٌ زَاهِرٌ دَانى الثِّمارِ

---

(1) نشرت فى يناير ١٩٢٩ .
(2) شطّ : بَعُد .
(3) النوى : الفِراق .
(4) الكامن : المختفى .
(5) جائشا : هائجا .
(6) أضرما : أشِعل .
(7) الغبطة : الفرحة .

وهي نورٌ قد نَمَا
في الكُرومْ

تَتَساقى[8] الودَّ مِنْ غيرِ انْتِباه   فإذا العـيشُ سرورٌ وفَـرَحْ
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه   تتبـدَّى في نشاطٍ ومَـرَحْ

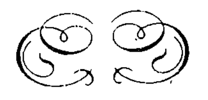
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ

أينَ مِنِّى ذلك العهدُ الوَسِيمُ   أينَ مِنِّى بعضُ أيامِ الصِّغرْ
إنَّها مَرَّتْ كما يهفُو[9] النسِيمُ   فيُحَيِّـي ويُحييـه الزَّهَـرْ

ذهَبَ الماضِى وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُماً
كالظَّليمْ[10]

أيُّها الماضِى رُويداً في خُطَاكَ   فعلامَ اليومَ تَمْضِى مُسْرِعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنا طولُ نَواكَ[11]   وبِحَسْبِى مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا

لَجَّتْ[12] الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ



(8) تتساقى : تتبادل الشراب .
(9) يهفو : يحنُّ ويشتاق .
(10) الظليم : ذكر النعام .
(11) نواك : فراقك .
(12) لجت : لازمت وتمادت من لجَّ في الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

رِثَاءُ عَهْدٍ[1]

أأنا أَرْثيكَ يا عَهْدَ المُنَىٰ ؟ أأنا أَرْثيكَ يا عهدَ الوَفَاءِ ؟
أنْتَ يَا عَهْدُ . أأَرْثِيكَ أنا ؟ لا . فَلَنْ أقوىٰ على هذَا الرِّثَاء !

لا . ولَنْ يَجرى على الطِّرْسِ[2] قلمْ لا . ولَنْ تُعْلِنَ هَذَا كَلِمَاتْ
أرِثَـاء ؟ أغَـدًا الماضِي عَدَمٌ ؟ أو هل يَغْدُو رَهيناً بِفَواتْ ؟

* * *

رَبِّ . حقٌّ ذاكَ أمْ هاجِسُ سُوء يَنْفُثُ الهمَّ بِنـفسِي والقَلَـقْ ؟
أمضَىٰ عهدٌ هو العمرُ الهنِيءُ ؟ أو حقٌّ ذاك ياربُّ أحَـقْ ؟

* * *

أو عهـدٌ هو رَيَّـا مُهْجَـتَين[3] وهُو سَارٍ[4] فى الحَنَايَا والشِّعَابْ
يَنْطَوِى كالبرقِ فىٰ غَمْضَةِ عينٍ ثم يبدُو لائحاً مِثْل السَّرَابْ ؟

أو يغدُو ذلك العهدُ الوسيمُ حُطَاماً[5] تَلْهُو به أيدِى الفَنَاءْ ؟
زَهْرَةٌ فى الكُمِ[6] تَلْقَاهَا هَشيِمْ[7] ونعيماً وَادِعـاً يَضْحَـى شِفـاءْ

* *

أهُنَـا مَثْـواكَ ياعهـدُ . هُنـا ؟ أهُنا ياعهدُ أقْصَىٰ خُطَواتِكْ ؟

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٢٩ .

(٢) الطرس : الورق الذى يكتب عليه .

(٣) ريَّا مهجتين : مايروى قلبين .

(٤) سار : سارى : منتشر .

(٥) حطماً : بقايا لا فائدة منها .

(٦) الكم : البرعم .

(٧) هشيم : عشب جاف .

وإذا أدْعُوك ياعهـدَ المُنَـىٰ لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتِكْ ؟

* * *

وإذا قَلّـبْتُ ياعهــدُ يديَّ حسرةً قاتِلــةً أو لَهْفَـــا[^8]
أتُـرىٰ تَرنُـو بإشفــاقِ إلــيّ أم تَرُدَّ الطَّرْفَ عَنِّى صَدْفا[^9] ؟

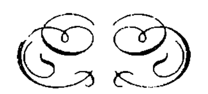
* * *

ولو انى اسطعتُ يا(عهدُ) الرِّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ سنينْ
فبـأي القـولِ أسطيـعُ الوَفـاءْ وبأيِّ الدمـع تُذْريـه العيـونْ ؟

أنْتَ جزءٌ من فؤادِى قَدْ فقدتُه ماغَنَاءُ[^10] القولِ فى صَدْع فُؤَادْ ؟
أو غَنَاءُ الدَّمْعِ فى ماضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَىٰ ما أُرَجِّى مِنْ تِلادْ ؟[^11]

* *

آه ياعهـدُ ومـــا آلَــمَ آهْ وهى ذَوْبُ النفسِ لارَجْعُ أنِينْ
أُغربِى عَنِّي بعيداً يا حَيـاهْ لايطيقُ العيشَ منكوبٌ حزيـنْ



---

[^8]: (٨) لهفا : شوقا .

[^9]: (٩) صدْفَا : من صَدَفَ عنه يَصْدِفُ صَدْفا : أعرض ومال وصدف فلان عن الشيء : صرفه .

[^10]: (١٠) غَنَاء : فائدة .

[^11]: (١١) تلاد : المال الأصلى القديم والمراد : الأصالة .

عَهْدٌ ذَاهِب ؟!

عَزَّ حتـى لَتُوقِيـه العيـونُ   وتَفْديـه الأمَـانى والقُلـوبْ
وتَسامَىٰ عَنْ مَنالاتِ الظُّنونِ   وبَدَا كالخُلْدِ مَأمونَ المَغِيبْ

لا تَراه النـفسُ إلَّا بَاقِيـا
أبـدَ الدهـر قَويّـاً وَاقِيـا
طاهرَ الأردَانِ[2] عَفًّا سَامِيَا

كالرجاءِ العَذْبِ فى الذِّهن الخصيبِ   زَاخِراً مَا إنْ يُرائِى أو يَخيبْ
هُو عَهدٌ صِيغَ من حُبٍّ نَقيٍّ   وسُمُـو فوقَ إحْساسِ البَشَرْ
وَوِقاءٌ سابغُ الغيضِ[3] نَدِيٌّ   وحَنانٌ مِثلَ أرْواحِ الزَّهَـرْ

صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ[4] النَّقاءْ

وتَجلَّى الغيبُ عَنْه فسفَـرَ   فى جلالٍ وجمالٍ مُزْدَهِـرْ
كَانَ . والمُؤْلِمُ في « كَانَ » الفَناءُ !   حيثُ لا رَجْعَيٰ ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَاه بَغْتَةً سَهْمُ الـقَضَاءِ   فَتَراخَىٰ فى انحلالٍ واضْمَحلْ

وتَراءى بَعدَ حِيـنٍ خَالِيَـا
من رُوَاءٍ[5] كانَ فيه حَالِيَـا[6]
مُوحِشُ الأرجَاء يبـدُو خَاوِيَـا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .

(٢) الأردان : من الرَّدْنْ : ما يخرج مع المولود والجمع أردان ـــ أو القز أو الخزُ أو المغزول والمراد : طاهر الوسط الذى يعيش فيه .

(٣) الغَيْضُ : القليل .. يقال أعطاه غيضاً من فيض : أى قليلا من كثير .

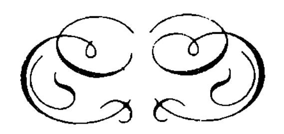
(٤) أفاويق : مفردها ، الفِيقَةُ : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والمراد بأطيب وأطهر الطعام .

(٥) رواء : جمال .   (٦) حاليا : مزينا .

غاضَ[٧] مِنه كلُّ أُنْسٍ وارتَحلْ مِثْلَما يَخْلُوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[٨]
أيُّها العهدُ الذي مَرَّ . وداعاً هو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ
سوفَ تبْقَى أبدَ الدَّهْرِ شُعاعاً فى ضميرى يَتَراءى فى الظُّلَمْ

سوف أبْكيكِ بُكاءَ الثَّاكِلِ[٩]
وأُرويكِ بِدَمْعِى الهاطِلِ
وأُناجِيكَ بِقَلْبِي الذَّابِلِ

طَالَما أحْيَا فَأمَّا يَنْصَرِمْ[١٠] ذَلكَ العمرُ تولّانا العَدَمْ



(٧) غاض : نضب وانتهى .
(٨) الطلل : بقايا الدور .
(٩) الثاكل : من فقد وحيده .
(١٠) ينصرم : ينتهى .

السعادةُ حديثُ الأشْقِياء[1]

إيه حَدِّثْ عن السَّعادةِ إنى قد مللتُ الشَّقَاء كلَّ الشَّقاءِ
أطْلِعْ الصُّبحَ في حَديثِك يجلو بعضَ هذا الأسى بِفيضِ الضِّياءِ
يا أخي ضَاقَ بالحوادثِ ذَرْعى[2] وسَئِمتُ الشَّكَاةَ مِنْ بَأسائِي
ومَلِلتُ الحديثَ فيها فحدِّثْ أنتَ يا صَاحِبي حديثَ الهَناءِ
إنَّ بعضَ الحديثِ يُدنِي الأمانِى بخيوطٍ — وإنْ وَهتْ —[3] مِنْ رَجاءِ

أبعثْ الطَّرْفَ في الفَضاءِ مَليًّا فأرىٰ الأفقَ ضيقاً فى الفَضاءِ
والصباحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْرِي لفؤادِى كما سَرَى بالرِّضَاءِ
والربيعُ الأنيقُ ما عَادَ يُذْكِي فِيَّ وَمْضَ[4] الحياةِ كالأحياءِ
والجمالُ الذى يَشيعُ فى النفسِ رُوحاً عادَ مَيْتاً مُعَطَّلَ الإيحَاءِ
هى نفسٌ أحالتْ الكونَ قَفْرًا فتراءَى مُعطلاً مِنْ وَرَاءِ
هى نفسٌ تَحطَّمَتْ يالنفسِى هي دَائِي فلستُ أرجو شِفَائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشُّجُون وهاجتْ حُرقَاتى وأيقظتْ لأوائِي[5]
يا أخِى هَاتِ من حديثِك . صَوِّرْ فى خَيالي مَلامِحَ السُّعَداءِ
كيفَ يَحيَون غِبْطَةً وابتسامَا كيفَ يرضَون للأمانِى الوضَاءِ
أو فأمْسِكْ فكلُّ شيءٍ مُثيرٌ لِشُجُونِي . وخَلِّنِى وشَقَائِي

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٠ .
(٢) ضاق ذرعى : لم أطق : لم أتحمل .
(٣) وهت : ضعفت .
(٤) ومض : بريق ، لمعان .
(٥) لأوائى : المراد أيقظت آلامه وآهاته .

وَحْي الريف

(١)

ليلات في الريف[١]

مِنْ حنينِ الفؤادِ ؛ من خَفَقَاتِه ذلك الشِّعرُ ، من صَدى زَفَرَاتِه[٢]
وَسِعَتْه الألفاظُ وَزْناً ومَعْنَىٰ ثم ضاقتْ عن رُوحه وسِمَاتِه
هُو وحيٌ لذكرياتٍ حِسَانٍ أوْدَعَ الخُلْدُ بينها ذِكْرَيَاتِه
وليالٍ يَا حُسْنَها مِنْ ليالٍ يَشْتَرِيها مُخلّدٌ بحياتِه
هَمسَ الصمتُ بينها هَمسَاتٍ خَفَّضَ الكونُ عِنْدها خَفَقاتِه
وسَرَىٰ البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْتَغْرِقٍ فى سُباتِه

* * *

يا جمالاً بريفِ مِصرَ قريراً هادىءَ البالِ فى خُشوعٍ وَقُورِ
لستُ أنسى لياليَا فيك مرتْ هُن أطيافُ عهدِنا المَأثُورِ[٣]
حينَ نَسْرِى والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً فوقَ سهلٍ كالعيْلمِ المَسْجُورِ[٤]
بينما الزهرُ حالمٌ فى رُبْاه وغُصونٍ مُهَدَّلاتٍ[٥] الشُّعُورِ
وخريرُ الأمواهِ ساجٍ[٦] رتيبٌ مثلَ شَدْوٍ فى عَالَمٍ مَسْحُورِ
ونَجيٌّ[٧] من الرِّفاقِ بِهَمْسٍ وحديثٍ مُسْتَعذَبٍ مِنْ سَميرِ
قَدْ وَعَىٰ الدهرُ هذه الليلاتِ ووعينَا آثارَها الباقياتِ
فهى ذِكْرىٰ تَوشَّجَتْ[٨] بنفوسٍ حانياتٍ لطيفِها رَاجِفَاتِ[٩]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .

(٢) زفراته : الزفرة : مايخرجه الإنسان نفس حار ، والمراد ما ينفس بها عن نفسه .

(٣) المأثور : المفضل .

(٤) العيلم المسجور : البحر المملوء .

(٥) مهدلات : مسترسلات الشَّعر .

(٦) ساجٍ : ساكن هادىء .

(٧) نجيٌّ : من النجوى : الحديث الخافت بين الرفاق .

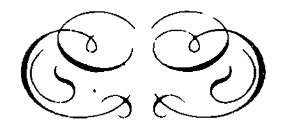
(٨) توشجت : ارتبطت برباط قوى (وشيجة ، وشائج) .

(٩) راجفة : مرتعشة (ليس عن خوف ولكن عن انفعال) .

سوف تُبقيه رُقْيةٌ من خُلودِ   عوَّذَتْها[10] الفناءَ والحادثات . !

هذه مَسْكَةٌ من الأبدِ البَا   قي المعهودِ قبلَ خلْقِ الحياة

ذَخَرَتْها الأحقابُ حتى اجتمعْنَا   فأبيحتْ فمالَها من فوَات



(١٠) عوّذتْها : حصنتها .

(٢)

العودةُ إلى الريف[١]

مَهْـدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحـلامِ وطَنـى علـيك تَحيتِـى وسَلامِـى
ياريف فيك من الخلودِ أثَارَةٌ[٢] تنسابُ فى خَلَدِى[٣] وفى أوْهامِى
وتردُّ إحْسَاسِى إليك إذَا خَلَتْ نفسى إلى الآمالِ والآلامِ
وكأنَّنِى المسحورُ يَقْفُو سَاحِراً فى بُهْـرةٍ[٤] كالطائـفِ النَّـوامِ !

* * *

إنى فقدتُكَ فى الطفولةِ غافِلاً عَمَّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السَّامِى[٥]
لكن وجدتُك إذ كبرتُ بخَاطرى رمـزاً أُحيـطَ بِغَمْـرةِ الإبهامِ[٦]
وتـكشفتْ نَفْسِى فلُـحتُ[٧] كأنما نَفْسِى وأنْتَ جُمِعْتُمـا بِتُـؤامِ[٨]
ووجدتُ أحْلامى لديكَ وَضيئةً لم تُبْـلِ[٩] جِدَّتَهـا يدُ الأيـامِ
واليومَ عُدتُ إليكَ أحْسَبُ أننى طيرٌ يؤوِّبُ بعدَ جهدٍ دَامِ[١٠]
يا ريفُ تَدعُونى إليك ؛ وإننى للمستطارُ إلى لقاكَ الظَّامِى !

* * *

هذا الهدوءُ كأنّما هُو عَالَمٌ فى الوهمِ ، لَمْ يَتَبَدَّ لِلأقوامِ
وكأنّه الحُلُمُ الجميـلُ يَحوطُـهُ صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسامِى
وتَـحُسُّ بالسرِّ العميـقِ تَخالُهُ يُضْفِـى على الأيقـاظِ . والنُّـوامِ

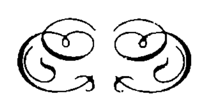
---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .
(٢) أثارة : بقية .
(٣) خَلَدى : عقلى .
(٤) فى بهرة : فى دهشة .
(٥) غادر الشاعر الريف صبيا .
(٦) الإبهام : الغموض .
(٧) فلحت : فظهرت .
(٨) بِتُؤامِ : التؤام : الصَّدَف ، التُّؤامية : الدُّرَّةُ
(٩) لم تُبْلِ : لم تفنِ [من تُبْلِى] .
(١٠) دام : من الدم أو من الدوام .

ويلوحُ فى وضح النهارِ وَينْطوِى ما بينَ طياتِ الظَّلامِ الطَّامِى[11]
هو ذلك السِّرُّ الذى مِفْتَاحُه ضُمَّتْ عليه جَوانِحُ الأهرامِ

* * *

إنى أجولُ بِخاطرٍ مُتنقلٍ فى حيثما امتدَّ البسيطُ أمامِى
فإذا مَواكِبُ للجمالِ وَديعةٌ جَمعتْ طرائفَها يَدُ الإلهامِ
للطيرِ فيها ، للأزاهرِ ، مَوْكِبٌ للناسِ ، للحشراتِ ، للأنْعامِ !
مُتآلفينَ ، سَرىٰ الرِّضَا لنفوسِهم فيما اغْتَذَوا من مَشْرَبٍ وطَعامِ !
كلٌّ يرجِّعُ للطبيعةِ لَحْنَه فى ذلك الوادِى الخصيبِ النَّامِى
وهُنا الطبيعةُ كالغريرةِ[12] إنما وَرِثَتْ وقارَ أُبوّةٍ مُتَرامِ[13] !
تَلْهو ، ولكن فى براءةِ طِفْلةٍ من نَسْلِ آلهةٍ غَبَرْنَ كِرَامِ !
عَبَدتْهم الأوهامُ فى غَمَراتِها واندسَّ بعضُ الوهمِ فى الأفهامِ
وتَوارَثْته طبيعةٌ خَلَدَتْ بها مصرٌ على كَرٍّ من الأعوامِ
يا ريفُ مِصرَ ، وأنت سِرُّ بَقائِها اسلمْ ، فَدَتْكَ مَواهِبى وحُطَامِى



---

(١١) الطامى : الشديد .

(١٢) كالغريرة : المراد على فطرتها .

(١٣) مترام : ممتد .

(٣)

الليلاتُ المَبْعُوثة[١]

بعد عامٍ كاملٍ من الليلاتِ الأولى عاد الشاعرُ للريفِ ، فقضى فيه ليلاتٍ مثلها ، فى جوٍّ نفسى مُماثل ، وبين رِفاق هم الرفاق ، وكان عدد الليلات الأولى والثانية مُتحداً .

أهُو البعثُ ياليالِى الخُلودِ ؟ أمْ تُرىٰ أنتِ خَلْقَةٌ من جديدِ؟
أم تُرىٰ صورةٌ منك صِيغتْ بين وَحى الإلْهامِ والتجويدِ ؟
يا ليالىّ ما أراكِ سِوى أنتِ كما كنتِ مرةً فى الوجودِ !
ها هُنا والزمانُ يَحْلُم وَسْنَا نَ سعيدٌ لها[٢] بِحُلْمٍ سَعيدِ !
ورَنَا[٣] البدرُ فى حَياءٍ وَديعٍ وهو راضٍ رِضاءَ طفلٍ وَليدِ
ورِفَاق هم الرِّفاقُ ، ونَفْسِى هى نفسِى ، وعَالَمِى ؛ وعهودِى !
ما أرى مَعْلَماً تغيَّر أو رَسْماً مَحَتْه يدُ الزمانِ الكَنُودِ[٤]
أنتِ ليلاتُنا ! فَقُصِّى عَلينا كيف أفْلَتِّ من زمانِ القيودِ ؟

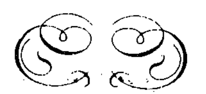
قَدْ تسللنَ خِفْيَةً فى الظلامِ بينما الدهرُ سَادِرُ[٥] الأوهامِ !
ثم وَافينَنَا وهُنَّ سُكَارَىٰ حالماتٍ أُغْرِقْنَ فى الأحلامِ
هامساتٍ لَنا . لقد بُعِثَ العَهْدُ فهيا مِن كُلِّ لَهفانَ[٦] ظَامٍ[٧]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) من اللهو .
(٣) رَنَا يرنُو : أدام النظر فى سكون طرف .
(٤) الكَنُود : يذكر المصيبات وينسى النِّعم .
(٥) سادر : لا يهتم ولا يبالى بما صنع والمراد حائر الأوهام .
(٦) لهفان : المتحسِّر .
(٧) ظام : ظامىء .

فأجبنــا دُعاءَهــنَّ سِراعــاً وخلَعْنا دُنيا الحِجا[8] والحُطامِ[9]
ورقينا مَدارجَ الخُلْدِ والكَو نُ مُسَجًّى[10] فى غَفْلةٍ وظَلامِ
ها هُنا كنتُ منذُ عامٍ ! ولكن يا لنفسِى ! فها هُنا أىَ عامٍ ؟
ما أرى للزمانِ رسماً ! فهذا كلُّ شىءٍ هُنا كرمزِ الدَّوامِ
إيه ليلاتِنا ، أعيدِى علينا قصةَ الخُلْدِ ، فالأمانِى ظَوامِ[11]

خَيَّمَ الليلُ فى خُشوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤىٰ ، وخَفْقِ القُلوبِ
وسَرينا نرتادُ سِرَّ الليالِى وهى تُفْضِى[12] بِسرِّها المرهوبِ
وتُجَلِّى لنا زَماناً زماناً وعجيباً وراءَ سِتْرٍ عجيبِ !
ومَتاعاً مِنَ الحياةِ نَفيساً ضَمَّنَتْه آلافُ عهدٍ خَصيبِ
قَد رَشَفْنَا[13] خلاصةً منه تُغْنِى عن حياةِ الورىٰ وعيشِ الشُّعوبِ
وسَرىٰ فى النفوسِ معنًى جديدٌ عَبَّرَتْ عنه بالغِناءِ الرتيبِ[14]
وتسامتْ أرواحُنا فى نَجاءٍ وتهادتْ قُلوبُنا فى دَبيبِ
تِلك ليلاتُنا ، وهذا صَداها إيهِ ليلاتِنا ؛ اخْلُدِى ، لا تغيبِى



(٨) الحجا : العقل (الإدراك والفطنة) . (٩) الحُطام : متاع الدنيا .
(١٠) مُسَجّى : فى سكون أو مُغَطى من سَجَّىٰ الميت : غطاه .
(١١) ظوامىء : مفردها ظامىء . (١٢) تفضى : تبوح بسرها .
(١٣) رَشَفَ : شَرِبَ مَصاً بشفتيه ، والمراد : الشراب باستمتاع .
(١٤) الرتيب : الثابت المستقر ، والمراد : ذى النغمة الثابتة .

رَيْحَانَتِي الاولى

أو

الحِرْمَان[1]

رَيْحَانَتِي الأُولَىٰ ورَوْحَ[2] شَبَابِي ... أئذَا دَعوْتُ سَمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ
أنا فِي الجحيمِ هُنا وأنتِ بجنةٍ ... مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيِّقِ[3] شَبابِ
أنا فى الجحيمِ وأنت نَاعمةُ المُنَىٰ ... خَضْراءُ ذاتُ تَطلّعٍ وطِلابِ
أنا لا أُرِيدُكِ هاهنا فى عالَمِي ... إنى أُعيذكِ مِنْ لَظىً وَعذَابِ
لَكِنَّها الذِّكْرَىٰ تثورُ بِخَاطِرِي ... مَجْنُونَةً حمقاءَ ذاتَ غِلابِ

* * *

عَيْنِى رَعَتْكِ وأنتِ نَابِتَةٌ فلم ... تَغْفَلْ ولم تَفْتُرْ[4] ولم تَتَألَّمِ
وتَعهَّدَتْكِ يَدِى وأنتِ نحيلةٌ ... وغِذَاكِ من نَفْسِي الحَنانُ ومِنْ دَمِي
فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلكِ تَنْتَشِي ... وتَهُمُّ رَاقِصةً وتَهْتِفُ بالفَمِ
حتى إذا أيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّذىٰ[5] ... ألفيتُ نَفْسِي فى صميمِ جَهنَّمِ
مُلْقىً هُنالك لا أُحسُّ ولا أرىٰ ... إِلّا الشُّواظَ وكُلَّ داجٍ مُعْتِمِ[6]

بينى وبينكِ شُقّةٌ[7] لا تَنْتَهِى ... أبداً أُقارِبُ حَولَها وأُباعِدُ
هى شُقَّةُ النفسِ الخَرابِ ، وإنّها ... لمجاهلٌ لم تُكتشفْ وفَدافِدُ[8]

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٧ .

(٢) رَوْح : راحة أو من رَاحَ رَوْحاً : طابت ريحه .

(٣) رَيِّق : من الرَّوق : أول الشيء ، روق الشباب : أول الشباب .

(٤) تفتر : تضعف .

(٥) الشذى : الرائحة الطيبة .

(٦) داج معتم : شديد الظلمة .

(٧) شقة : مسافة .

(٨) فدافد : أراض واسعة لاشيء فيها .

الشمسُ فيها لا تُطِلُّ ومَا بِها إلا الرواكدُ والظَّلامُ البَارِدُ
أنا لَسْتُ سَالكهَا وأنت حَفِيةٌ[٩] أن تَجْنُبِى عَنْها ونَجْمُكِ صَاعِدُ
فإذا الذى بَيني وبينكِ كلُّهُ ذِكْرىٰ تُطِلُّ برأسِها وتُعاوِدُ

وأراكِ مِنْ خَللِ الغيومِ أسِيفةً إذْ تَذْكُرين رِعايتى وجُهودِى
وتَريْنَ حَاضِرَنا وَغابِرَنا معاً وتُراجعينَ مَواثِقى وعُهودِى
نَفْسِى فداكِ فلا أراكِ شَجيّةً[١٠] تُرقي[١١] الغُضُونُ لوجهكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليكِ تَطلُّعى وتَلهُّفى وقفٌ عليكِ قَصائِدى ونَشيدِى
لكن أُعِيذُكِ خَطْرةً فى عَالَمِى إنّى أُعيذُكِ وَحْشَتِى ورُكُودِى



(٩) حفية : اللطيفة الرقيقة . قال تعالى : ﴿ إنّه كَانَ بِى حَفِياً ﴾ .
(١٠) شجية : حزينة . (١١) تَرَقّى : تنقل من حال إلى حال .

عِبادةٌ جَديدة ؟![1]

لكَ يا جمالُ عِبَـــادتى ... لك أنْتَ وَحدَكَ يا جَمالْ
تُعْصَىٰ تعاليــمُ الطُّغَــا ... ةِ ، أو الهُـدَاةِ على ضَلالْ
ويُخالَــفُ التشريــعُ جهــراً ، ... أو خَفَــاءً فى احتيــالْ
وتُجَــانَبُ الأديــانُ أو ... تُنْسىٰ وتُهْجَــرُ عَنْ مَلالْ
وأراكَ وَحــدَكَ يا جمالُ ... تَلقىٰ الخضوعَ والاحتفــالْ
والحـبَّ والإيمــانَ مِــنْ ... كلِّ الأنـامِ بكــلِّ حَالْ!

المالُ مَعبــودُ الحيــا ... ةِ المُسْتَـذِلُ قُوىٰ الرجــالْ
هو بعضُ قُربــانِ النفــو ... س إلى مَقَامِك فى اِبتهالْ
وأرىٰ الأُلوهـــة فيكَ تُو ... حى بالعبــادةِ فى جَلالْ
ما أنتَ إلا مظْهَــرٌ ... منها تُوشِّيـهِ[2] الظِّــلالْ
فإذا عَبـدتُكَ لم أكُـنْ ... يا حُسْنُ مِنْ أهلِ الضَّلالْ
بل كنتُ محمـودَ العَقِيـ ... ـدةِ فى الحقيقـةِ والخيـالْ
أعْنُـو[3] لِمــنْ تَعنُــو لَه ... كلُّ النفـوسِ بلا مِثَـالْ
مُتَفرِّقــاً فى الكَــونِ فى ... شَتىٰ المَـرائِي[4] وَالخِـلالْ[5]
فإذا تَركَّــزَ ها هُنــا ... بَطَلَ التَّمحُّلُ[6] والجِدالْ ![7]

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٧ .

(٢) توشِّية : تنقشه وتُحَسِّنه من وَشَى الشيءَ وشْياً : نمنمه ونَقَشَه وحَسَّنَه .

(٣) أعنو : أخضع .

(٤) المرائى : المناظر ، مفردها المرأى : المنظر .

(٥) الخِلال : مُنْفَرج ما بين الشيئين ، جاسوا خلال الديار : ساروا وترددوا بينها، والمراد : منتشر فى كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها .

(٦) التَّمَحُّل : الاحتيال ، من تمَحَّلَ : احتال .

(٧) الجِدَال : المناقشة والخصومة ، من جَادَله مُجَادَلة : ناقشه وخاصمه .

تسبيح[1] ... !

لِعينيكِ تَسبيحى وهَمْسُ سَرائرى — وفى صَمْتِها المُوحِى مرَادُ[2] خَواطِرى
تُطلُّ على الدنيا فتوقِظُ قَلْبَها — وتمنحُ هذا الكونَ إيمانَ شَاعرِ
وتَسْكُبُ فى ألحانِه عبقريـــةً — من الفنِّ لم تخطرْ بآمالِ ساحرِ
وتجلُو من الدُّنيا عميقَ فنونِها — وتكشفُ فى أطوائِها كلَّ خاطرِ
ومِنْ عجبٍ تُوحِى بفتنةِ ساحرٍ — وتَهْمِسُ فى ضمتٍ بتقديسِ طاهرِ

لقد شَفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه — خواطِـرُ فـنانٍ نَدِىٍّ المشاعـرِ
وقد رقَّ هذا الجسمُ حتى كأنه — هَواتفُ حُلْمٍ ناعماتِ البَشَائِرِ
وقد رقَّ هذا الصوتُ حتى كأنه — أغاريدُ لَحْنٍ فى السمواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هذا الخَطوُ حتى كأنه — مرورُ نسيـمٍ بالأزاهيـرِ عاطـرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً فى ضمائرِى — وإنك طيفٌ هَامسٌ للنواظرِ !

* * *

لَأيقظتِ فى نفسى سعادةَ شاعرٍ — وراحةَ موهوبٍ وغِبْطَةَ ذَاخـرِ
وأشعرْتِنى معنىٰ الطلاقَة والرِّضَا — ومعنى الغِنىٰ عن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَىٰ فيه من أفقِ الخلودِ مدارجُ[3] — رَقَيْتُ إليها فى سَنى[4] مِنك باهرِ
سَبقتُ به خطوَ الحياةِ لِنَهْجِها — وجُزْتُ به آفاقَها فى المَعَابرِ
فيا لكِ مِن هَادٍ سَنِىٍّ المنائِرِ — ويَا لى من سَارٍ وَحِىٍّ البَصَائِرِ

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٨ .

(٢) مَرادُ : مكان ذهابها ومجيئها .

(٣) مدارج : مسالك .

(٤) سنى : ضوء .

في السماء[1]

أيقظتِ أنبلَ ما يُجِنُّ[2] ضَميرى ... وبعثتِ جوهرَ عُنْصرِى المَطْمُورِ[3]
فإذا أنا الرُّوح التى تَسمُو بها ... دُنيا الحياةِ لأوْجها[4] المنظورِ
وإذا أنا النُّورُ الذى تجلُو به ... تلك الحياةُ غَياهِبَ الدَّيْجُورِ[5]
وإذا أنا الشَّوقُ الذى يَحلُو لها ... فتَغذُّ بين مَسالِكٍ وصخورِ
وإذا أنا الشِّعر الذى تَشْدُو به ... فى نَشْوةٍ وتجيشُ بالتعبيرِ
وإذَا أنا الخيرُ المُمَحَّضُ والهدُىٰ ... والحبُّ والنَّجوىٰ خِلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَفْتِ ضَمائِرى ... وجَلَوْتِ كُلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ ؟
وغَدَوتِ فنَّ فَضَائلى ورَوَيْتِها ... حتىٰ أطلَّتْ بالجَنىٰ المَذْخُورِ[6] ؟
وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامِحى ... وجعلتِ أشْواقِى صلاةَ طُهورِ ؟
بالحبِّ والحُسْنِ الوديع ونظرةٍ ... بيضاءَ صافيةٍ تُريحُ شُعورى
وتُحيلُ أشواقي رِضاءَ مُخلَّدٍ ... راضٍ بِخُلْدٍ لم يُشَبْ بقُصُورِ[7]
وتُحيلُنِى رُوحاً تَرِفُّ على الورىٰ ... كالعطفِ ، أو كالحبِّ ، أو كالنُّورِ
فإليكِ تَسْبيحِى وهَمْسُ سَرائِرِى ... وإليكِ غايةُ غِبْطَتِى وسرُورِى

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٨ . (٢) يُجنُّ : يستر .
(٣) المطمور : المستور ، طمَرَ الشىء طَمْراً : ستره حيث لا يُدْرىٰ أو لا يُرى .
(٤) أوجها : أعلى نقطة تُرى : العلو . (٥) الدَّيجور : الظلام .
(٦) ذَخَرَ الشىء : خبَأه لوقت الحاجة إليه . مذخور : مدّخر : مخبوء .
(٧) شَابَ يشُوب : خلَطَ ، القصور : الإهمال : النقص .

بينَ عَهْدَيْن[1]

١ ـــ العُشُّ المَهْجُور

طِرْتِ عَنْ عُشِّكِ الْجَمِيلِ فَأُوبِى[2] ... شَدَّ مَا اشْتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبِى !
كانَ دِفئاً وَكانَ مَرْتَعَ[3] صَفْوٍ ... فكَسَاهُ الصَّقِيعُ ثَوبَ القُطُوبِ[4]
مُنْذُ غَادرْتِهِ قَدِ انْتَثَرَ الحبُّ ... وطَاحَتْ به رِيَاحُ الْهُبُوبِ
وَتخَلَّتْ عِنَايَةُ اللهِ عَنْهُ ... فَهُوَ فى وَحْشَةِ الغَرِيبِ الكئِيبِ
وَلَيَالِيهِ شَاجِيَاتٌ حَيَارَى ... يَتَرَامَيْنَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ[5]

٢ ـــ نداء العودة

عُودِى إلى الْعُشِّ عودِى ... وَرَفْرِفِى مِنْ جَدِيدِ
وَرَنِّمِى بالأَغَانى ... فى جَوِّهِ وَاسْتَعِيدِى
وَأدْفِئِى بالأَمَانى ... مَا مَسَّهُ مِنْ جُمُودِ
وَتَمْتِمِى بالتَّعَاوِيذِ(م) ... وَالرُّقَى وَالنَّشِيدِ
وَأطْلِقِى فِيهِ لَحْناً ... يَشْدُو لحُبٍّ سعِيدِ
وَيطْرُدُ الْيَأْسَ عَنْهُ ... بالشَّدْوِ والتَّغْرِيدِ

* * *

طَالَ انْتِظَارُكِ وَهْناً[6] ... فى ظُلْمَةٍ وَكُنُودِ[7]
وَالرِّيحُ تَعْبَثُ فيهِ ... بكلِّ غالٍ مَجِيدِ

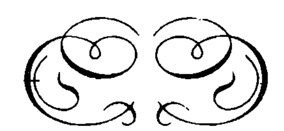
---

(١) نشرت فى فبراير ١٩٤٢ .
(٢) فأوبى : فارجعى .
(٣) مرتع : الأرض المتسعة الخصبة .
(٤) القطوب : من قَطَبَ فلانٌ يَقطِبُ قُطُوبا : ضمّ حاجبيه وعَبَسَ ، يقال : رأيته غضبان قاطبا .
(٥) لغوب : التعب مع الإعياء .
(٦) وَهْناً : ليلا .
(٧) كُنُود : المراد فى انقطاع .

وَكُــــلُّ خَفْـــقِ جَنَـــاحٍ   أَوْ رَجْفَـــةٍ مِنْ بَعِيـــدِ
يخَـــالُ فِيهَا مَآبــــاً   بَعْــــدَ النَّــــوَى وَالشُّرودِ

* * *

عُودِى إلى الْـــعُشِّ عُودِى   وَرَفْرِفِـــى من جَديـــدِ
أَضْنَـــاكِ طُـــولُ الشُّرُودِ   وَلَـــذَّةُ التَّصْعِيـــدِ
عُودِى إلى الدِّفْءِ فِى عُشِّـ   ـكِ الأَمِيـــنِ الـــوَدُودِ
الْعُمْـــرُ يَمْضِى فَهَيَّـــا   نُعِيـــدُهُ لِلْوُجُـــودِ



نَدَاءُ الخَرِيف[1]

تَعالــىْ . أوْشَكَتْ أيامُنـــا تَنْفَـــدْ
تعالــىْ . أوشكتْ أنفاسُنـــا تَبْـــرُدْ
بلا أمَــلٍ ، ولا لُقْيَــا ، ولا مَوْعِـــدْ

* * *

تعالــىْ . هذه الأيــامُ لا تَرْجِـــعْ
ولا تُصْغِى لنـــا الدُّنيـــا ولا تَسْمَـــعْ
ولا تُجْدِى شَكَـاةُ الدَّهْــرِ أو تَنْفَـــعْ

* * *

كِلانَـا ضَائِـــعٌ فى الكَـــونِ مَفْقُـــودُ
فلا هَدَفٌ له فى الأرضِ مَشْهُــــــودُ
ولا أمـــلٌ لَه فى الغَـــيبِ مَوعُـــودُ

* * *

ألا مَا أحْمَـــقَ اثنَيْـــنِ غَرِيبَيْـــــنِ !
إذا عَاشَا ــ مَعَ الحبِّ ــ فَرِيدَيْــنِ[2] !
وهـذا الكَـونُ لا يَدْرِى الشَّرِيدَيْــنِ[3] !

* * *

نَعَـــمْ قَدْ أدْمَتْ الأشوَاكُ قَلْبَيْنَـــــا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيـــا طَرِيقَيْنَـــــا

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٤٣ .

(٢) فريدين : وحيدين .

(٣) الشريدين : الشريد الذى لا مأوى له .

ولكن أين ماضي حُبِّنا أينا ؟

• • •

تعالى نُحيي بالأشواق ماضيها
ونبعث في جسم الحب لياليها
فهذا الحبُّ إذ نُحييه يُحيينا

• • •

تعالى لم يعد في العمر متسع
تعالى لم يعد في الكون منتجع(٤)
وغول الدهر لا يُبقي ولا يدع

• • •

تعالى . نحن بعثرنا السويعات
وضيّعنا بأيام عزيزات
فيا أختاه يكفينا حماقات

• • •

أجل يا أخت ما قد ضاع يكفينا
فعودي . ها هو العشّ يناديها
فلا نحزنه يا أخت بأيدينا

• • •

ربيع العمر يا أختاه قد مرّا
فلم نطعمه أو نغنم به ذُخرا
وما عاد لنا منه سوى الذكرى

• • •

فلا نخسر هزيعين(٥) من العمر

---

(٤) منتجع : المراد لايوجد مكان يصلح للإقامة
(٥) هزيعين : الهزيع : ربع الليل أو نصفه ، والمراد معظم أكثر العمر .

فَدِفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدِى لَدَىٰ القَرِّ(٦)
ورُوحُ الحُبِّ قَدْ يُحيِى لَدىٰ القَبْرِ

* * *

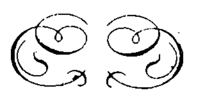
ويَا أُخْتَاه زَادُ العُشِّ يَغذُونَا(٧)
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأيْدِينَا
وجَذْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذِينَا

* * *

تَعالَى نَقْطَعُ البَاقِى مِنَ العُمْرِ
رَفِيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرِّ
حَلِيفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ

* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَدْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بِلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ



(٦) القر : شدة البرد .
(٧) يغذونا : من الغذاء .

هُتافُ رُوح[1]

« فى ليلة دفيئة من ليالى كاليفورنيا »

فى الجوِّ يا مصرُ دِفءٌ ... يُدْنِى إلىّ خيالَكِ
وتَسْتَجِيشُ[2] حنينى ... إلى الليالى هُنالِكِ
للأُمسيات السُّكَارَى ... نَشْوَى تَرِفُّ خيالَك
ونَسْمَةٌ فيك تَسْرِى ... رَيَّانَةً من جَمالِكِ
نجواكِ مِلْءُ فؤادِى ... تُرَى خَطَرتُ بِبَالك

* * *

النيلُ والموجُ سَارَ ... يُقَبِّلُ (الشُّطْآن)
والبدرُ والنورُ سَاهٍ ... كحالمٍ وَسْنَانْ
وفى الجِواءِ[4] حنينٌ ... مُجَنَّحٌ حَيرانْ
ومن هُنالِكَ لَحْنٌ ... يَهْفُو إلى الآذانْ
صَدَاه نَاءٍ عميقٌ ... فى ناى هذا الزمانْ

* * *

فى النفسِ يا مِصرُ شوقٌ ... لخَطْرَةٍ فى رُبَاكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَراكِ ... لنَفْحَةٍ مِنْ هَواكِ
لِوَ مَضْةٍ مِنْ سَماكِ ... لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤاكِ
لليلةٍ فيك أُخْرَى ... مع الرِّفاقِ هُنَاك
ظمآنُ تهتفُ رُوحى ... متى تَرانى أراكِ ؟

« سان فرانسيسكو »

---

[1] نشرت فى ابريل ١٩٥٠ . ريانة : فيها حيوية ونضرة .

[2] تستجيش : تمتلىء .

[4] الجِواء : الواسع من الأمكنة .

دُعاءُ الغريب(١)

يا نائيـــاتِ الضِّفَـــافْ		هُنـــا فتـــاكِ الحبـــيبْ
عليـــه طَالَ المَطَـــافْ		متـــى يعـــودُ الغـــريبْ ؟

* * *

متـــى تَمُسُّ خُطـــاه		ذاك الأديـــمَ(٢) المغبَّـــرْ
متـــــى يَشُمُّ شَذَاه		كالأقحـــوانِ المُعَطَّـــرْ ؟

* * *

متـــى تَرىٰ عينـــاهْ		تلك الربـــوعَ المواثـــلْ(٣) ؟
أحلامُـــه ومُنَـــاه		تدعـــوه خلـــفَ الحوائـــلْ(٤)

* * *

حنينُـــه رَفَّـــافْ		إلى الدِّيـــارِ البعيـــدهْ
مَتـــى مَتـــى يا ضِفـــافْ		تأْوِى خُطـــاه الشريـــده ؟

* * *

رُؤَاكِ فى نَاظِرَيـــهْ		تَرِفُّ كالأحـــلامْ
تُرىٰ هَفَـــوْتِ(٥) إليـــه		على مَدَى الأيـــامْ ؟

* * *

ليـــلاتُكِ السَّاريـــاتْ		كالنَّسْمَـــةِ العبقرِيَّـــةْ
حالتْ إلى ذكريـــاتْ		مُعَطَّـــراتٍ نَدِيَّـــةْ

* * *

(١) نشرت فى يونيو ١٩٥٠ .
(٢) الأديم : وجه الأرض .
(٣) المواثل : القائمة والمراد قائمة فى ذهنه وخياله .
(٤) الحوائل : الموانع .
(٥) هفوت : اشتقتِ .

مُجَنَّحَـــــاتِ العبيـــــرْ   مُرَفْرَفَـــاتِ الأمَـــانى
فى عَالَـــمٍ مسحـــورْ   مُوسع بالأغَانِـــــى

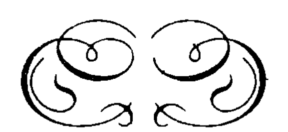
* * *

هُنـــاك حيثُ خُطـــاهْ   مَنثـــورةٌ فى الطريـــقْ
مازَالَ فيها الحيـــــاةْ   تَدْعُـو دُعـــاءَ الغريـــقْ !

* * *

يا أرضُ رُدِّى إلــــيكِ   هذا الوحيـــدَ الغـــريبْ
هَواهُ وقــــفٌ علـــيك   رُدِّى فتـــاكِ الحـــبيبْ

« سان فرانسيسكو ــ أمريكا »



ابتسامة[1]

أنِــرْ بِفــؤادِى كلَّ أسْوانَ مُظْلِـــمِ ... بَبسْمَـــةِ رَاضٍ فى الحيــاةِ مُنَعَّـــمِ

وصَوِّرْ بها الآمالَ : إنِّــى رأيتُهـــا ... تطيــفُ بريَّـا ثَغـرِكَ المُتَـبَسِّمِ

وطالــعْ بِهـا وَجْــهَ الحيــاةِ نَدِيَّـةً ... تَمسُّ حَشاشاتِ القلوبِ بِبَلْسَمِ[3]

وتَسْرِى إلى الأرواحِ رُوحــاً مَهُومًا[4] ... يفــيضُ عليها من رِضاءٍ وأنْعُـمِ

فَدَيْتُكَ لا تَأْلُ[5] الحيــاةَ ابتسامــةً ... أرقَّ وأحنــى مِنْ خيــالٍ مُهَــوِّمِ

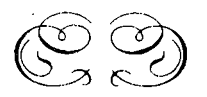
مُرنّحَــةَ الأعطــافِ تُومِضُ خِلْسَةً ... وتخْطُرُ فى رِفْـقٍ بذيــالكِ الفَـمِ !

فديتُكَ أرْسِلْهـا على الكَــوْنِ غِبْطَـةً ... تُشافِهُـهُ هَمْسَ الرَّجَــاءِ المُتَمْتِـمِ

وتدركُهـــا الأرْواحُ فى خَطَرَاتِهـــا ... كما تدركُ الأسماعُ هَمْسَ التَرَنُّــمِ

فديــتُكَ لا تأْلِ الحيــاةَ تَبسُّمــاً ... فإنك لم تُخْلَــقْ لِغَيْــرِ التَّــبَسُّمِ

وقتكَ الليــالى العــابساتُ عُبوسَهـا ... إذَنْ فَتَــبَسَّمْ كيفمــا شِئْتَ وانعَـمِ



---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .

(٢) أسوان : حزين .

(٣) بلسم : الدواء الشافى .

(٤) مَهُوماً : فى حالة نوم خفيف ، المراد فى راحة .

(٥) لا تأْلُ : من ألا يَأْلُو : قصَّر وأبْطَأ ، ومنه : إنى لا آلوك نصحا ، والمراد : لا ينقص .

التـــأمل

إلى الشاطىءِ المجهـولِ والعَالَمِ الذى
حَننتُ لمرآه ، إلى الضفة الأُخْرى ؟
إلى حيثُ لا تدرى إلى حيثُ لا تُرى
مَعالمُ للأزمـــانِ والكـونِ تُسْتَقْرَا

سيد قطب

بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوس[1]
أو
حَياةٌ بعدَ مَوْت

بَسْمَةٌ ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةِ ؟ ولقاءٌ ذاكَ أمْ رَجْعُ العُمُرْ ؟
نَفْحَةٌ تَنْفُثُها[2] تلك الشِّفاه تبعثُ الميِّتَ وتُحيي ماانْدَثَرْ

* * *

بَسْمَةٌ كاللحن مِنْ قِيثارَةٍ رائقِ المعنى رَقيقِ النَغَماتْ
أو شَذَىٰ يَأْرَجُ[3] مِنْ نَوَّارَةٍ في غُصونِ الوردِ زَاكِي النَّفَحاتْ

* *

بَسْمَةٌ أنْدَىٰ علي القلبِ الكَليمِ[4] من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ
بَسْمَةٌ تُشْرِقُ في الوجهِ الكريمِ كابتسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ[5]

* * *

نَظَر الدهرُ إليها فابتَسَم وسرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَدِيبْ
سَريان البُرْءِ[6] هَوْناً في السَّقِم[7] ودبيبُ الرُّوحِ في المَيْتِ السَّلِيبْ

* * *

ذلك القلبُ وقد جَفَّ نَدَاه وغدَا أجوفَ كالنبتِ الهَشِيمْ
وخَبَا في أفقِه ضوءُ الحَياة وبَدَا كالمعبدِ البَالِي القديمْ

* * *

---

(1) نشرت في فبراير ١٩٢٩ .
(2) تنفثها : تنفخها .
(3) أرج : فاح : انتشر الطيب .
(4) الكليم : المجروح .
(5) الخضل : من خَضِل يخضَلُ : نَدِي وابتلّ .
(6) البرء : الشفاء .
(7) السقم : المريض .

ذلك القلبُ قد انْخضَلَّ وَحَنَّ وأحسَّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنُّ في ثَنَايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتفتْ رُوحى وحَيَّاه فُؤادِي في هدوءٍ شاملٍ ضَافٍ حَنُونْ
وتــــــزودتُ من الحبِّ بزادٍ ومِنَ الإخلاصِ تُبْدِيه العيونْ

* * *

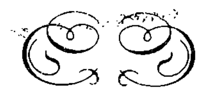
إنَّ عَينيه إذا تَرنُــو إلــيَّ تسكب الرَّوْحَ(٨) بقلبِي والرَّجَاءْ
وهو إذ يحنُو بعِطْفَيه عَلَيّ يَغْمُرُ النفس بِفيضٍ من رِضَاءْ

* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمُوِ فوقَ مايُــدْرِكُ هذا الــبَشَرْ
وبها آيـاتُ عَطْــفٍ وحُنُــوٍّ لستُ أدْرِيها ولكــنْ أشْعُــرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء ؟ أتُرى في الشَّوْكِ قد تَحيا الوُرودْ ؟
بِحَياتِــي وأمَانِــي الـــوِضَاء عَهْدُنا الغَابرُ لو كانَ يَعُودْ



(٨) الرَّوْح : الراحة : الرحمة .

هَدأتَ ياقَلْب ؟![1]

هَدأْتَ ياقلبُ فاهدَأْ هكذَا أَبداً وعِشْ هنيئاً إذا أَحْسَسْتَ سُلْوانا
فجمرةُ الحبِّ قد تخبُو ويَعقُبُها بَردُ السُّلُو وتَنْسَى كلَّ ما كانا
فلا جَفَاءٌ ولا شَكْوىٰ تُرَدِّدُهَا ولا دَلالَ وَلا وَجْداً وَتَحْنَانَا
تُمْسِي وتُصْبحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ ثَبْتَ الجَنَانِ مُريحَ البالِ طَمْآنَا
نَعَمْ سَتعْدِمُ حِسّاً رقَّ جَانبُه ودَقَّ في عالمِ الإحساسِ مِيزَانَا
ومَا يُضيرُك من فُقْدانِ رِقَّتِه إذَا فَقَدْتَ بها بُؤسًا وأَشْجَانا
وما الحياةُ إذا رَقَّ الشعورُ سِوى بؤسٍ يَجْرَعُهُ[2] الإنسانُ غَصَّانا[3]

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما تَلُوحُ للناسِ والأكوانِ أَكْوانًا !
وتُبْصِرُ الحبَّ شيئاً أَنْتَ تَعْرِفُه وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإِلْفُ[4] إنسانا !
خلعتَ ثوباً عليه أنتَ وَاهِبُه لولاه مَالاَحَ في الأَنْظارِ فتَّانا !

* * *

فخَلِّ ياقلبُ آمالاً تجيشُ بِها فقـد تغْـررك الآمالُ أحيانَـــا
هذا الهدوءُ تُنَمِّيـــه وتَأْلَفُــه فيستحيـلُ مع الأيـامِ نِسْيانَـا

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٢٩ .
(٢) يجرعه : يَبْلَعُه من جَرَعَ الماء ونحوه .
(٣) غصَّانا : من غصَّ بالماء : وقف فى حلقه فلم يكد يُسيغُه .
(٤) الإلف : المألوف (الأنيس) من أَلِفَه : أَنِسَ به .

الدنيا[1]

إيه يادُنيا وما أنْتِ سِوىٰ عبثِ الأطفالِ فيما يلعبُون
ضَجَّةٌ صَاخِبةٌ لا تحتوِى غيرَ أصْدَاءٍ قَوياتِ الرَّنينْ
فإذا فَتَّشْتَ عن مَبعثِها لم تجدْ شيئاً تُخْبِيه[2] الوُكُون[3] !



---

(١) نشرت ، ١٩٣٠ .

(٢) تُخبيه : تستره وتخفيه من خَبأ يَخْبأُ : ستر .

(٣) الوُكُون : جمع مفرده وَكْنٌ والوكْن : عش الطائر حيث كان .

عودة الحياة[1]

عَجَبٌ خَفْقُكَ ياقلبــى فى هذه الأضلع من بعدِ الخُفُوتْ !
أوَمـا زلتَ إذنْ لم تَشْتَـفِ[2] مِنْ حنينٍ فيك حَيٍّ لايموتْ ؟

* * *

أوَ مَازالَ إذنْ نبعُ الحيــاة لم يَغِضْ[3] فيك ولم ينضبْ مَعِينُهْ
رُبَّما فَاضَ على تلك الفلاةِ فى فؤادٍ مُقْفِرٍ جَفَّتْ غُصُونُهْ !

* * *

طالَ عَهدِى أيُّها القلبُ به ذلك الخفـقُ الـذى ذَكَّرتَنِيـه
ذلك الخَفْـقُ الـذى لاينتهـى حيث يَسرِى الشِّعْرُ كالتيارِ فِيه

* * *

كم ربيـعٍ مَرَّ يتلُـوه ربيـعٌ وفـؤادِى فى خريـفٍ راكـدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ[4] بالضلوعِ فى حياةٍ ذاتِ نَمَطٍ واحـدِ

* * *

وحُرِمْتُ الحِسَّ ، حتى بالألمِ ! والنَّدىٰ حتى بتسكابِ الدُّموعِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .

(٢) لم تشتف : لم يذهب غيظك من اشتفى من علته : برىء منها واشتفى من عدوه : بلغ ما يذهب غيظه منه .

والمراد : لم ترتو من حنينك حيث أن الشَّافِه : العطشان .

(٣) يغيض : ينقص .

(٤) جاثٍ : من جثا يجثو : جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه .

والمراد : ذليلا قال تعالى ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهم حولَ جهنمَ جِثِيًّا ﴾ .

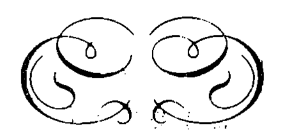
إيـه مـاأقفـرَ إحساسَ العَــدَم والأمانِى راكداتٌ فى القَنُـوع[٥]

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبضِ القَوِى وتَفَتحْ كلَّ يومٍ عَن جديـدِ
لَم يَزَلْ فى جُعْبَةِ الكَوْنِ الغَنىِّ مَايُغَــذِّيكَ بأحــلامِ الوُجُــودِ

* * *

وإذا لَم تستطعْ فاخلقْ حَيَاه ! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِى
ومن الحبِّ ، وماصاغتْ يَدَاه من جحيمٍ يتلظَّى أو جِنَانِ



(٥) قَنِعَ : رضى بما أُعطى ، وهو قَنِعُ وقَنُوع .

البعث(1)

قد بُعثتُ اليومَ أحْيا مِنْ جَديدِ   فهو بَعْثٌ من حياةٍ خامِدةْ
مَرَّ نِصفُ العُمرِ أو كادَ يزيدُ   لهفَ نفسِي — في حياةٍ رَاكدةْ
فِي حياةٍ لم أجدْ فيها حَيَاه !
بَلَغَ العُقْمُ بها أقْصَىٰ مَدَاه
وتبدتْ بَلقعاً(2) مثلَ الفَلاه
ثم لاحتْ تَترَاءىٰ مِنْ بَعيدِ   شُعلةٌ مِن نارِ حُبٍّ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْتوحِي القصيدَ   والأناشيدَ العِذابَ الخالدةْ
شاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ   مُلْهَمَ الفِطْرةِ منْهُومَ(3) النَّظَرْ
نابضٌ بالعطفِ حَساسُ الضميرِ   يُدركُ الهَمْسَةَ تَسْرِي في حَذَرْ
كيفَ يَحيا — وهو هَذا — في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِرًا كالكهفِ مَحْجُوبَ الضِّياءْ ؟
هكذَا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ   في ربيعِ العُمْرِ . في العهدِ النَّضِرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضِي الحسيرِ   رَجْعَةً من بعدِ ماجَاء وَمَرْ !

* * *

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ !   نابضاً بالحبِّ جَيَّاشَ الأمانِي
مُمْسِكًا أهدابَه(4) خوفَ الذَّهابِ   مُستعزّاً فيه حتى بالثوانِي !

---

(1) نشرت في ١٩٣٢ .

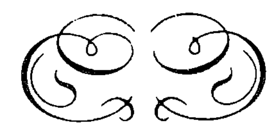
(2) بَلْقَعاً : خاليا من كل شيء ، يقال : مكان بلقع .

(3) مَنْهُومُ : أُولِعَ به من نُهِمَ بالشيء فهو منهومٌ .

(4) أهداب : مفردها هُدْبَةٌ : طرف الثوب الذى لم يُنْسَج .

ظَافـرًا أمــرحُ فيــه كالطيْــورْ
حينما تشدُ بألحانِ البكــــــــورْ
بعدمــا تَنْفحُهــا ريــحُ الزهــورْ

نصفُ عُمْرِى قَدْ تولّى فى اكْتئابِ فلأقض النصفَ نشوانَ الأغانِى !
هائماً ألْهـو بمعسولِ الرِّغَـابِ(٥) أو أُغنِّى بالأمانـىِّ الـحِسانْ !



(٥) الرِّغاب : مفردها رغيب والرغيب : وادٍ كثير الأخذ للماء ، ويقال : رجلٌ رغيب : واسع الخطو ينهب الأرض نهباً والمراد : مايرغبه من آمال وأحلام كثيرة .

الشُّعَاعُ الخَابِي[1]

لاحَ لى من جانبِ الأُفقِ شُعاعٌ بينما أخبطُ فى داجى الظَّلامِ
فى صحارِى اليأسِ أسْرِى[2] فى ارتياعْ حِيثُ تبدو مُوحِشاتٍ كالرِّجامِ[3]
حيثُ يَسْرِى الهولُ فيها واجما
ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا
والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما
وترىٰ الأشباحَ فى رأسِ التِّلاع[4] كالسَّعالى[5]، أو كأشباحِ الحِمامِ[6]
فاغراتٍ تَتَشهىٰ. الابتلاعَ تنهشُ اللَّحم؛ وتَفْرِى فى العِظَامِ

* * *

فَتلفتُّ على الضوءِ يَلُوحُ مِثْلَما تَلْمَحُ عينُ السَّاهرِ
أو كما تَهْمِسُ فى الأجداثِ رُوحْ أو كمعنى شَارِدٍ فى الخاطرِ
قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ
شَفَّه[7] الذُّعْرُ وأضناه العِثَارْ[8]
طَالما رجَّى تَباشيرَ النهارْ
ثُم أزمعتُ إلى الأفْقِ الصَّبُوحِ أرتجِى فيه أمانَ الحائرِ
أصعَدُ الرابِىَ[9] وأهوىٰ فى السُّفوحِ وكأنى طيفُ جِنٍّ نَافِرِ

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .
(٢) أسرِى : أسير ليلا .
(٣) الرِّجام : من رَجَّمَ القبر : وضع عليه الرِّجام والرِّجام : شاهد القبر .
(٤) التلاع : ماارتفع من الأرض .
(٥) السَّعَالَى : مفردها السِّعْلَى : الغُولُ .
(٦) الحِمام : الموت .
(٧) شَفَّه : من شَفَّ أى نَحَلَ ودقَّ من همٍّ أو مرضٍ ويقال : شَفَّه الحبُّ أو الهمُّ .
(٨) العِثار : الشَّرُّ أو السقوط
(٩) الرابى : الرابية والرابية ماارتفع من الأرض وعلا .

ثُم ماذا ؟ ثم قَدْ سَاد الحَلَكْ[10] فَجْأةً والقَبَسُ الهادى خَبَا
ثم أحسستُ بدقاتِ الفَلَكْ لأهثاتٍ تَتراخَى تَعبَا

رجفةُ الخائِف أضْناهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثًا عَدوَ الطِّلاءْ[11]
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ

وإذا قلبي خَفُوقٌ مُنْتَهكٌ ليس يَدرِى لِخلاصٍ سَبَبَا
حولَه الظُّلْمةُ فى أىِّ سَلَكْ حيثُ ينسِى الهارِبُون الهَرَبَا !

* * *

قلتُ ماذا ؟ قال لَى رَجْعُ الصَّدىٰ إيه ماذا ؟! قلتُ للوهمِ عَلامَا ؟!
قال لى اخشعْ أنْت فى وادِى الرَّدىٰ حيث يَطْوِى الضَّوءَ طَرًّا[12] والظَلامَا !

ها هنا تُثوى الأمانِى ؛ هَا هُنا
فَى مَهاوِى اليأسِ فى كَهْفِ الفَنَا
كلُّ شىءٍ هالِكٌ ، حتى أنَا !

ثم ضَاعَ الصوتُ يَفْنَىٰ بَدَدَا وتَلاشَىٰ تاركاً مِنه النمامَا[13]
وإذا بِى عُدْتُ أسْرِى مُفْرداً لأرى شيئاً ، ولا أدْرِى إلامَا !

---

(١٠) الحلك : شدة السواد.
(١١) الطِّلاء : مفردها الطَّلا ، والطَّلا : ولد الظبية .
(١٢) طَرًّا : من طَرَّ أى كان طريداً ذا رُواءٍ وجمال .
(١٣) النماما : نهاية الصدى قبل تلاشيه [فنائه] .

في الصحراء[1]

فى ليلةٍ من ليالى الخريف المقمرة ، الراكدةِ الهواء ؛ المحتبسة الأنفاس ، وفى صحراء جبل المقطم الموحشة ، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[2] ـــ كانت تَتراءى نخلات ساكنات فى وجوم كئيب ومن بينها نخلتان : إحداهما طويلة سامقة ، والأخرى قصيرة قميئة .

بين هاتين النخلتين دار حديث . وكانت بينهما همسات ومناجاة !

* * *

الصغيرة :

مالنـا فى ذلك القفـرِ هُنـا مَابَرحنا منذ حين شَاخِصَاتْ ؟
كلُّ شئٍ صامتٌ مِن حَوْلنا وأرانـا نحن أيضاً صَامتـاتْ !؟

تطلُــعُ الشمسُ علينـــا وتغـــيبْ
ويطـلُّ الليـلُ كالشيـــخِ الكئـــيبْ
والنجـومُ الزُّهْـــرُ تغـــدُوَ وتَئُـــوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ ... وطلوعٌ وأفولٌ ...ثم نَبقَى فِى ذهولٍ
سَاهماتْ !

* * *

أفـلا تدريـنَ يالُخْتـى الكـبيرةُ ماالذى أطْلَعَنا بينَ اليبـابْ ؟
أيُّما إثْـمٍ جنيْنـا أو جريـرةٍ سَلَكَتْنا فى تجاويِف العذابْ ؟

قد سئِـمت اللّبْثَ فى هذا المكـانْ
لَبثَةَ المَصْلُوبِ فى صُلْبِ الزمـانْ
أفمـــا آن لتبديـــــلٍ .... أوان ؟

---

(1) نشرت ١٩٣٢ .
(2) الأبيد : الموحش .

حدثينى لِم نَشْقَىٰ ... ؟ حدثينى كم سَنَلْقَىٰ ؟... حدثينى كَم سَنَبْقَىٰ ؟
واقفاتْ ؟

* * *

الكبيرة :

أنا يا أُختاه : لاأدرِى الجوابَ ودَفِينُ السِّرِ لم يُكْشَفْ لَنـا
منذ ما أطلعتُ فى هذا الخرابِ وأنـا أسأل : ماشَأنِـى هُنـا ؟
فيجيبُ الصمتُ حَولى بالسُّكُـونْ !
وأنـا أخبِـطُ فى وادِى الظنـونْ
لستُ أدرى حِكْمةَ الدَّهرِ الضنينْ[٣]
غير أنّا حائراتٌ ... والليالى العابثاتُ ... تتجنّى ساخراتٍ
لاهياتْ !

* * *

رُبَّمـا كُنّـا أسيراتِ القَـدَرِ تَسْخَـرُ الأيـامُ مِنّـا واللّيالِـى !
تَضرِبُ الأمثـالُ فينَـا والعِبَـرَ وإذا نشكُـو أذاهـا لا تُبالِـى !
رُبما كُنـا مَساجِيـرَ الزمـنْ !
قد مُسِخْنَـا هكـذا بين القُنَـنْ[٤]
فى ارتقابِ الساحرِ المُحْيى الفَطِنْ !

فإذا كان يعود ... فكّ هاتيك القيود ... فرجعنا للوجودِ
ظَافراتْ !

* * *

أو ترانا نَسْلَ أربابٍ قُدَامَىٰ قد جَفَاهـا وتَولّـى العابـدُون !
جَفَّتْ الكأسُ لديها ، والنَّدامَىٰ غادروا ندوتَهـا تَنْعِـى القـرُون
أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ !
صَاغَنا فى ذلك القفرِ الغَشُومْ !

---

(٣) الضنين : البخيل : الشحيح .
(٤) القنن : مفردها قُنَّة : وهى أعلى الشيء .

وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ !(٥)

فبقينا فى العَراءِ ... يجتوينا(٦) كلُّ راءٍ ... وسَنَبْقَى فى جَفاءٍ

شارداتْ

* * *

لستُ أدرِى ، كلُّ شيءٍ قد يكونُ فَتَلَقِّي كلَّ شىءٍ فى سُكُونْ

وإذا ما غَالنا غُولُ المَنونِ فهنا يَغْمُرُنا فيضُ اليقينْ !

* * *

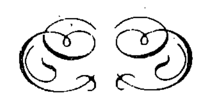
ثم سَادَ الصمتُ كالطيفِ الحزينْ

وتَسَمَّعْتُ لأقدامِ السنينْ

وهى تَخْطُو خَطْوَةَ الشيخِ الرزينْ

هامساتٍ فى الرمالِ ... مُنشِداتٍ فى جلالِ ... كلُّ شيءٍ للزوالِ

والشتاتْ



(٥) الرُّجُوم : القتل بالحجارة من الرَّجم .

(٦) يجتوينا : يكرهنا من اجتوى : كره .

بين الظلال[1]

ياذكْرَيــــاتى البعيــــــدةَ في عالــــمِ الأشبــــاحِ
يا أُمنياتِـــــى الشَّريــــــدةَ فى عالــــــــمِ الأرواحِ
إلىّ قبلَ الصباحِ

إلـــــىّ مِنْ كلِّ صــوبٍ فى عُزلَتـــــى وانفــــــرادِى
فَهينمِـــــى[2] حولَ قلبــــى ورَفْــــــرِفى فى فؤادِى
فأنت وَحْيِى وزادِى

غَفــــلْتُ يا ذِكْريـــــاتى عن وحـــيكِ القُـــدْسِيِّ
بين اصطخــابِ[3] الحيـــاةِ بكــــــــلِّ صوتٍ دَوِيِّ
وكلِّ جَارٍ[4] قوِىٍّ !

سهــــوتِ ياأُمنياتِــــــى عن النِّـــداءِ الخفـــــىِّ
إلى مَراقِـــــى الحيـــــاةِ إلى الخلـــودِ النَّقِـــــىِّ
بحاضرٍ مَأتِىِّ ![5]

يا ذكريـــــاتى البعيــــدةَ فى عالــــمِ الأشبــــــاحِ
ياأُمنياتِــــــى الشريـــــــدةَ فى عالـــــــمِ الأرواحِ
إلىّ قَبلَ الصَّبَاحِ

* * *

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) الهينمة : الصوت الخافت .

(٣) الاصطخاب : الصياح والتضارب .

(٤) الجأر : الضخم (من الرجال) .

(٥) مأْتى : آتٍ من يأتى .

الليـلُ أرْخَـى سُتُـورَه في هُدْأةٍ كالخُلـودِ
والبـدرُ أرْسَلَ نورَه كبَسْمَـةٍ من وَليـدِ
راضِي المُحيَّا سعيدِ

وخَفَـقَ الكـونُ خفقـاً قد ضَرَّمَتْـهُ[6] الليـالـي
وعـادَ يَهْـمِسُ رِفْقـاً بذكرياتِـي الخَـوالي
وأمنياتِي الغَوالِي

وجـدتُ نَفْسي وكانتْ ضَاعَتْ ضَيـاعَ الإيـاسِ[7]
ورُضْتُ نفسِي فَلانتْ من بَعْدِ طولِ الشِّمـاسِ؟[8]
وبَعْدِ صعبِ المِراسِ

ورفـرفتْ ذكريـاتٌ أثَـرنَ قَلْبـي حنينَـا
ونضَّرَتْ أمنيـاتٌ ذَبُلْـنَ كالزهـرِ حِينـا
فيالصنعِ السنينَا

ياذكريـاتي البعيـدةَ في عالـمِ الأشبـاحِ
يا أمنيـاتي الشريـدةَ في عالـمِ الأرواحِ

إليّ قبلَ الصباحِ
فالفجرُ في الكونِ لاَحَ
والصبحُ يُذْكِي الصياحَ

فأقبِلـي في انفـرادِي ورفرِفـي في فؤادِي

(٦) ضَرَّمته : بالغت في إشعال النيران .
(٧) الإياس : المراد فاقد الأمل نهائيا .
(٨) الشِّمَاسُ : الإباء : الرفض اعتزازا بالنفس .
(٩) المِرَاس : يقال : فلان ذو مِرَاس : جَلَد وقوة وممارسة للأمور .

الإنسانُ الأخير[1]

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ — وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[2]
ويُشْرِقُ وجهُ الصُّبحِ فى غمرةِ الدُّجَىٰ — كما تشرقُ الآمالُ واليأسُ غَامِرُ
وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرَىٰ — وتخفقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَاعِرُ
وحينَ يعِجُ[3] الكونُ بالصوتِ والصَّدَىٰ — وبالكدحِ تُزجيه المُنى والمخاطرُ
وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التى — يَضِجُّ بها الأحياءُ ، والدَّهرُ سَاخِرُ

ولكنّه لم يُلْفِ بالكونِ نَأْمَةً[4] — تَنِمُّ[5] على حيٍّ ، ولم يَهْفُ[6] خاطرُ
ففى نفسِه ما يُشبه الموتَ سَكْرَةً — ومِن حولِه موتٌ نَمتْه المقابرُ
جَلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَعَ وَجهَه — عليه ؛ فقرّتْ فى النفوسِ الضمائرُ
وصَمْتٌ فما فى الكونِ صوتٌ ولا صَدَىٰ — ولَا خَفْقَةٌ يُحْيِى بها الكَوْنَ شاعرُ
فأدركَ فى أعماقِه عَن بَديهةٍ — نهايةَ ما صَارتْ إليه المصائرُ

* * *

ومَا هَمَّ بالتنقيبِ عن أىِّ صاحبٍ — ففى نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ
ولكنه أَلْقَىٰ بها عَبْرَ نظرةٍ — على الكونِ والأيامِ وهى دوائرُ

---

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الدَّيْجُور : الظلام والجمع : دياجر .
(٣) عَجَّ يعِجُّ : رفع صوته وصاح . يقال : عجّ إلى الله بالدعاء .
(٤) نأمة : الصوت الضعيف الخفى أيًّا كان .
(٥) تَنِمُّ : تظهر والمراد تدلُّ .
(٦) لم يهفُ : هَفَا يهفو : حنّتْ واشتاقتْ أو طربت ؛ هفا القلبُ : خَفَقَ .

رُكامٌ(٧) وأشلاءٌ(٨) وأطلالُ(٩) نعمةٍ ... وبؤسٌ ، وشتّىٰ ما حوَته الأداهرُ
وفى نفسِه من مثلِها كُلُّ ذرَّةٍ ... فهاتيك أشلاءٌ وهذِى خواطرُ
تَجمَّعَ فيها ما تَفرَّق فى الورَىٰ ... وما ضَمِنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ
خلاصةُ أعمارٍ وشتّىٰ تجاربٍ ... ومجمعُ أشواقٍ بها الكونُ حائرُ

* * *

وأوغَل فى إطْراقةٍ مِلْؤُها الأسىٰ ... فمرّت عليه الذكرياتُ العَوابرُ
تَحثُّ خُطاها مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبٍ ... وقد جاورتْ فيها المآسِى البَشائرُ
وأقبلتْ الآمالُ واليأسُ حَولها ... تُمزِّقُها أنيابُه والأظافرُ
وجمّع فيها الخيرَ والشرَّ رابطٌ ... من النفسِ مشدودٌ إليها مُخامِرُ(١٠)
وشَتّىٰ عباداتٍ وشتى عقائدٍ ... يُؤلِّفُها الإيمانُ وهى نَوافِرُ
وفيها من المجهولِ سرٌّ وروعةٌ ... ورغبةُ محرومٍ وخوفٌ مُساوِرُ(١١)
وقد كانَ فى المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ ... تُحَجِّبُه عن طالبيه السَّتائرُ
فياليتَه يَدْرِى بما خَلْفَ سِتْرِه ... فيختمِ(١٢) سِفْرَ الناسِ فى الأرض ظَافِرُ !

* * *

وعادتْ له الآمالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ ... يُرْجَىٰ ، وأذْكاه الخيالُ المغامرُ
لعل وراءَ الكونِ مِفْتَاحُ لُغْزِه ... وطِلْسم ما ضُمَّتْ عليه السَّرائرُ
وما هى إلا وَمْضَةٌ تَكْشِفُ الدُّجَىٰ ... ويخلعُ هذا الجسم والجسمُ جائِرُ
ولولا مواثيقُ الحياةِ تَشدُّه ... إليها لأمضىٰ عَزْمَهُ وهو صَابِرٌ .
وخلّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلىٰ ... وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ
وعَاوده حبُّ الحياةِ لِذاتِها ... وقد أجْفَلتْ تلك النَوازِى(١٣) الكوافرُ

(٧) الرُّكامُ : ماجتمع من الأشياء وتراكم بعضه فوق بعض .
(٨) أشلاء : مفردها شِلْوٌ : أجزاء الميت الذى بَلِىَ .
(٩) أطلال : مابقى من آثار الديار .
(١٠) مخامر : خَامَرَ الشىء : مارسه وخالطه وخامر المكان : لزمه وأقام به .
(١١) مساور : واثب ثائر ، يقال : ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته .
(١٢) سِفْرَ الناس : كتاب الناس .
(١٣) النوازى : جمع نازية والنازية : الحِدة والنشاط .

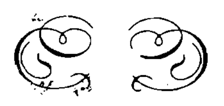
وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكِها | له وحدَه والناسُ مَيْتٌ وداثرُ[١٤]
فعادَ إلى الدُّنيا العريضةِ مالكاً | ولَا مَنْ يُلاحيه[١٥] ولا مَن يُشاطرُ[١٦] !
ولكنّه لم يستطبْ مُلْكَه الذى | تمحَّضَ لا يسعى به أو يغامرُ
وما فيه من كدٍّ ولا من تسابق | ولا سابقٌ فى الكادحين وقاصرُ
وكيفَ يطيبُ العيشُ إلا تزاحماً | فيرْبَح مجدودٌ ؛ ويَخسرَ عَاثِرُ ؟!

* * *

هنا لك دوّتْ فى السماكين[١٧] صيحةٌ | دعاءٌ لعزرائيلَ والكونُ سَادِرُ[١٨]
« بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً | بَرِمْتُ بِمُلكٍ رَبُّه[١٩] فيه خاسر »
« فهيا إِذنْ للموتِ أَرْوحُ رِحلةٍ | لِتُكْشَفَ أَسْتارٌ ويَهدَأَ ثائرُ »

* *

وفيما يُعانى سَكْرَةَ الموتِ هَينَمَتْ[٢٠] | إلى مَسْمَعيه هاتفاتٌ سواحِرُ
« هو السِّرُّ أن تهفو إلى السِّرِ لهفةٌ | وأن تَشْتَرُوا الآتى بِما هُو حَاضِرُ » !



(١٤) داثر : من دَثَرَ الشيء : قدُمَ ودَرَسَ والداثر أيضا : الغافل أو من لا يعبأ بالزينة ولا يستعمل الأدهان .
(١٥) يلاحيه : يقبحه ويلعنه .
(١٦) يشاطر : من شَطَرَ الرجل على قومه : أعيا قومه شرًّا وخبثاً .
(١٧) السماكين : نجمين نيرين ، والمراد فى السماء .
(١٨) السادر : من سَدَرَ : تحيّر بصره أو لم يهتم ولم يبال ماصنع فهو سادر .
(١٩) ربّه : صاحبه .
(٢٠) هينمت : من هَيْنَمَ : تكلّم وأخفى كلامَه .

إلى الشاطىء المجهول[1]

تَطِيفُ بنفسى وهى وَسنانة[2] سَكْرَىٰ ... هواتفُ فى الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[3]
هواتفُ قد حُجِّبْنَ ؛ يَسرِين خِفيةً ... هوامسُ لَم يكشِفنَ فى لحظةٍ سِتْرا
ويَغْمُرنَ من نفسِى المجاهلَ والدُّجَىٰ ... ويُجَنِّبْنَ من نفسى المعالمَ والجَهْرَا
وفيهن مَنْ يُوحينَ للنفسِ بالرِّضا ... وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُخْطَ والنُكْرَا
ومن بينِ هَاتيك الهواتفِ مَا اسمُه ... حنينٌ ؛ ومِنهُنَّ التشوقُ والذِّكْرىٰ !
أهَبْنَ بنفسِى فى خُفوتٍ وروعَةٍ ... وسِرنَ بهمسٍ ، وهى مَأخُوذةٌ سَكْرَىٰ
سَواحِرُ تَقْفُوهُن[4] نفسى ولا ترى ... من الأمرِ إلا ما أردنَ لها أمرَا !
إلى الشاطىءِ المجهولِ ، والعَالَمِ الذى ... حَنِنتُ لِمرآه ؛ إلى الضِّفةِ الأُخرىٰ
إلى حيثُ لا تدرِى إلى حيثُ لا تَرىٰ ... معالمَ للأزمانِ والكَوْن تُستَقْرَا
إلى حيثُ « لا حيثُ » تُميزُ حدودَه ! ... إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدَّهرا
وتشعر أن (الجزءَ) و (الكلَّ) واحدٌ ... وتَمْزِجُ فى الحسِّ البداهةَ والفِكْرَا
فليس هُنا (أمسُ) ولَيس هنا (غدُ) ... ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرىٰ
وليس هنا (غيرُ) وليس هنا (أنا) ... هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرىٰ التى اِحْتجبتْ سِرًّا

* * *

خَلَعتُ قيودِى ؛ وانطلقتُ مُحَلِّقاً ... وبى نشوةُ الجبارِ يَستلهِمُ الظَّفرَا
أُهوِّمُ فى هذا الخلودِ وأرتقى ... وأَسْلُك فى مَسْراهُ كالطيفِ إذ أسْرَىٰ
وأكشفُ فيه عَالماً بعدَ عالمٍ ... عجائبَ ما زالتْ ممنّعةً بِكْرَا
لقد حَجَبَ العقلُ الذى نَستشيرُه ... حقائقَ جلَّتْ عن حقائِقنا الصُّغْرىٰ
هُنا عَالَمُ الأرْواحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا ! ... فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرَا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) وسنانة : أخذت فى النُعاس ؛ وهو مبدأ النوم .

(٣) تترى : متتابعة .

(٤) تقفوهن : تتبعهن .

السر[1]

أو

الشاعر فى وادى الموتى

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادى الموتى فى أوقات مختلفة ، أكثر ما تكونُ عند مغربِ الشمس ، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد فى هذه الزيارات ، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى .

وفى مرةٍ منذ ستةِ أعوام ؛ أرِقَ فى الهَزِيع[2] الثانى ، فجال بخاطره ، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى ، مدفوعاً بشعورٍ غَامض ، لا يبالى وحشةَ مثل هذه الأماكن ، فى جُنْحِ[3] الليل المُدْلَهِم[4] !

وسار خطوات ، ولكنه أحس بالرهبة ؛ وساوره الوجل ، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى ، ثم تُوجه إليه الخطاب .

ليس للشعر يد فى هذا التصوير ؛ فهو الحقيقة التى أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئياتِ .

وقد عاد صامتا واجماً[5] ؛ وبعد أن ذهب عنه الرَّوع[6] ، حاول أن يفسر عن طريق (الوعى والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة ، وما شعر به فى أعماق نفسه .

ولقد ظل يعجز عن ذلك ، كلما حاوله ؛ مدى ستة أعوام ، حتى استطاع فى هذا العام ، أن يترجم هذا الشعور شعرا ؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته ، ووصل إلى الدرجة التى يستطاع عنها التعبير .

* * *

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) الهزيع : الثلث أو الربع من الليل .

(٣) جُنْح الليل : ظلامه أو جزء منه .

(٤) الليل المدلهم : الشديد الظلمة .

(٥) واجماً : سَكَتَ فَزَعاً .

(٦) الروع : الخوف والفزع .

مَنِ الطـــارقُ السَّارِى خلالَ المقابـــرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ فى الدُّجْنَاتِ(٧)عَابِرُ ؟
مِنِ الوجِـلُ المذعـورُ فى وحشةِ الدُّجَـىٰ تقلِّبُــه الأوهــامُ فى كلِّ خاطــــرِ ؟
ينقِّلُ فى تلك الدياجيرِ(٨)خَطْوه ويخطرُ فى هَمْسٍ كَهَـمْسِ المُحـاذرِ ؟
وقـد سَكَنَتْ مِنْ حَولِهِ كلُّ نَأْمَــةٍ(٩) سِوى قلبـه الخفـاقِ بيـنَ الدَّياجـــرِ ؟
وغَشَّاه رَوعُ الموتِ ، والموتُ رَوعــــةٌ تَغْشَىٰ ،فيعنُو(١٠)كلُّ نِكْسٍ وَقَادرِ ؟(١١)

* * *

« هو الشاعرُ الملهوفُ للحـقِّ والهُـدىٰ وللـسرِّ لم يَكْشِفْــه ضَوءٌ لناظــــرِ!
تحيَّـــر فى سرِّ الحيـــاةِ ومـــا اهتـــدى إليه ، ولَم يَقْنَعْ بتلكَ الظَّواهرِ
وسَاءلَ عنـه الكـونَ والكـــونَ حائِـــرٌ يسيرُ كَمغْصُوبٍ بأيـدِى المقـــادرِ !
وسَاءَل عنـه الموتَ ، والموتُ سَادِرٌ(١٢) وسَاءلَ عنه الشِّعرَ فى حَنَقٍ(١٣) ثَائرِ !»
وسَاءلَ عنـه كلَّ شيءٍ ، فلـــم يَفُـــزْ بشيءٍ ولم يرجـــعْ بِصَفْقَـــةِ ظَافـــرِ

* * *

أفى هذه الأجـــــــداثِ طِلْسمُ سِرِّه لعـلَّ ! فمـــن يَدْرِى بسرِّ المقابـــرِ ؟
ألم يخلعْ الموتىٰ الأحابيـلَ(١٤) كلَّهـا ؟ أحابيـلَ أوهـامِ الحيـاةِ الجَوائِـــر !(١٥)
ألم يتركُـــوا الدُّنيــــا الغَــــرورَ لأهلِها ؟ويستوثِقُوا مما وراءَ المصائرِ ؟
ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرَىٰ إليها ؟ ، ألا تُهـدِى اليقيـنَ لحائـــرِ ؟
أجـلْ ! رُبَّمـا تُعْطِـى الجوابَ لسائـلٍ ورُبَّمـــا تجلُـــو المصيـــرَ لشاعـــرِ !

* * *

وفيما يُناجِـي فى حِمـىٰ الصمتِ نَفْسه تَسمَّــــعَ هَمْساً من خلالِ الحَفائِـــر
« مَنِ الطـارِقُ السَّارِى خلالَ المقابـــرِ فَأقلقَ مِنَّـا كلَّ غَافٍ(١٦) وسَاهـرِ » ؟

---

(٧) الدَّجْنَات: الدُّجْنَةُ :السواد أو الظلمة الدُّجْنَةُ : الدُّجُنَّةُ .
(٨) الدياجير : مفردها دَيْجُور : الظلمة .
(٩) نأمة : الصوت الهامس .
(١٠) يَعنُو : يخضعُ ويَذلُّ.
(١١) نِكْسٌ : ضعيفٌ .
(١٢) سادر : غير مبال بشيء .
(١٣) حَنِق يَحنَقُ حَنَقاً : اشتد غيظُه .
(١٤) الأحابيل : مفردها الأحْبُولُ : والأحْبُولةُ : المصيدة ، والمراد : المظاهر الخادعة التى يقع فى الشَّرَكِ أو المصيدة .
(١٥) الجوائر : مفردها جائرة : من جَأَرَ : رفع صوته والمراد ماتخدعنا به الحياة من أوهام وخدع واضحة صارخة .
(١٦) غاف : من غفا يغفو : نام نوما خفيفاً .

« أما يَقْنَعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه ؟ أيا ويحَ للأحياءِ صَرْعَىٰ المَظاهرِ »
« تَركْنا لهم دُنْياهُمو ودِيارَهم ولم يَدْعُونا فى حِمى غيرِ عامرِ »

* * *

وقالَ فتى مِنهم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَةِ إشفاقٍ ، ونَبْرةِ ساخِرِ !
« لعلّ الذى قَدْ دَبَّ فى ذَلك الحِمىٰ وأيقظَ فى أَحْشَائِه كلَّ سادِرِ »
« أخُو صَبْوةٍ ، يهفُو إلى قبرِ مَيّتٍ لَهُ عنده وَجْدٌ وتَحنانُ ذاكرِ »
« يقرِّبه منها التَّذَكُّرُ والهوىٰ وتُبعِدُه عنها غِلاظُ السَّتائرِ »
« ومَا أخْدعَ الحبَّ الذى فى ديارِهم ! يُغشّى عَلى أبصارِهم والبَصائرِ »
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفى صوتِها أسىً ونَبْرةُ تَحنانٍ ، وكِتْمانُ صابرِ
« ألا رُبَّما كانتْ ثَكُولاً حَزِينةً على فَلْذةٍ مِنْ قَلبِها المُتَناثِرِ »
« ورُبَّما كانتْ عَجُوزاً تأيَّمتْ[١٧] وضاقتْ بِدَهْرٍ ناضِبِ العَونِ غادِرِ »

* * *

وقَدْ ذَهبُوا فى حَدْسِهم[١٨] كلَّ مَذْهبٍ وفيما حَوَتْه نَفْسُه مِنْ مَشاعرِ !
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يدْوِى كأنّما هو الدهرُ فى صوتٍ من الرّوعِ ظاهرِ
« مَنِ الطارقُ السّارِى خلالَ المقابرِ فأقلقَ مِنَّا كلَّ غافٍ وساهِرِ ! »

* * *

فقالَ أخو الأحياءِ ؛ والقلبُ خافِقٌ مِنَ الوَجَلِ الأخَّاذِ ، فى صَوْتٍ حاسرِ
« أنا الحىُّ لمَّا يدرِ أسبابَ خَلْقِهِ أنا المُدْلِجُ[١٩] الحيرانُ بينَ الخواطِرِ »
« دلفتُ إلى وادِى المَنايا لَعلَّنى أفوزُ بسرٍّ فى حَنَاياه غائرِ » ؟
« أما تَعلَمُون السرَّ فى خَلقِ عالَمٍ يموتُ ويَحيا بينَ حينٍ وآخرِ » ؟
« وَتكْنُفُهُ الأحداثُ من كلِّ جانبٍ ويركبُ للغاياتِ شَتى المَخاطرِ » ؟
« وليس لَه من غايةٍ غيرَ أنَّهُ مَسُوقٌ إلى تحقيقِ رَغْبةِ قاهرِ » !
« ضنينٌ بما يَبغِيه ليس يُبيحُه لسائِله عمَّا وراءَ الظَّواهرِ »

---

(١٧) مات زوجها . (١٨) حَدَسَ : ظنَّ وخمَّنَ .
(١٩) المدلج : من أَدْلَجَ القوم : ساروا آخر الليل أو ساروا الليل كله .

« وماذا لقِيتم بعـد ما قَدْ خَلَعْتُمـو — قيودَ الليالى الخادعاتِ المَواكـرِ ؟
« وماذا وراءَ الغيبِ ؛ والغيبُ مُطْبِقٌ ؟ — وهَـل يتجلّـى مرةً للنواظـرِ ؟ »
« سؤالُ أخى شوقٍ ، وقد طالَ شَوقُه — وحيرتُه ، بينَ الشكـوكِ الكَوافـرِ »

* * *

أرَيْتَ[٢٠] لو انَّ الهولَ صوّرَ منظـراً — تُجلِّلُـه الأخطـارُ جَدَّ غَوامـرِ ؟
كذلك سَادَ الصمتُ بين الحفائـرِ — ورَانَ على أرواحِهـم والضّمائـرِ
وأذْهَلَ هَاتيك النفـوسَ فَخفّضَتْ — من البَهْرِ[٢١] والإعياءِ دقّاتِ طافرِ ![٢٢]

* * *

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَلْوِى كأنّـه — يُحَـدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِيٍّ المَعَابـرِ !
« أيـا وَيْلهـا تلك الحيـاةَ وأهلَهـا — تُكَشِّفُ عن بلوائِهـا كلَّ سَاتـرِ » !
« وتطلبُ أسبابَ الشّقاء لنفسِها ! — فتضرِبُ فى تيـهٍ من الشكِّ غامـرِ »
« وتسألُ عن « سرٍّ » وليستْ بحاجةٍ — إلى السرِّ تَشْريه بِأنْـفَسِ حَاضرِ » !
« لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنا — وهَـدَأَ فى أفكارِنـا كلُّ نَافـرِ »
« نسينـا سؤالاً ؛ لم يزلْ كلُّ كائـنٍ — يردِّدُه حيرانَ فى حَزرٍ[٢٣] حَازرِ
« نسيناه فارتحْنا من الحَيْرةِ التـى — خَسِرْنـا بها الأعمـارَ جَدَّ نواضرِ »
« وها أنت ذا تُذْكِيه . يا لك جائـراً — ويـا لكَ مخدوعـاً بسرِّ المَقابـرِ » !
« وهـا نَحـن وَدَّعنـا هدوءاً وهينـةً — شرينَاهما بالعُمرِ ، يا للخسائـرِ » !
« أريْتَ لو انَّ الهولَ صَوَّرَ مَنظـراً — تجلِّلُـه الأخطـارُ جَدَّ غَوامـرِ ؟
كذلك سَادَ الصمتُ بيـنَ الحفائـرِ — ورانَ على أرواحِهـم والضمائـرِ
وأذهَلَ هَاتَيك النفُوسَ فخـفضتْ — من البهرِ والإعيـاءِ دَقـاتِ طَافـرِ

* * *

---

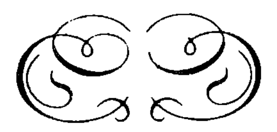
(٢٠) أريت لو ان : أرأيت لو أنّ .

(٢١) البَهْر : من بَهَرَه : أجهده حتى تتابعَ نَفَسُه . ويقال : بَهَرَه الأمر : أجهده وأتعبه .

(٢٢) طافر : من طَفَرَ الشيءَ : قفز من فوقه وتخطّاه إلى ماوراءه ، والمراد : دقات طافر دقات القلب المذعور .

(٢٣) حَزَرٍ : تخمين وحَدْس .

وعَـاد أخـو الأحيـاءِ يعطُـو[٢٤] بحسرةٍ وهفــةِ محرومٍ ، وإعيــــاءِ خَائـــــرِ
لقـد كانَ فى المَوتـىٰ وفى الموتِ مَأْمَلٌ يُعلله بالـكشفِ عن كلِّ ضَامـرِ[٢٥]
فألفــىٰ سَرابــاً ثمَّ لا يَنْقَــعُ الصَّدَىٰ فوا ندمــاً عن بحثِـه المُتَواتـــرِ !
فقـد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَــىٰ ويأمـلَ بعــدَ الموتِ كَشْفَ السَّتائــرِ
ويالـــيتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطــوهُ فيَطْوِى حَيــا عُمــرِه رِبْــحَ خَاسرِ !



(٢٤) يعطو : يسير ببطء .

(٢٥) ضامر : ماخفى فى القلوب

التجارب[1]

كثيرا ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره ، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه !

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضيه وتجاربه ، وأطلقته كأنما وُلِد في لحظتِه ، ولكنه لم يستطبْ حالَه ، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكَنُ إليها ، وودَّ لو أن الأقدار وهبته ماضيا سعيدا ؛ فاستجابت له . ولكنه عاد يشعرُ بغربتِهِ عن ذلك الماضى ، ولم تعدْ هناك قيمة لآمالِه ، التى خلقها ماضيه هو ، وارتبطت به ، وعندئذ عاد لماضيه فى لهفةٍ واشتياقٍ إليه .

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ[2] الجوانب … بكلِّ مُصابٍ فادحِ العِبْءِ صَائبِ !
وضَاق به صدرًا على طُولِ صُحْبةٍ … تُمِلُّ ، وَيَا بِئْسَ الأسَى من مُصاحِبِ !
وودّ لَو انَّ الدهرَ يُعْفِيه بُرهةً … من الغابرِ المملولِ جَمِّ النَّوائبِ
فأصْغَتْ له الأقدارُ فى أُمْنياتِه … على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ
وأعْفَتْه من ماضِيه حتى كأنّه … وليدٌ خَلِيُّ القلبِ من كلِّ نَائبِ !

* * *

نَضَا[3] عَنْه أعْبَاءَ السِّنينَ الغَوارِبِ … ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ
وعَادَ طَليقاً لا يُعوِّقُ خَطْوَه … مَرَّاسٌ[4] ؛ ولا يَثْنِيه خَوفُ العَواقِبِ
وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى … وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغَائبِ

---

(١) نشرت ١٩٣٤ .

(٢) الحفيل : الكثير .

(٣) نَضَا الشيءَ : نَزَعَه وألْقاه .

(٤) من مَرِسَ يَمْرَس : كان شديدا فى معالجة الأشياء فهو مَرِسٌ والجمع أمْرَاسٌ ، مَرَّاسٌ أى ذُو الشِّدةِ العظيمةِ .

وآضٍ[٥] وليدُ اليومِ فى مَيْعةِ[٦] الصِّبا ... جديداً بدنياه ؛ جديدَ المطالبِ
بعيداً عن الماضِى الذى آدَهُ[٧] الأسى ... وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ

* * *

ولكنّه أَلْفَاه أَسْوَانَ[٨] مُوحشاً ... كما أُفْرِدَ الإنْسِىُّ من كلِّ صَاحبِ
وألفَاه فى هذِى الحياةِ كأنَّه ... غريبُ عَرا[٩] ، فى عَالَمٍ مِنْ غرائبِ
وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا ... إلى الأوجِ[١٠] لم يُسْعِفْه عزمُ المُغالبِ[١١]
وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ لَه من ركيزةٍ ... تَضاعَفُ عندَ الوَثْبِ جهدَ المُواثِبِ[١٢]
وقَدْ أبصَرَ الآمالَ عَرْجَاء لم تجِدْ ... لها سَنَداً من ذِكْرياتٍ ذَواهبِ[١٣]
فعادَ إلى الأقدارِ يشكُو صَنيعَها ... ويُوسِعُها فى شَكْوه عَتْبَ عَاتبِ !
أما يستطيعُ الدَّهرُ ـ لو شَاء نَصفَةً ... له ـ عوضاً من غابرٍ مِنه خَائِب
بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ[١٤] صَفوَه الأسَى ... فيحيا على رُكْنَيْنِ : آتٍ وذَاهبِ !

* * *

فَأصْغَتْ له الأقْدارُ فى أُمنياتِه ... على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ !
وأعطتْه أنْقَى صفحةٍ فى كِتَابها ... لأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأِ رَاغبِ !

* * *

ولكنه ألفاه لم يغدُ مالكاً ... لِما مَنَحَتْه مِنْ عَزيزِ المَواهبِ
وألفاه لم يكْشِفْ خَبيئةَ نفسِه ... لذيالك[١٥] الماضِى الذى لَمْ يُصَاحِبِ !

---

(٥) آضَ الشىءُ كذا : تحوّل إليه ؛ آض الثلجُ ماءً .
(٦) مَيْعَة : مَيْعَة الشىء : أوله .
(٧) آداه : من آدَى فلانٌ إيداءً : قوى ، وآدى فلانا على كذا : قوّاه وأعانه .
(٨) أسوان : حزين .
(٩) عَرَا : من العُرْى ، والمراد : أنه وجد نفسه غريبا أو عاريا من كل فضيلة .
(١٠) الأوج : قمةَ العمل .
(١١) يزيد فى القوة أن يشعر الإنسانُ أنه يغالب ، فإذا لم يجد مايغالبه لم يكن هناك مايثير عزيمته .
(١٢) « محور الارتكاز » يساعد « القوة » فى عالم المادة وهو هنا الماضى الذى يتكىء عليه .
(١٣) الآمال والذكريات ركنا الحاضر ، فإذا ذهبت الذكريات بقيت الآمال عرجاء .
(١٤) لم يُشِبْ : من شَابَ يشُوب : يخلط .
(١٥) لذلك .

وأبْصَرَ بالآمالِ حَيرىٰ كأنما تَساءَلُ عن دَاعٍ لها جَدٍّ دَائبِ
دَعَاهـا فلمَّـا أقْبـلَتْ من سَمائِهـا رأتْ غيـرَه فى غَفْلةٍ غيـرَ رَاقبِ[١٦]
ومـا الأمـلُ « البسَّـامُ » إلاّ رغيبـةٌ لنفسٍ ترىٰ مِنْ دَهْرِها وَجْـهَ « غَاضِبِ »

* * *

فَعَادَ إلى الأقْـدَارِ يَطْـلُبُ عَوْنَهـا عَلى رَجْـعِ مَاضيـه بِحَسْرَةِ تَائبِ !
أجَـلْ عادَ مَلْهُوفـاً لِمُـرِّ التجـاربِ وأيامِـه الأُولى الظِّمـاءِ السَّواغِبِ[١٧]
أجَـلْ ذلك الماضِى الـذى هُو بِضْعَـةٌ من النفسِ دُسَّتْ فى الحَشا والترائبِ[١٨]

* * *

فأصغتْ له الأقـدارُ فى أمنياتِـه على أنّها لَم تُصْغِ يومـاً لطـالبِ !
وعَـادَ إلى دُنْيـاه مِنْ بَعْـدِ غُربـةٍ وألـقتْ عَصَاهـا واستقـرّتْ بآيبِ



(١٦) دعاها الماضى الشقى وأقبلت فوجدت الماضى السعيد غير ملتفت لها .
(١٧) السواغب : مفردها ساغبة : جائعة متعبة .
(١٨) الترائب : عظام الصدر موضع القلادة والمراد دُست فى القلب والصدر .

خبيئة نفسى[1]

خبيئةَ نفسى ؛ قد غَفَا الكونُ فاسفِرى[2] ... وكونى سَمِيرى ، بعد أنْ نامَ سُمَّرِى

سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها[3] الكَرَىٰ ... وهوَّم فى جوفِ الدُّجَى رُوحُ خيِّرِ

يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا ... ويغمرُ بالإغفاءِ رأسَ المفكرِ

وينتظمُ الدنيا هدوءاً كأنها ... عوالمُ فى وادِى المُنى لم تُصوَّرِ

فلا صوْتَ إلا خَفْقةٌ من جوانحٍ ... كما خفقتْ للضوءِ عينُ المُصوِّرِ

ولَمْ يَبْقَ من تلك الحياةِ وأهلِها ... سوى طيفِها السَّارِى بوادِى التَّذَكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفسى مِن عهودٍ سحيقةٍ ... ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولِدِى !

أُحِسُّكِ فى أغوارِ نفسى ولَا أرَىٰ ... مُحيَّاكِ إلا كالخيالِ المُشَرَّدِ

علمتُكِ حتى أنتِ مِنِّى بُضْعةٌ ... جهلتكِ حتى أنتِ فى غيرِ مَشْهدِ[4]

ويا طَالما أخلفتِ لى كلَّ مَوْعدٍ ... ويا طالما ألقاكِ فى غيرِ مَوْعِدِ !

عجبتُ فكمْ مِنْ نفرةٍ تَنْفُرِينها ... على فَرْطِ ما تُبْدِينه من تَوَدُّدِ !

حديثُكِ من نفسِى قريبٌ ؛ وإنما ... إخالُكِ فى وادٍ من التِّيهِ سَرْمَدِ[5]

* * *

خبيئةَ نفسى ، ما ترى أنتِ ؟ إننى ... أريدُكِ فى جوٍّ من الضوءِ مَعلَمِ

أعنصرُكِ الإيمانُ والطُّهرُ أصلُه ... وإلا إلى الكفرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ ؟

وفى أى وادٍ أنْتِ تسرين خِلْسَةً ؟ ... ومن أى عهدٍ فى الجهالاتِ مُبْهمِ ؟

وكم فيك من نصرٍ ، وكم مِنْ هَزيمةٍ ... تَجاورتَا فى حَشْدِكِ المتزَحِّمِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) سَفَر يَسْفِر سُفُورا : وضح وانكشف .

(٣) رنّقها : من رنّق الماء : كدَّره .

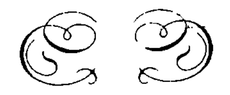
(٤) مشهد : اسم مكان من شهد بمعنى رأى .

(٥) السرمد : الدائم الذى لاينقطع .

وكم فيك من يأسٍ ؛ وكم فيكَ مأملُ وكم من تردٍّ ، أو وثوبِ تقحُّمِ
وكم فيك من حُبٍّ ، وكم فيك بغضةٌ ومن رُشْدِ إلهامٍ ، إلى خبطِ مُظْلِمِ

* * *

خبيئةَ نفسى فى ثناياكِ مَعْرِضٌ لما لَقِيَتْهُ الأرضُ فى الجَوَلاَنِ
وفيك من الآبادِ[٦] سرٌّ وروعةٌ وفيك صِراعاتٌ بكلِّ زمانِ
وفيك التقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِهِ وفيك الْتَقَى الرُّوحيُّ والحَيوانِى
وإنكِ طَلْسمُ الحياةِ جميعِها وصورتُها الصُّغرى بكلِّ مكانِ[٧]
أبينِى إذنْ عن ذلك العالم الذى تضمَّنتِهِ من صُورةٍ ومَعانِ
أبينِى أُطَالِعْ فى ثناياكِ مَا مَضَى وما هُو آتٍ مِنْ رُؤًى وأمَانِ



(٦) الأبد : الدهر ، والجمع الآباد .

(٧) منظور فى هذا البيت لقول العقاد .

تماثيل مصر أنت صورتها الصغرى وطلسمها الواقى وآيتها الكبرى

الخطيئة(١)

مِنْ خِلال الظَّلماءِ(٢) فى بَهْمَةِ اللَّيلِ(٣) تَمَشَّتْ كالحَيَّةِ الرَّقْطاءِ(٤)
تُوقظُ الجِسْمَ والغريزةَ بالْهَمْسِ وتَطغَى على الحِجَا(٥) والذكاءِ
وَهْيَ من خشيةِ الضَّميرِ تَوارَى فى زَوايا الميولِ والأهواءِ
فإذا شَعَّ مِنْ سَنَاهُ شعاعٌ أَرْجَفَتْ(٦) منه ، وانزوتْ فى التواءِ
وإذا خيَّم الظَّلامُ تراءَتْ فى احتراسٍ من أعينِ الرُّقَباءِ !

* * *

لحظةٌ تلك ثم خَيَّم صمتٌ وظَلامٌ ؛ فما تَرى مِنْ ضِيَاءِ
فمضتْ تُضرِمُ(٧) الغريزةَ ناراً وتُثيرُ الشُّواظَ بين الدِّماءِ
البِدارِ(٨) البِدارِ يا أيها الجِسْمُ ، شِفاءً من الطَّوى والظَّماءِ !(٩)

* * *

وتَوارى « الإنسانُ » حين تبدَّى « حيوانٌ » ذو شِرَّةٍ نَكْرَاءِ
وإذا بالخطيئةِ السُّوءِ نَشْوَى بانتصارٍ ، نالتْهُ فى الظَّلْمَاءِ !

---

(١) نشرت فى أبريل ١٩٣٥ .

(٢) كل مافى القصيدة من ألفاظ الظلام والليل يقصد بها الظلام المعنوى المضاد لضوء الفكر وسنا الضمير ، اللذين تهرب منهما الخطيئة .

(٣) بهمة : الليلة التى لايطلع فيها القمر .

(٤) الرقطاء : من الرُّقْطَة : لون مؤلف من بياض وسواد أو من حُمرة وصُفرة .

(٥) الحِجا : العقل (الفطنة والإدراك) .

(٦) أرجفت : اضطربت .

(٧) تُضرِم : تُشعِل .

(٨) البِدار : الإسراع .

(٩) الطوى والظماء : الجوع والتعطش .

القطيع[1]

لَظىٰ الشمسِ ؟ أم فَوَّارةٌ من جهنمِ تَسيلُ شَظَاياها ، وتنضَحُ بالدَّمِ
هو القيظُ قد فارتْ ينابيعُ وَقْدِه وفاضتْ على الأرضين فى كلِّ مَجْثَمِ
وضَاقَ رُواقُ الظِّلِّ عنها وأرسلتْ من الشمس أرسالٌ[2] إلى كلِّ مُبْهَمِ
فمالَ إلى الرَّاعى الشَّطوطِ[3] قطيعُه يَبثُّ رجاءً فى ثُغَاءٍ مُتَمْتِمِ
ونَاجَاه ، ويحَ الظلِّ إنْ نحن لم نَمِلْ إليه ، ويابُؤْسَاه سعياً لِمَغْنَمِ !
عَيِينا بهذا الضَّرْبِ فى كلِّ حَرَّةٍ[4] وراءَ ذَمَاءٍ[5] من شَرابٍ ومَطْعَمِ
ومأأنتَ — لو تدرِى — برابحِ صَفْقَةٍ ولانحن ؛ إنَّا كلَّنا ذلك العَمِى !
نسيرُ بصحراءِ الحياةِ ، ولانَرىٰ سِوى ظِلِّنا ، يَطْغَىٰ على كلِّ مَعْلَمِ
يُسَخِّرُنا مَنْ لانراه ، لغايةٍ يَراها ، ولم نُؤذَنْ بها أو نُفَهَّمِ !
فياأيُّها الرَّاعِى هدوءًا وهَيْنَةً إلى الظلِّ نَرْتَعْ لحظةً أو نُهوِّمِ[6]
فمالَ به الرَّاعى إلىٰ ظلِّ دَوْحةٍ ظليلٍ ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْوَلِ

* * *

تَنَاهَى إليها الطيرُ من وَقْدةِ اللَّظىٰ وتَابَ إليها الظِّلُّ فى غير مَعْجَلِ
وأَلْقَىٰ عصاه ، ثُمَّ أَلْقَى بجسمِه وقد ضَافَه بالأَيْنِ[7] طولُ التنقلِ

---

(١) نشرت فى يونيه ١٩٣٥ .

(٢) أرسال : جمع مفرده الرَّسَل : القطيع من الإبل والغنم أو الجماعة من الناس .
أَرْسَلَتْ : انطلقت دون قيد .

(٣) الشطوط : البعيد .

(٤) الحَرَّة : أرض ذات حجارة سُود كأنها أحرِقت

(٥) ذَماء : البقية ، بقية الروح فى المذبوح .

(٦) الهَوْمُ : النوم الخفيف .

(٧) الأين : الإعياء والتعب .

وراغَ إلى الماء القطيـعُ كأنما … تَدَهْدَهَ[٧] جَرفٌ من نَطيحٍ مُزَلْزَلِ
يَعُبُّ ويَستسقى بشوقٍ ولهفـةٍ … ويُفْعَمُ ريًّـا من مُعلٍّ ومَنْهلِ
فلما ارْتَوى آوى إلى الظِّلِّ مُجهداً … وقد خلَّ[٨] فى أعضائه كلُّ مَفْصِلِ
فنامَ على الأعشابِ ، مَاإنْ تُرىٰ له … رءوسٌ ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ
توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ[٩] التقتْ … مَداخِلُه ، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ
كأنَّ شاءَ ذياك القطيعِ تَوَحُّداً … فأغفلَ ذاك الرأسَ رمزَ التعقلِ
وياطالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُهم … ومايَقتضيه من طِماحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعى رُؤىً عَسْجَديةٌ … وجالتْ به الأحلامُ كلَّ مَجالِ
لقد هبطَ الوادى فَأَلْفَاه جنةً … بما فيه من خَفْضٍ وهَدْأةِ بَالِ
وماءٍ غزيرِ النبع سَلْسَالِ مَنْهلٍ … يَحُفُّ به عُشبٌ وفيضُ ظِلالِ
ويَاحَبذا نَفْـخُ النَّسيـمِ وطِيبُـه … وريَّـاه من رِفْـقٍ به وبِـلالِ
ألاَ إنـه هذا النعيـمُ ، وإنها … هى الجنةُ الفَيْحاء خلقُ خَيالِ !
وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ ، يالَه … من الخوفِ فى هَوْلٍ به وصِيالِ[١٠]
يُزمجر فيه الوحشُ من كل فاتكٍ … قد اختلـطتْ أصواتُـه كعَـوالِ
وتَعْصِفُ فيه الريحُ ، ياهَولَ عَصْفِها … زئيرُ أُسودٍ ، أو فحيحُ صِلالِ[١١]
فهَبَّ مَفيقاً ، يستبين حياتَـه … ليوقن أن لم تَصطدم بوبالِ[١٢]
فألفىٰ قطيعَ الشاءِ يدعُو فصيلَه … إلى التَّدىْ ، فى صوتٍ يجلجل عالِ

* * *

---

(٧) دَهْدَهَ الرجلُ الحجر : دحرجه ، دَهْدَه الشيءَ : قلَّبَ بعضه على بعض ، تَدَهَدَهَ الحجرُ : تدحرج والمراد : اختلط القطيع ببعض أثناء نزوله فى عنف وشدة إلى الماء .

(٨) خَلَّ : صار فيه خَلَلٌ : ويقال : خَلَّ العَسْكَرُ : كان غير متضام ، والمراد أحس القطيع بالفتور والتراخى .

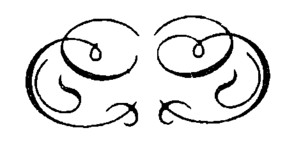
(٩) الزَّرَدُ : حِلَقُ الدّرْعِ ، المراد أن الشاء فى تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة بدرع من حِلَقٍ (الزَّرَد) .

(١٠) صَاوَلَه مُصَاولةً وصِيالاً وصيالة : غالبه ونافسه فى الصَّوْلِ والصَّوْلُ : من صَالَ أى سَطَا عليه ليقهره .

(١١) الصِّلُّ : الحية من أخبث الحيات ، والجمع : الصِّلال .

(١٢) بوبال : بشدة من وَبُلَ وَبَالاً .

وأطرقَ يستوحى الرُّؤىَ ويحها الرؤىٰ ... إلى أين قد طافَتْ به غيرَ عَالِمِ ؟
وأينَ من الوادى خُطَاه ؟ وإنها ... لَآمالُ رَاجٍ أو خيالاتُ حَالِمِ !
وأين هو الغابُ الرَّعيب ؟ وإنّه ... ليهفُو إلى ماضٍ سحيقِ المعالِمِ
لَأعياه تَأويلُ الرُّؤى ، غير أنّه ... يحسُّ هدوءاً فى ضَلالِ الطلاسِمِ
فمال على « أرغوله » يَستَجيشُه ... خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائمِ
فرجَّعَ أنغاماً من الغابِ وَزْنُها ... وألحانُها نسمُ الرياضِ الحَوالـِمِ
فأوزانُها ذكرى ، وألحانُها مُنىً ... كذلك يشدو فى الورىٰ كلُّ نَاعِمِ
وقد رقَّتْ الآصالُ وانسلّتِ الصَّبا ... وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائِمِ
فكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَةٍ ... ولـذَّات مَوهُـوبٍ وآلامِ غارِمِ
وغَشَّىٰ على الدُّنيا ظلامٌ فهوَّمتْ ... ونامتْ كطفلٍ فى الغِرارةِ هَائِمِ



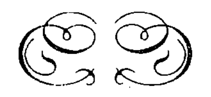
على القمة[1]

نظرتُ إليها وهى شَمَّاءُ تذهبُ كما لاَحَ فى أفْق السموٰاتِ كوكبُ
فأعجبنى منها السُّموقُ[2] وهَالَنى تَطاوُلها والرِّيح تَطغىٰ وتَصخبُ
وطـارَ خيـالى فوقَهـا ووراءَهـا يصوِّر من أطيافِها [ما تغيبُ]
عجائبُ لَم تخْطرْ على البالِ مِثْلُها ودُنيا من الأحلام تَزْهُو وتعجبُ
وقلت : « سعيدٌ من تطاولَ كَفُّهُ ذُرَاها وتدرى عينه ماتَحجبُ »
دَلِفتُ[3] إليها ، والخُطَا تَسبق الخُطَا وفى النفسِ شَوقٌ يَستَحِثُّ ويُلْهِبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفُه وتهفُـو[4] رُؤَاه مغرياتٌ وتَغـْرُبُ
هو الشوقُ للرُّقيا وفى الحيِّ حافزٌ إليها فيرقى فى الحياةِ ويَغلبُ
دَلفْتُ فلم أنْظُرْ إلى الخلفِ مرةً وهل ينظرُ العَجْلانُ ماذا يُعَقِّبُ[5] ؟
وماعَاقنى جُهدٌ ولا وَقْعُ عُسْرَةٍ وأنْسَتْنِى الأشواقُ أنّـى مُتْعَبُ
هنا القِمَّةُ الشَمَّاءُ يَاحُسْنَه هنا ! ويَاحُسْنَ مايدنُو إلى النفسِ مَأْرَبُ
تأمَّلْتُهـا فرحـانَ أخفـقُ نَشوةً وأُوشكُ أُغْذِى سَنَاهَـا وأَشْرَبُ
وقلتُ : « هنا يانفسُ أشْرَفُ بُقْعةٍ وأرْحَبُ أفقٍ فى السموٰاتِ يَرْقُبُ »
وإنّكِ مِن فوقِ التلالِ طَلِيقةٌ ولم يَبْقَ مَستورٌ عليك مُغَيَّبُ
فَقَرِّى هنا يانفسُ جَدُّ سعيدةٍ فليس وراءَ الأفقِ يانفسُ مَطْلَبُ »
وأغمضتُ عينى سَابحاً فى خواطرِى وبى نَشْوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُبُ
فما رَاعَنى إلاّ الزمانُ يَلُفُّنِى إلى الضِّفَّةِ الأُخرى كما لَفَّ كوكبُ

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٧ .
(٢) الارتفاع والعلو .
(٣) دَلَفَ : مشى رُوَيْداً وقارب الخطو ، دَلَفَ إليه : أقبل عليه .
(٤) تهفو : من هَفَا فى المشى : أسرع وخف فيه ، وهَفَتْ النَّفْسُ إلى الشىء : حَنَّتْ واشتاقَتْ أو طَرِبَتْ .
(٥) يعقِّبُ : يأتى خلفه .

إلى أينَ ؟ لاتَعجلْ رُويدكَ هَيْنَةً | فما هكذا تُطوى الأَمَانِى وتَذْهبُ
وماهكذا يُجْزَىٰ الذى جَدَّ جَدُّه | إلى القمةِ الشمّاءِ ، والقلبُ مُلْهَبُ
وخلّفَ فى ناءٍ من السَّفْح زَادَه | وما عَزَّه فى ذلك الوعرِ مَرْكَبُ
رويدكَ ياهذا الزمانُ فإننى | من الهوّةِ الجَردَاءِ أَخْشَىٰ وأَرْهَبُ
وإن لا يكنْ بُدٌّ من السير فانطلقْ | إلى الخلفِ إنِّى عَاذِرٌ لك مُعْتِبُ
تَأَلَّفْتُه يوماً فإنْ عُدتُ لم أَعُدْ | إلى غربةٍ تجفُو علىّ وتَنْكُبُ[٦]
ولكنّه لم يُصْغِ لى فى ضَرَاعتِى | ومازال يَهْوِى بى ولا يَنْكُبُ
إلى الهوةِ الجرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ | إلى الهوةِ الجرداءِ فالدَّهْرُ يَلْعبُ



(٦) تَنكُبُ : تميل عنى . والمراد تبتعد .

مصرع قصيدة[1]

أحسستُ مَصْرَعَها بِنَفْسِى بيـنَ التـــأوُّهِ والتَـــأسِّى[2]
وسَمِعْتُ حَشْرَجَة[3] الجَرِيحِ تَئـنُّ فى أطْــواءِ حِسِّى
هِىَ مِنْ بَنَاتِ الشِّعرِ لَمْ تُولَــدْ ولم تُوأَدْ لِــوكسِ[4]
جَاشَتْ لِفَاتنةٍ على الشُّطآ نِ ذاتِ رضًا وأُنْسِ
نَضِجَتْ مَحَاسِنُهـا كَمَـا نَضِجَتْ قُطوف جنىً بِغَرْسِ
وَحسبتُها صِينَتْ على الْـ أنْظَارِ مِنْ قَطْـفٍ ومَسِّ
فَهَمَمْتُ[5] أدْعُوهـا دُعَــا ءَ الفَنِّ فى خَطَرَاتِ هَمْسِ
شِعـراً يُسَجِّـلُ حُسْنَهـــا للكونِ فى أحْنَاءِ طِرْسِ[6]
وإذَا الأيــادِى القَاطِفَـــا تُ تَجُولُ فى عَبَثٍ وَبَخْسِ !
يَا وَيـلَ قُطَّـافِ الجَمَـا لِ بغيرِ مَا وَرَعٍ[7] وَنَطْسِ[8]
بَيْنَـا نَحُـومُ عليـــه فى تَقْوىً . كما نَرْنُو لِقُدْسِ !

* * *

وإذا التى جَاشَتْ بِنَفْسِى تُثْوَّىٰ مُضَرَّجَــةً[9] بِحِسِّى !

---

(١) نشرت فى ديسمبر ١٩٣٨ .

(٢) التأوه والتأسى : الألم والحزن .

(٣) حشرجة : يقال حَشرَجَ المُحتضرُ عند الموت ، وحَشرجت روحه فى صدره : أوشك أن يموت والمراد صوت تردد النفس عند الاحتضار .

(٤) توأد لوكس : وَأدَ ابنته : دفنها حية (عادة جاهلية) . وَكَسَ : نقص . والمراد : حينما أخفى قصيدته لم يكن لعيب فيها .

(٥) فهممت : من هَمَّ : عزم على القيام بأمر ولم يفعله .

(٦) طرس : كتاب (كُتِبَ ثم مُحِىَ ثم كُتِبَ مرة ثانية) أو صحيفة .

(٧) ورع : تقْوى أو خوف من الله .

(٨) نطس : من نطِسَ أى دقق النظر فى الأمور واستقصاها .

(٩) مضرجة : من ضَرّجَه أى لطخه بالدم أو صبغه .

وُجوهٌ طَرِيفَة[1]

طَالِعِينى فى كلِّ يومٍ بِوَجْهٍ ... فلديكِ الوجُوهُ شَتىٰ طَرِيفَهْ
وَافْجَئِينِى لديك بالخَطْر[2] المَحبو ... بِ يُجَدِّدْ حياتَنا المَأْلُوفَهْ
بتُّ أَشْتَاقُهُ وأرقُبُ مَاذَا ... يَحْمِلُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفَهْ !
كلُّ سَمْتٍ[3] أراكِ فيهِ جميل ... كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شَفيفَه
أنتِ ما أنتِ ؟ عَالَمٌ مُترامٍ ... أَبْدَعَ الفنُّ والمُنَى تَأْلِيفَهْ
أنت كُثْرٌ فَفِيكِ تَحْيَا طُيُوفٌ ... كلُّ طَيفٍ له رُؤاهُ المُطِيفَهْ
تارَةً أنتِ حَرَّةٌ[4] أصْطَلِيهَا ... وإذَا أنتِ كالرِّياضِ الوَرِيفَهْ[5]
وَتَلُوحِينَ قِطْعَةً من حَنانٍ ... وَتَلُوحِينَ بَعْدَ حِينٍ مُخِيفَهْ !
وأرى فيكِ طِفْلةً لم تبارحْ ... مَلْعَبَ الطِّفْلةِ اللَّعوبِ الخَفِيفَهْ
وإذَا أنتِ قَهْرَمَانَةُ[6] دَهْرٍ ... مُوْغِلٍ فى المَسَارِبِ[7] المَلْفُوفَهْ
وإذا ما انْطويتِ أمسيتِ سِرًّا ... صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكِماً تَغْلِيفَه
وإذَا ما انطلَقْتِ مثلَ شُعَاعٍ ... كنتِ رَقْرَاقَةً وكنتِ لَطِيفَهْ
لكِ طَعْمٌ أَذُوقُهُ بل طُعُومٌ ... كُلُّهَا نَاضِجٌ هَوِيتُ قُطُوفَهْ
هُوَ طَعْمُ الحياةِ فى فَوْرَةِ النُّضْجِ ... شَهِيُّ الْجَنَى خَبِرْتُ صُنُوفَه

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٤٢ .

(٢) بالخَطَر : من خطَر فى مشيه خَطْراً وخَطَرانا أى اهتزّ وتبختر .

(٣) سمت : هيئة .

(٤) حرة : شديد الحرارة .

(٥) الوريفة : الظليلة .

(٦) قهرمانة : مُدبِّرة البيت ومتولية شؤونه ويقال : المرأة ريحانة وليست بقهرمانة .

(٧) المسارب : المسالك والممرات .

إلى الظَّلام[1]

إلى الظَّـــلامِ الأميـــــنِ　　تَحـــدَّرِى[2] يَا سَفِينِـــى
وَجَانبـــــــى كلَّ نُورٍ　　النُّـــورُ يُؤذِى جُفُونِـــى
لَقَـدْ حَطَمْتُ شِرَاعِـــى　　ومِجْدَفِـــى ويَمينِـــــى
وهـــدَّ عَزْمِـــــىَ مَوجٌ　　يَثُـــورُ كالمَجْنُـــــونِ
أَنْحشَاه أَنْحشَاه جُهـــدِى　　فَحَـــاذِرِى يا سَفِينِـــى !

طَالَ الصِّرَاعُ ونَـــــاءتْ[3]　　نَفْسِى بِعبْءِ السِّنيـــــنِ
أُرِيـــدُ وَقْفَــــةَ أَمْـــنٍ　　فى مَجْهَـــلٍ مَأمُـــونِ
أُرِيــحُ فيـــهِ قَليـــــلاً　　عَن عَاتِقِـــى المَوْهُـــونِ
وأَستريـــــــحُ رُويــــــداً　　من الصِّراعِ الحَـــرُونِ[4]
وقـــد أُعــــاوِدُ سَيْـــرى　　فى اللُّجِّ[5] أُزْجِى[6] سَفِينِى

* * *

إلى الظـــلامِ الأميـــنِ　　إلى مَلاذِ السُّكُـــــونِ
طَالَ التيَقُّـــظُ حتَّـــى　　أَعْشَى[7] السُّهادُ عُيونِـى
إِلى المَسَـــارِبِ فَامْضِى　　لأَنْزَوِى عن شُجُونِـــى
وعَـــنْ رَجـــائى ويَـــأْسِى　　وكـــلِّ ما يَعْنِينِـــــى
الانْـــــزِوَاءُ مُريـــــحٌ　　فَأَوْغِلِـــى يَا سَفِينِـــى

(١) نشرت فى ١٩٤٣ .
(٢) تحدرى : الانحطاط من أعلى إلى أسفل .
(٣) ناءت : ضعفت تحت أعبائها كما تضعف تحت أثقالها .
(٤) الحَرُون : المتمرد والمراد : الصراع المرير .
(٥) اللُّجِّ : تردد أمواج البحر .
(٦) أُزْجى : أدفع .
(٧) أعشى : المراد أضعفها .

قَافِلةُ الرِّقيق[1]

قِفْ بنا يا حَادِى العُمرِ هُنا لَحْظَـةً نَنْظُـرْ ماذَا حوْلَنـا
فى طَرِيقٍ قَدْ نَثَرْنَا عُمْرَنا فيـه أشلاءَ حيـاةٍ ومُنَـــى

* * *

قد نَثَرْنَاها على طَولِ الطرِيق ومَضينَا ضِمْنَ قُطْعانِ الرَّقيقْ !
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحِيقْ مُغْمَضَ العينين يَسْرِى مَوْهِنا[2]

* * *

من ظَلامِ الغَيبِ تَخطُو قدمَاه لظلامِ الغيبِ تَنْسَاقُ خُطاَه
فى طريقٍ غامضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِفُ الحادِى . فيمضِى مُذْعِنَا

* * *

قِفْ بنا ننظرْ إلى أشْلائِنا نحنُ لا نَرْجِعُ يوماً هَاهُنَا
مرةً تَمْضِى ، ونَمْضِى وَحْدنَا فى ظلامِ الغيبِ نَطْوِى الزَّمَنا

* * *

لَهفَةً لو عُدتُ أرْعَى خُطوَاتى فى طَرِيقٍ دَرَجْتُ فيه حَياتِى
فَتَطلَّعتُ إلى هذا الشَّتاتِ[3] وأنا فى الكُرَّةِ الأُخرى أنَا !

* * *

لَتَمَلَّـيتُ شِيَـاتى[4] وسِمـاتى وأمَانِىَّ ويـأسِى ورَجَاتِـى

---

(١) نشرت فى ١٩٤٦ .

(٢) المَوْهِنُ : نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعةٍ منه . والمراد : ليلاً .

(٣) الشتات : التفرّق .

(٤) الشيات : مفردها الشِّيَةُ : العلامة .

وحَماقَاتِى ورُشْدِى وهَنَاتِــى والهَوىٰ الحَانِى الذى ظَلّلنا

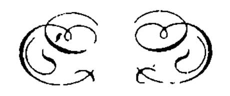
كلُّها عَاهَدتُ أن أقْضِى عُمرِى وأنا أُخْلِصُها سِرِّى وجَهْرِى
وإذَا السَّوْطُ هَوىٰ يُلْهِبُ ظَهَرى حيثُ لا أسْتَطِيعُ رَيْثاً أو وَنى[٥]

* * *

وإذا الآمَالُ والآلامُ خَلفِى سَاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيدى وخُلْفي
مُلْقَياتٌ بينَ إهمالٍ مُسِفٍّ[٦] لم أُوَدِّعْهــا . فيا وَاحَزَنَــا !

* * *

أيُّها الحَادِى ألَا فامضِ بِنَا قد أثارتْ ذِكْرَياتى الشَّجَنَا
لم نعُدْ نَجزعُ لو تَحْلُو لَنَا : « نحن لا نَرْجِعُ يوماً ها هُنا »



---

(٥) رَيثاً أوونى : بُطْئاً أو ضعفا .

(٦) مُسِفٌ : فى جهل وطيش .

فى مفرقِ الطريق[1]

بين نفسين من النفوس الكثيرة التى تعيش فى الإنسان الواحد متفرقة فى بعض الأحيان . دار هذا الحوار ... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه ، وأما الأخرى فتنزع إلى العزاء بالتطلع إلى جديد :

أنْتَ أوْغلتَ فى الظلامِ طويلَا ... فمتى يارفيقُ تبغى القُفولا[2] ؟
شدَّ ما آدَنَا[3] التخبُّطُ فى الليلِ ... وخِفْنـا ظلامَه المدخـولا !
ورأينَا الأوهامَ تبدو شخوصاً ... ورأينا الشخوصَ تبدو هَيُولَى[4]
وَخَبَرْنا فلـم يُفِدْنـا اختبـارٌ ... وسَخِرْنَا مِمَّا خَبَرْنَـا طَويـلاَ
يا رفيقى . إذا قَدَرْتَ فأَوِّبْ ... إن هذا الظلامَ يُضْنِى العُقُولاَ

أنا أخشى الضياءَ أُبْصِر فيها ... ذكريـاتى تبـدلتْ تبديـلاَ
أنا أخْشى النَّهار يكشفُ عنى ... كلَّ وَهْـمٍ أرُودُه[5] تعليـلا
أنا يا صاحبى أُشِيحُ بوجهى ... أنا أرى عهْدنا تَرَدَّى قتيلا
أنـا يَا صَاحِبـى أُدافِـع عَقْلِـى ... أنْ يَرُودَ الْيَـقين جَهمـاً ثَقِيـلاً
الظَّلامَ الظّلامَ أرْوَحُ للقلبِ ... ولو كان لا يُريح العقولا !

* * *

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤١ (٢) القفول : الرجوع (رَجَعَ) .

(٣) آدنا : من آدَىٰ فلانٌ إيداءً : قَوِىَ ، وآدىٰ فلانا على كذا : قوَّاه عليه وأعَانَه .

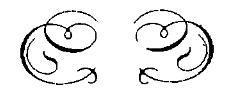
(٤) الهَيُولَى : مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة ، قابلة للتشكيل والتصوير فى شتى الصور . ويقال ــ حديثا ــ مادة الشىء الذى يصنع منها ، كالخشب للكرسى .. وهكذا والكلمة معربة . والمراد أن الأشخاص ظهرت لا شكل لها ولا هيئة ولا لون .

(٥) أرود : أطلب أو أتردد عليه .

يَارَفيقُ . الحَيَاةُ أَسْمىٰ وَأَغْلىٰ أن تُقَضَّى كذاك وهماً ضئيلَا
يا رفيقُ . الحياةُ أقصرُ عهداً أن تُضحَّى ساعتها تخْييلا
أُبْ من الظُّلمةِ الحبيبة واهجُرْ كلَّ ما كان فى الحياةِ الأُولىٰ
وتطلَّعْ إلى جَمـالٍ جَديـدٍ أفلم تَلْقَ فى الحياةِ جميلَا ؟
عِشْ بما قد وُهِبْتَهُ من حياةٍ مُسْتثارَ الإحساسِ نَهِمًا عجُولا

* * *

آه يا صاحبى أتجهلُ أنِّى أفقِدُ الدَّارَ إنْ فقدتُ الطُّلولَا(٦)
ذاك عهدٌ أنفقتُ فيه رَصيدِى كلَّـهُ لم أُبْـقِ منـه قليـلَا
أتُرانى أُجدِّدُ الذُّخرَ والعُمرُ(م) مُوَلٍ والجَهْدُ أمسى هَزيلَا ؟
أنا باقٍ هُنا فإن شئتَ دَعْنى ورُد الكـونَ حافـلاً مَأْهُـولا
أنا باقٍ هُنا أرُودُ طُلُـولِى لَم أعُدْ بَعْدُ أستطيبُ القُفُولا !



(٦) الطلول : مفردها طلَلٌ : مابقى من آثار الديار ونحوها .

أقدامٌ فى الرِّمال(١)

نحنُ ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ ؟ وخيالٌ سَارِبٌ(٢) إثرَ خيالْ
فى مَتاهاتِ وُجُودٍ لزوَالْ كبقَايَا الخطو فى وَجهِ الرِّمَالْ

* * *

زُمَرٌ(٣) تَدْلِفُ فى إثرِ زُمَرْ ويحَ نَفْسِى ! إنّه رَكْبُ البَشَرْ
مغمضُ العَيْنَيْنِ فى كَفِّ القَدَرْ كلما أوْغَلَ فى التِّيهِ انْدَثَرْ

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيّانَ سَارَا ؟ ما أرىٰ فى إثْرِهِ حتّى غُبَارَا
ما أرى قبراً وما أُبْصِرُ دَارَا ضَلّةً(٥) لى ! ذاكَ ظِلٌّ وتَوَارَىٰ

* * *

مِنْ ظَلامِ الغيبِ فى التيهِ البعيدْ لظلامِ الغيبِ فى التيهِ المديدْ
وَمْضَةٌ كالبرقِ تجتازُ الوجودْ ويُسَمِّيها بنُو الأرضِ الخُلُودْ !

* * *

خُدْعَةٌ رَاقتْ لأبناءِ الفَنَاءْ حينما أعْيا على الأرضِ البَقَاءْ
المساكينُ هَبَاءٌ فى فَضَاءْ رَحْمَةً للذرِّ فى مَسْرَىٰ الهواءْ !

* * *

---

(١) نشرت ١٩٤٦ .

(٢) سارب : سارب فى الأرض ذهب على وجهه فيها .

(٣) زُمَرٌ : جماعات .

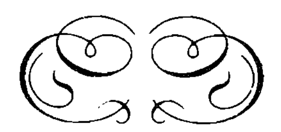
(٤) تدلُف : تمشى رويدا متقاربة الخطو .

(٥) ضَلّةٌ : حَيْرة .

ما أرىٰ الأرضَ تَحِسُّ الوافديـــــن أو أرىٰ الأرضَ تَحسُّ الرَّاحليـــــنْ
كلُّ مَا كَانَ ومـــا سوف يَكُـــونْ نَأْمَةٌ(٦) تَهْجِسُ(٧) فى جَوْفِ السُّكُونْ

* * *

خَطَــواتٌ ذاهبــاتٌ فى الرِّمَـــالْ وخيـــالاتٌ تَرَاءَتْ لخيـــالْ
وشُخُــوصٌ تتــوارى كظــلالْ للزوالِ ... كلُّ شيءٍ للـــزوالْ !



(٦) نَأْمَةٌ : صوت ضعيف خفى أيا كان .

(٧) يَهْجِسُ : من هَجَسَ : خطر بباله .

خُدْعَةُ الخُلود[1]

لا أنتِ سَالَـمكِ الزمـانُ ولا أنَـا
لا أنْتِ داعيـةٌ ولا أنـا مُسْتَجِيبْ

هذى مَياسِمُـه[2]على قَسَمَاتِنـا
قَرَّتْ أمانينـا على الأُفقِ القَـريبْ

ودَبِيبُـه ينسابُ فى خَطَرَاتِنـا
ويَكْشِفُ الوهمَ المُغَلْغلَ[3] فى الغيوبْ

ويَدَاه تَنْسِلُ[4] من خيوطِ حَياتِنـا
وبدوتِ عاريةً من الأَلَقِ[5] العجيبْ

ويَدُ البِلىٰ تَطوِى الرغائبَ والمُنىٰ
وبدوتُ عَادِىَّ المحاسنِ والعيُوبْ !

* * *

ما الفجرُ ؟ ما الأحلامُ ؟ ما الشوقُ الدفينُ
ألقـاكَ كالذكرىٰ تَمرُّ بخَاطِـرِ

مَا نَشْوَةُ الذِّكراتِ ؟ ما حَرْقُ الحنينِ ؟
كالخَطْرَةِ الوَسْنَىٰ[6] بفكرةِ شَاعـرِ

مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّحِ[7] بالفتونِ ؟
كالـرسمِ يَبْهتُ لا يَبِينُ لناظـرِ

ما اللهفةُ الكبرىٰ تُراوِدُ فى جنـونٍ ؟
كبصيصِ نارٍ فى الرمـادِ الفَاتـرِ

مرَّتْ عليها كُلِّهـا كَفُّ السنيـنَ !
وَيْحِى وويحُكِ نحنُ ذِكْرىٰ عَابـرِ !

* * *

خَطَواتُكِ النَّشْوىٰ التى كادتْ تَطِيرُ
وَيْحِى وويحُكِ ما الحياةُ وما الخُلُودْ ؟

وتوفُّزُ[8] النَظَـراتِ فى أَلَـقٍ مُثيـرٍ
خُدَعٌ تُهَدْهِدُنـا بها الأُمُّ الولـودْ

---

(١) نشرت فى ١٩٤٨ .

(٢) مياسم : جمع مفرده مِيسَمُ : السِّمة أو العلامة التى تميِّز شخصا عن آخر من وَسَمَ الشىء .

(٣) المُغَلْغَل : المتداخل فى الغيب بحيث صار جزءا منه ، من غَلْغَلَ الشىءَ فى الشىء : أدخله فيه حتّى يلتبس به ويصير من جملته .

(٤) تَنْسلُ : من نَسَلَ الشىء ، ونسولا : انفصل عن غيره وسقط .

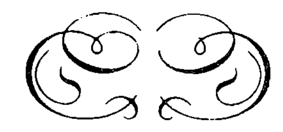
(٥) الألق : التزين والبريق .

(٦) الوسنى : كثيرة النعاس .

(٧) المُوشّح : المرتدى بالفتون من اتشح أى يرتدى الوشاح .

(٨) تَوَفُّز : تَعَجّل وتَهيىء .

وتَـوثُّبُ اللفتـاتِ فى لَهَــبٍ حَرورٍ[٩] ويدُ البِلىٰ تَطْوِى القديمَ على الجديـدْ
وتُقَـلُّبُ الرَّغَبـاتِ فى قَلَـقٍ غَريـــرٍ[١٠] والدَّهــرُ ماضٍ لا يكِـلُّ ولا يَحِيـــدْ
وَيْحِى وويحُكِ قَدْ تَعَاوَرَهـا[١١] الفُتُـورُ والنــاسُ والأيــامُ والدُّنيــا عَبيـــدْ



(٩) حرور : شديد الحرارة .
(١٠) غرير : سَاذج (من لا خبرة له)
(١١) تعاورها : تَعَاوَرَ : تداول .

الغــــزل

هــى أنْتِ التــى خُلِقَتْ لِنَحْيــا

فى ظــلالٍ من الوفــاءِ الرَّشــيدِ

كحياةِ الأرْواحِ تُضْفِـى حنــاناً

وهــى تهْفُــو فِــى ظِلِّهـا الممْدُودِ

سيد قطب

لَيْــلَـةٌ[1]؟!

يالَيلـةَ الأمسِ والليـــلاتُ ذَاهبـــةٌ
كغَمْضَةِ العيـنِ فى أضْغَـاثِ[2] أحْلَامِ

يَرْعَـــاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفـــةً
تجيشُ بالحبِّ عَن وَحْـــــيٍ وإلهامِ

يَرْعَـــاكِ مَنْ خَلَـــقَ الأرواحَ شَاعِـــرةً
دقيقـةَ الـــحِسِّ فى رِفْـــقٍ وإحكـــامِ

لأنتِ أقصرُ ليلاتِـــــى وأخْلَدُهـــــا
وأنتِ أزْهَـــرُ سَاعَـــــاتِي وأيامِـــــى

فيكِ التقينـــــا فلا إثْـــمٌ ولا حَرَجٌ
فى ظلِّ طيـــفٍ من الإخـــلاصِ بَسَّامِ

ورُوحٌ من الحبِّ خَفَّـاقٌ يَحـفُّ[3] بنـا
حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَـةِ النَّامِـــى

ويُـــنْشِدُ الحبُّ أنغامـــاً يُلحِّنُهـــــا
لحنَ الطبيعةِ ذَاتِ المنطـقِ السَّامِـــى

بالليـــلِ يَتْلُـــو على الأكـــوانِ آيتَـــه
ماأبـــدعَ الليـــلَ في شَدْوٍ وأنْغــــامِ

* * *

ياليلـــــةَ الأمس هَلّا أنتِ عائـــــدةٌ
إلى الزمـــــــــانِ فَأنْسَى كلَّ آلامِى

إنّـى لأَلْمَـــحُ طيفـــاً مِنْكِ يُؤْنِسُنـــى
فى وَحْشَتِـــى بيـــنَ أيقـــاظٍ ونُـــوَّامِ

ذِكـراكِ باقيـةٌ مهمـــا يَطُـــلْ زَمنِـــى
فأنتِ زهـــرةُ أيامِـــــى وأعْوَامِـــــى

فِيـــــكِ أولُ آمَـــــالى وآخرُهـــــا
وأنتِ مَنْبَـــعُ إمـــدَادِى وإلهامِـــــى

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٢٨ .

(٢) أضغاث : أضغاث أحلام : ما كان منها ملتبساً مضطربا يصعب تأويله .

(٣) يَحفُّ : استدار وأحدق (يحيط) .

نَظْرَةٌ مُوحِشَةٌ(١)

أهــو حَظِّــى مِنك تلكَ النَّظَــراتُ ... كلمـــا جادتْ بِمـــرْآكَ الصُّدَفْ ؟
وخَيـــالاتٌ تَراءى فى سُبـــــاتٍ(٢) ... مُذْكِيـاتٌ مَا بنَـــفسِي مِنْ شَغَـــفْ ؟
أكـــذا تَمْضِي بَقِيَّـــاتُ الحَيَـــاه ... ليتَ شِعْـري وكـــذا يُقْضَي العُمُـــرْ ؟
آه . مَاأشْجَـــى ومَـــا آلَـــمَ . آه ... إن يكـنْ هذا فمـــا أقْسَى القَـــدَرْ !
أيْـنَ ساعـاتٌ مَضَتْ قبـلَ الفِـــراقِ ... مِلؤُهـا العَطْـفُ وريَّاهـــا(٣) الوَفَـــاءْ ؟
هكـــذا الدُّنيـــا اجتماعٌ وافتـــراقٌ ... وهـــي آهـــاتٌ وذِكْـــرىٰ وشَقَـــاءْ !
شَدَّ ماألْقَـــاه فى هذا النَّـــوىٰ(٤) ... من عَذَابٍ يَنْكـــأُ(٥) القـــلبَ ألِيـــمْ
شَدَّ ماتَسْتشعِـــرُ النـــفسُ الجوىٰ ... فَتلظَّـــىٰ فى شُعـــورٍ كَالجحيـــمْ
ليتنـــي أدْرِي ــ وإن لم يُشْفِنـــي ــ ... كيـفَ أُبْـدِى مَا بِنَـفْسِي مِنْ أَلَـــمْ !
رُبَّ إحساسٍ أليـــمٍ شَفَّنِـــــى(٦) ... لَمْ أُصوِّره بلفــــظٍ فاضطـــــرمْ
آلم الإحساسَ إحساسٌ دفيـــــــنٌ ... وشعـــــورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِـــــرْ
لم يَجِـــدْ لفظـــاً فأدَّاه الأنِيـــنُ ... ودمـــوعٌ سَاكِبـــاتٌ تَنْهَمِـــرْ
أتُــرىٰ آلَــمُ للقـــلبِ الكَلِيـــمِ(٧) ... مِنْ رَجـــاءٍ كان يَزْهُـــو فَخَبَـــا ؟
وانطـــوىٰ يَغْمـــرُه يأسٌ عَقيـــمٌ ... يتـــركُ القـــلبَ قِفَـــاراً مُجْدِبـــا ؟
أتُـــرىٰ أوْحَشَ مِنْ ديـــرٍ كئـــيبٍ ... فى فَلاةٍ لا يُدانِيها البَشَـــــرْ

---

(١) نشرت فى أبريل ١٩٢٩ .

(٢) سُبات : راحة أو نوم .

(٣) رياها من روى العطشان .

(٤) النوى : البُعْدُ .

(٥) ينكأ : يجرح ويقتل .

(٦) شَفَّنى : جعلنى نحيلا هزيلا من مرض ، يقال : شَفَّه الحبُّ أو الهمُّ .

(٧) الكليم : المجروح .

وتكــادُ الرِّيــحُ تَحمِيــه الهبــوبَ
دَقَّ نَاقــوسٌ به عنــدَ السَّحَــرْ ؟

ذَاكَ قَلْبــي بعــدَ فُقْــدانِ الأمــلِ
مُوحِشٌ يَطْرُقُــه صوتٌ سَحِيــقْ[8]

تبعثُ الذكرىٰ صَدَاه إذْ تُطِلُّ
مُشْجِياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ

ما الــذي كانَ ومــاذَا سَيكُــونَ ؟
لستُ أدْرِى مَاجَــوابى ، لاجَــوابْ !

لَيتنــي أدرِى خَبيئــاتِ السنيــنِ
إن فِراقــا أو يَكُــن بعــدُ اقتــرابْ

إيــه يامِــلءَ فُؤادِى ومُنَــاه
إيــه يارمــزَ الأمَــاني والأمــلْ

يا نسيمــاً ضَمَّ أنْفَــاسَ الحيــاةِ
نَفْحَــةٌ تُهْــدِي إلى مَيْتٍ أجَــلْ

أنــا إذ ألْقَــاك عَفْــواً لا أُحِسُّ
فِيك جِسْمــاً كبقيــاتِ الجسُومْ

إنما ألقــاكَ طَيفــاً لا يُحَسُّ
طائفا يَهفُــو[9] كما يَهفُــو النَّسِيــمْ

فى خَيــالى أنتَ أنْقَــيٰ وأرقُّ
أنتَ رُوحُ فيــه أو طيــفُ مَلَكْ

بجناحَيــه تَراءى فخفــقَ
بسنــاءٍ هَادِيءٍ يُغْــرِي الحَــلَكْ

أفَــلا لُقْيــا بثغــرٍ بَاسِمٍ ؟
أفــلا قلبٌ أُناجِيــه سَمِيــعْ ؟

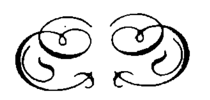
أفــلا شَكْــوىٰ فؤادٍ هائــمٍ ؟
أفــلا نَجْــوى بِصَمْتٍ وخُشُوعْ ؟

« بِحَياتِــى أفْتَــدِى هذا اللقــاءَ »
وأمانِــيَّ ومــا ضَمَّتْ يَدَاى

وبِنَــفْسي لو دَنــا عهــدُ الــرِّضَاءِ
فَمَحــا بُؤْسِى وأوْدَى بِجَــواى

وأوىٰ قلــبين فى بُرْدِ[10] الوفــاءِ
مثــل ما كانَــا شَقِيقَــيْ مَوْلِــدِ

ليتَ . لكــن « ليتَ » لاتُدنِى رَجاءَ
فَلأمُتْ أو أبقَ حِلْــفَ الكَمَــدِ[11]



---

(٨) سحيق : بعيد .

(٩) يهفو : يُسْرِعُ .

(١٠) بُرْد : كِساء يُلْتَحَفُ به .

(١١) الكمد : الحزن الشديد مع كتمانه .

طَيْف!!(١)

هو هذا أنتَ ياطيــفُ ؟ فَأهــلاً　　مرحباً ياطيـفَ مَنْ أهـوىٰ وسَهْــلَا

* * *

هَوَّمَ النَّـــومُ وأرْخَـــىٰ رِيشَه　　واحتـواني بِجَنــاحٍ قَد تَدلَّــى

وانـزوىٰ العَالــمُ عنِّــى وخَـبَتْ　　ضَجَّـةُ الكـونِ ومـا فيـه وَوَلَّـى

هاهُنـا فى النـومِ أَلْقَـىٰ عَالَمـاً　　هَادِئـاً رَحْبـاً وَبَسَّامـاً مُظِـلّا

وتَـراءىٰ الطيـفُ سَمْحـاً رَاضِيـاً　　بَاسِماً كالأمـلِ الحُلـو وأحْلَـىٰ

هُو هذا أنتَ ياطيــفُ ؟ فأهــلاً　　مرحباً ياطيـفَ مَنْ أهـوىٰ وسَهْــلَا

* * *

أُدْنُ مِنِّـى فاستمـعْ لَحْـنَ فُؤادِى　　إنَّــه لَحْـنٌ يُغَنِّيــه بَديــعْ

* * *

إنَّــه عنــوانُ حُبٍّ وَوِدَادٍ　　وهَيامٍ بين أَحْناء(٢) الضُّلُــوعْ

إنَّــه أُنْشُودَتِـى أَخْلُـو إليها　　بيــنَ صَمْتٍ وهَيـامٍ وخُشُوعْ

إنــه لَحْــنٌ أُغَنِّيــه وَقلْبِـي　　خَافِقٌ والعيـنُ تَهْمِـي(٣) بالدّمُـوعْ

أُدْنُ مِنـى فاستمـعْ لَحْـنَ فُؤادِى　　إنَّــه لَحـنٌ يُغَنِّيــه بَديــعْ

* * *

(١) نشرت فى يونيو ١٩٢٩ .

(٢) أحناء : مفردها حِنْو ، والحنو كل شىء فيه اعوجاج كالضلع .

(٣) تهمى : من هَمَتِ العين أى صبتْ دموعها .

هاكَ قَلْبِـــى فتسمَّـــــعْ خَفَقاتِـــــه   فهـــو قَلْبٌ مُسْتَشـــارُ الخَفَقـــاتِ

* * *

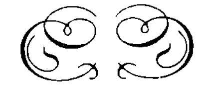
بَلِّـلْ[٤] الوَجْـدَ[٥] وهَدِّىء زَفَرَاتِـــه[٦]   فهـــو قَلْبٌ ضَيـــقٌ بالزَّفَـــراتِ
أنتَ ياطيـــفُ الـــذى يرجُـــو فُؤادِىِ   بعـد ماقَـــدْ ضَاقَ ذَرْعـــاً بالشكـــاةِ
هاكَ قَلْبِـــى فتسمَّـــــعْ خَفَقَاتِـــــه   فهـــو قَلْبٌ مُسْتَشـــارُ الخَفَقَـــاتِ

* * *

أنْتَ ياطيـــفُ ويارَيَّـــا[٧] حبيبـــــى   أنتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْـــــزُ السَّلامِ

* * *

لك مِنِّى كُلُّ مَعْنىٰ قُدْسِيٍّ   يَهْمِسُ الحبُّ بِه بينَ الأنامِ
أنتَ يا طيفُ ويارَيَّا حبيبى   أنتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّلامِ



(٤) بلل : من بلَّ بَلَلاً : بَرَأ وصَحَّ أو تَنَدَّىٰ .   (٥) الوَجْد : الحزن .
(٦) زفراته : من يقال : زَفَرَتْ النار : يُسمعَ لاتِّقادِها صوتٌ .
(٧) ريًّا : من رَوَىٰ ريًّا : استقى أو الشرب التام .

صوت ؟! [1]

تُذَكِّرُنى الماضِي فآسىٰ لِذْكرِهِ ... وتُوقظُ أشْجَانِى وقد كنتُ نَاسيَا
وتُلْهِبُ إحسَاسِى بأنغامِكَ التى ... تحدِّثُ عن قلبى إذَا أنَّ [2] باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه [3] الأسىٰ ... فخلَّفَه نِضْواً [4] مِن الهمِّ واهيَا
تُهيجُ بِه الأنغامُ آلامَه التى ... تحمّلَها بالرغم أسْوانَ [5] رَاضِيًا !
تحمَّلها لم يَشْكُ للناسِ ثِقْلَها ... وقد كان معذوراً لو آلتاعَ [6] شاكيَا

تُذَكِّرُنى حُبًّا قديماً دفنتُه ... ونفضتُ كَفِّى يائساً منه آسيَا [7]
ورحتُ أُوارِى كلَّ آثارِه التى ... تَراءىٰ فتُذْكِى الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابِيَا
بعثتُ به حيّاً يُطِلُّ ويَنْزَوِي ... ويفتحُ أجْفَاناً مِراضاً سَواهِيَا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها ... تُمَزِّقُ أشتاتاً وتبدُو بَوالِيَا [8]
هو اليومَ ذِكْرىٰ لاتُرْجَىٰ حياتُه ... فلا هو مَعْدوماً ولا هُو باقيَا
هو اليومَ آلامٌ وقد كان مُتْعةً ... ورُوحاً ورَيْحاناً وطيْفاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما ... بعثتُ به صوتاً من الثغرِ شَاجِيَا
وجَاشَ به صدرُ الحياةِ فَرجَّعَتْ ... أغاريدَه كالنُّوحِ أسْوَانَ دَاوِيَا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ ، والمراد بالصوت : محمد بخيت .

(٢) أنَّ : يَألم : صوت الألم .

(٣) آده : قوِىَ عليه .

(٤) نضوا : هزيلا .

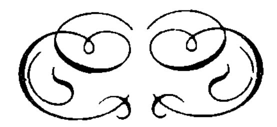
(٥) أسوان : حزين .

(٦) آلتاع : اشتد به الألم .

(٧) آسيا : حزينا .

(٨) بواليا : مفردها بالية : قديمة .

وحدَّثْتَنا عَما أكَنَّتْ[9] نُفوسُنـا فأيقظت فيها كلَّ ماكانَ ساهيَا
تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا ونُمْسِكُ أكباداً تَنْزّى[10] دَوامِيَا



(٩) أكَنَّتْ : أخفت .

(١٠) تنزى : تسرع إليه .

هى أنتِ[1]

هى أنتِ التى خُلِقَتْ لِنحيَا ... فى ظلالٍ مِنَ الوفاءِ الرشيدِ ؟
كحياةِ الأرواحِ تُضْفِى حناناً ... وهى تهفو فى ظلِّها الممدودِ ؟
حيثُما الحبُّ طائفٌ يَتَراءَى ... كالملاكِ المهوِّمِ المَكْدُودِ[2]
حَانِى العِطْفِ[3] إذ يَضمُّ علينا ... ضمةَ الأُمِّ رَحْمَةً بالوليدِ
فإذا الكونُ والحياةُ جمالٌ ... وإذَا العيشُ فُسْحَةٌ فى الخُلُودِ ؟

* * *

هى أنْتِ التى أطافتْ بنفسِى ... وتراءتْ فى خَاطِرِى من بعيدِ ؟
حينما كنتُ هائماً أتلقَى ... أغنياتِ الآمالِ شَتَى النشيدِ ؟
فى ظِلالٍ من الأمانِى تَتْرَى[4] ... بين وادِى التعِلَّةِ[5] المعهودِ !
إذْ تَراءَيْتِ هَالةً مِنْ رجاءٍ ... هادِىءٍ لَيِّنٍ رفيقٍ وَئيدِ[6]
ثم دَانَيْتِ فى دَلالٍ وديعٍ ... ثم باعدتِ فى دلالٍ شَرودِ ؟

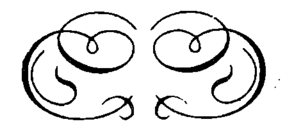
* * *

هى أنتِ التى تلاقيتِ رُوحاً ... مع روحِى فَهَامتَا فى الوجودِ ؟
هى أنتِ التى تُحَدِّثُ عنها ... خَطَراتى ، فى يقظتِى وهُجُودِى ؟
إن تَكُونى ! إذَنْ فهاكِ فؤادى ... كلّه خالصاً نقىَّ العهودِ
وتعالَىْ نَبْغِ الحياةَ جِهاداً ... عبقرىَّ التصويبِ والتَّصْعيدِ !
شَجِّعِينى على الجهادِ طويلاً ... فجهادُ الحياةِ جِدٌّ شَديدِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .
(٢) المكدود : المغلوب .
(٣) العِطْف : الجانب .
(٤) تترى : تتابع (متواترة) .
(٥) التعلة : ما يُتعلَّل به .
(٦) وئيد : من اتَّأد فلان : تَأنَّى وتَمهَّل ، ويقال : مشى مشيا وئيداً : على تؤده .

أشْعرينـــى بأن قلبـــاً نقيًّـــا يَرتَجى سَاعِدى ويهـوِى وُجُودِى
ثم سِيرِى معى نَخُطُّ طريقاً كمهادٍ فى الصَّخرةِ الجُلْمُودِ[٧]
نظـرةٌ منكِ وابتسامـــةُ حُبٍّ تتركُ الصَّعْبَ لَيِّنـاً كالمُهـودِ[٨]
لك مِنـى عَواطِفـى وعُهـودِى لك منـى رِعايتـى وجُهـودِى



(٧) الجلمود : الشديدة .

(٨) المهود مفردها مهد : فراش الطفل .

أحبك[1]

أُحبكِ كالآمالِ إذْ أنتِ مِثْلُها   تُذَكِّين[2] فى نفسى أعزَّ مَواهبي
وما هِى إلا نظرةٌ شاعريَّةٌ   تعبِّرُ عما شِئتُه مِنْ رَغائبِ
فَتَسْرِي إلى نَفْسِي مَضاءً[3] وجَرْأةً   ووثبةَ حسَّاسٍ . وَعزْمةَ راغبِ
ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْرِي كأنَّه   نشيدُ مَلاكٍ هَائمٍ مُتقارِبِ
يعيدُ إلى المكدودِ راحة نفسِه   ويبعثُه خَلْقاً جديدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الذى أنْتِ مِلْؤه   ومِنْ كلِّ إحساسٍ بِنَفْسِي ذَائبِ
فُؤادِي الذى فتَّحْتِ فيه مشاعراً   من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذاهبِ
سموتُ بهِ حتى تَكَشَّفَ دُونَه   عَوالمُ أُخرى تائهاتِ الجوانبِ
عوالمُ لا تبدُو لقلبٍ مُنَقِّبٍ[4]   بلا ذلِك القلبِ الرفيقِ المُصَاحبِ !
بها كلُّ لذاتِ الحياةِ ودونها   لذائذُ أُخْرى كاذباتِ العَواقبِ !

* * *

أُحِبُّك إذ تَرجين منِّى رعايةً   وتَهْوينَ ساعاتِ الحياةِ بِجَانِبي
هنالك نَسْمُو بالحياةِ فَنَرْتقى   إلى كَنَفٍ[5] بينَ السمواتِ ضَارِبِ
هنالك نَحيا والأمانىُّ حَوْلَنا   تُغَرِّدُ ألحانَ المُنى والرغائبِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .

(٢) تذكين : من ذكت النار : اشتد لهبها والمراد : تنمين وتقوين أو تزداد حرارة .

(٣) مضاءً : قوةً ، يقال : مَضَى السيف مضاءً : صار حاداً سريع القطع .

(٤) مُنَقِّب : باحث .   (٥) كَنِف : من كَنَفَ الشيء : صانه وحفظه .

توارُدُ خَواطِر ![1]

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين ، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحِبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحييه ... !

أفأنتِ ذِى ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ ؟ ... إنى أراكِ كطائـفِ الأحـلامِ !
لما خطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطِرى ... ألفيتُ شَخْصَكِ كالملاكِ أمَامِى
فَدُهِشْتُ أو فَارتعْتُ أو فَتضَرَّمَتْ ... خَفقاتُ قلبى المُنْتَشِى البَسَّامِ
عجباً ! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خَاطِرِى ... بكِ ؟ أم سَرَيْتِ على جَنَاحِ غَرَامِى
إنِّـى لَأومِـنُ بالغـرامِ وإنَّـه ... يَقْـوىٰ على مُتَعَـذِّرِ[2] الأوهـامِ !

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِى وخَواطِرى ... لَمَّا لَقِيتُكِ كالخيالِ السَّامِى ؟
أفَأنْتِ سَاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَىٰ ... نوراً ، وتبعثُ فى الحياةِ حُطامِى ؟
وتُحيلُ صُمَّ القافراتِ[3] نَوابضاً ... بالزهـرِ ، والآمالِ والإلهَـامِ ؟!
وتُجَمِّلُ الدُّنيا وتَخْلُقُ عَالَماً ... للخُلْدِ فيـه مَدارِجُ ومَسَامِ ؟
اللهِ ! . أو فالحبُّ . فهو ظِلالُهُ ... فى عالـمِ الأوهـامِ والأفْهـامِ !

* * *

ياللقاءِ ! فكيـفَ قد حَجَّبته ... عن نفسِ منهومِ العواطِفِ[5] ظَامِ[6] ؟
هو هذه الدُّنيا وعَالمُ سِحرِها ؟ ... هو ذلك النبعُ الجميلُ الطَّامِى ؟[7]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ . (٢) متعذر : شاق عسير .

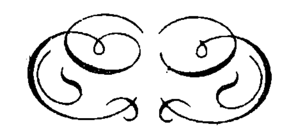
(٣) صم القافرات : المراد الأرض الفضاء الخالية من أية حياة .

(٤) مدارج ومسام : مسالك وممرات للعلو والارتفاع .

(٥) منهوم العواطف : قوى العواطف من : نَهِمَ فى الشيء : أفرط الشهوة أو الرغبة فيه .

(٦) ظام : ظامِىء : شديد العطش . (٧) الطامى : من طما الماء : ارتفع وملأ النهر .

حَجَّبتِه عنى ، فأسفَر بغتةً بيدٍ تجىء بِمُعْجِزِ الأيـامِ !
الحبُّ ؛ ياللحبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى من غيرِ تدبيرِ وغيرِ نِظَامِ !
إنى وَثِقْتُ به وماهُو باخلٌ بلِكِ ياسعادُ بيقظتى وَمَنامِـى



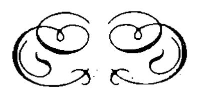
عَيْنَان[1]

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرتهما ، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار ، وعجب أى مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ماوراء الكون ، وهذه الطاقة فى تصوره لايستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل : —

إِلى أىِّ سِرٍّ بَلْ إِلى أىِّ طَلْسَمِ   تَوَجَّه مِنْ عينك شُعَاعٌ مُلْهِمِ ؟
إِلى مَخْبأِ الأَسْرارِ فى نفسِ كَاهِنٍ   تُحجِّبُها أستارُ دُجْوان[2] مُظْلِمِ
إِلى الغابرِ الماضِى الذى ضَاعَ رَسْمُه   وغيَّبه النِّسيانُ فى تِيه عَيْلَمِ[3]
إِلى القابلِ الآتى الذى نَدَّ طيفهُ   عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّمِ
إِلى حَيثُما الأقدارُ تُمضى أمورَها   على خِفْيَةٍ من وهمِه المُتَوهِّمِ
إِلى ماوراءَ الكونِ والعالِمِ الذى   تُحطُ به رُؤيا السُّحَيْرِ المُنوِّمِ

* * *

لَأَحْسَسْتُ فيها رِعدةً[4] إِذْ تَوجَّهَتْ   وَدَبَّ لها قَلْبى وأنكرَها دَمِى
وأَحْسَبُها قد جاوزتْ فى عُبورِها   عَوالِمَ لم تُخْلَقْ ولم تُتَوهَّمِ



(١) نشرت فى مايو ١٩٣٤ .

(٢) دجوان مظلم : المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو : تمَّ وكمُل .

(٣) عَيْلَمْ : بحر .

(٤) رِعْدة : اضطراب الجسم من فزع أو حمى أو غيرهما .

حَدِّثِينى[1]

رأى الشاعر سحابة من الأسىٰ على جبينها لايعلم لها سببا :

حدثينى بمستثار شُجُونِكِ ... واكْشِفِى لي عما اخْتَفَىٰ مِنْ شئُونِكِ
حَدِّثينى بما تُكنِّينَ[2] إنى ... أنا أولى بِعبئِه منْ دُونِكِ
أنا أقْوىٰ على الحياةِ إذا عِشْتُ ... حَياتِي مُزوَّداً مِنْ يقِينِكِ
ولقد عِشْتُ للمآسِى إلى أنْ ... قَدْ عَرَفْتُ السُّرورَ مِنْ تَلْقينِكِ
ولَقَدْ عِشْتُ للبكاءِ إلى أنْ ... قد سَمِعْتُ الغِنَاء فى تَلْحِينِكِ
ولقد عِشْتُ للظلامِ إلى أنْ ... قَدْ لمَحْتُ الضِّياءَ بينَ عُيونِكِ

* * *

حَدِّثينى عَنْ سِرِّهَا نَظَرَاتٌ ... أو دُموعٌ تَجُولُ بينَ جُفُونِكِ
حَدِّثينى عن الأسىٰ يَتَراءىٰ ... كأسِيفٍ[3] الرَّجاءِ فوقَ جَبينِكِ
أو تَعالَى لذلك الكَنَفِ[4] الحا ... نِي عليك وارْكَنِى لِسكُونِكِ
هُو أحْنَىٰ عليكِ مِنْ قَلْبِها الأمِّ ... وَأدْرَى من قَلْبِها بحَنِينِكِ
فَاغْمُرِى فِي عُبَابِه[5] المُتَرامِى ... مَامَضَىٰ عَنْكِ أو أتَىٰ مِنْ شُجُونِكِ
وَابْعَثِيها ابتسامَةً وحيَاةً ... مِلْؤُها السِّحْرُ والهوىٰ مِنْ فُتُونِكِ

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٣٤ ... (٢) تكنين : تخفين أو تكتمين .

(٣) أسيف : رقيق القلب .

(٤) الكَنَفُ : جانب الشيء ، وكنفا الرجل : حضناه عن يمينه وشماله ، وكنف الطائر : جناحاه .

(٥) عُباب : موج البحر المرتفع .

خِصَام[1]

تَخَاصَمْنــــا . تخاصمْنــــا ! كذلك يعـــــبثُ الحبُّ !
ألــيسَ الطِّفــلُ إذْ تَنْــزُو[2] قُواه يَهُــمُّ أو يَكْبُــــو ؟[3]
أَلَيْسَ يُحطِّــمُ اللُّــعَبَ الــ ـتى كانَ لهَــا يَصْبُــــو ؟
ألــيسَ يَهــــزُّه الصَّخَبُ ويَحْلُــو عِنْــدَه الــوثْبُ ؟
كذلكَ حُبُّنَـــا يَحيَــــا وَليـــــــداً جَدُّه لعِبُ !

* * *

تَخاصَمْنـــــا . تخاصمْنــــــا وإنْ لَم يَسْمَــعْ القَــلبُ !
ألــيستْ لا تُحَيِّنِــــى ولا يُمْتِعُنـــا القُـــرْبُ ؟
ألسنَـــــا إنَ تَلاقَيْنَــــــا نَغُضُّ[4] وتُسْدَلُ الحُـــجُبُ ؟
وَمـــا قُبلاتُنـــا تَتَـــرىٰ[5] ولا الــرُّسُلُ ولا الكُـــتُبُ
كذاكَ نَعِــــيشُ فى صَمْتٍ فلا غَزَلٌ ولا عَتْبُ

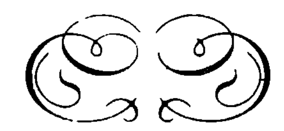
* * *

تخاصمْنـــا . خُصُومَتُنـــا سلامٌ ثَوبُــــــه حَرْبُ !
سلامٌ بيـــــنَ قَلْبيْنـــا فكــــلٌ هَائِـــمٌ صَبُّ
ونَخْسِـــرُ فى مَظاهِرِنـــا ومِـــلْءُ وطَابِنـــا[6] كَسْبُ !

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٤ .
(٢) تنزو : تتحرك .
(٣) يكبو : يسقط .
(٤) نغض : نكف ونخفض ، يقال : غضَّ من بصره وصوته .
(٥) تترى : تتابع .
(٦) وِطابنا : جلودنا المراد : أنفسنا .

ونَظْمَـــــــاُ إِن تَنَاءيْنَــــــــا فَيحلُــــــو الْـــــوِردُ والشُّرْبُ
وتَذْكُـــو للهَـــوىٰ شُعَـــلٌ فلا يَسكـــنُ أو يَخْبُـــو
كذلك حُبُّنَــــــا يَحيَـــــا كذلك يَعْـــبَثُ الـــحُبُّ



بيانو وقلب[1]

هُو قلبٌ لَمَسْتِه ، أَمْ « بِيَانهُ » ؟ فَتَنَادتْ مِنْ جَوْفِه ألحَانُهُ
هو قلبى أجَلْ فَهذِى الأغانى هُو يَشْدُو بِها ، وذا تَحْنَانُه[2]
أم تُراه — كما أرْجو — فؤادٌ بينَ جنبيكِ مُلْهَمٌ خَفقَانُه
فتلاقى القلبانِ فى ذلك اللحن وحَاكَتْ خفقاتِهما أوزانُه
وتَراءى فى اللحن طيفُ الأمَانى مُطْبَقَاتٍ على الرؤى أجْفَانُه

* * *

لَحْنى أنتِ خَفَقَ قَلْبِى نشيداً أنْتِ أدْرَى بما حَوىٰ وِجْدَانُه
والْمَسِى بالحنانِ قَلْبى فيشدُو مِثْلَمَا تَلْمَسُ البنانُ[3] البَيانُه »
بَلْ فُؤادِى مُلَحّنٌ عَبْقَرِىٌّ ! لَحْنُهُ مِنْه قِطْعَةُ وَبَنَانُه
ألْهِمِيه النشيدَ وهو يُغَنِّى لكِ لَحْنَ الخلودِ سَامٍ حَنَانُهُ
ألْهميه النشيدَ وهو يُجَلِّى لك وادِى الخلودِ زُهْرٌ جنَانُهُ
أطلقِيه مِن القيودِ بلَحْنٍ قَدْ تَسَامىٰ على القيودِ افْتِنَانُهُ
ودَعِيه يَطِرْ دونَ جَنَاحٍ غيرَ حبٍّ يَزِيدُه طَيَرَانُه

---

(١)نشرت فى اكتوبر ١٩٣٤ .

(٢) تحنانه : التحنان : الحب الشديد .

(٣) البنان : أطراف الأصابع .

الظَّامِئة[1]

بِعَيْنَيْكِ أُبْصِرُ رُوحَ الظِّماءِ ... وبِالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القَلَقِ
ففى الخَطَرَاتِ ، وفى اللَّفَتَاتِ ... وفى النَظَرَاتِ ، وبينَ الحَدَقِ[2]
يُطِلُّ التلهفُ فى وَثْبَةٍ ... وتَعْصِفُ ريحُ اللّظَى المُحْتَرِقِ
لِأَىٍّ من الأمرِ هذا التَطَلُّع ... هذا التوثبِ ، هذا الحَرَقِ[3]
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أمْ جَمْرَةٌ ؟[5] ... من الحبِّ محمرةٌ كالشَّفَقِ ؟

* * *

أُحِسُّ بِأَنَّكِ مَلْهُوفَةٌ ... لأن تَنْهلِى كلَّ مَعْنَى الغَرَامِ !
وأن تَنْهبِى النورَ من فجرِهِ ... وأن تَسْلُبِى زَفَرَاتِ[6] الظَّلامِ !
وأن تَقْطِفِى كلَّ زَهرِ الرُّبا ... وأن تَرشُفِى كلَّ قَطْرِ الغَمامِ
وتَسْتَوْعِبِى كلَّ وَحْىِ الحياةِ ... من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسامِ
تَفَتَّحَ فيكِ شُعورُ الحياةِ ... فَشَفَّكِ مِنهَا الهوى والأُوَامِ[7]

* * *

إلىَّ إلىَّ ؛ ولا تَجْفَلِى[8] ... فإنى ظمئتُ لِما تَظْمَئِينْ
وأحسبُنى كنتُ أهْفُو إليكِ ... كما كنتِ لى فى المُنى تَرقُبِينْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الحَدَق : مفردها الحَدَقَة : السواد المستدير وسط العين .
(٣) الحَرَق : النار .
(٤) شُواظ : لهب لا دخان له أو وهج الحر .
(٥) جمرة : قطعة ملتهبة من النار .
(٦) زفرات : المراد : أنفاس .
(٧) الأُوام : حرارة العطش .
(٨) لا تجفلى : لاتنزعجى ولا تفزعى .

وشَطَّتْ بِنــا بدواتُ اللِّقــاءِ وضَلَّتْ بِنَا خُطَواتُ السِّنيـنْ
إلى أنْ لِقيــتُكِ فَتانــــةً فحرّكْتِ منى اشتياقِى الدَّفينْ
تَعالَى نروّ ظِمَــاء السنيــنِ تعالَـى نَعِشْ للمُنـى والفتُونْ



لِماذَا أُحِبُّكِ !؟[1]

أُحِبُّكِ حُبَّ الهوىٰ والجُنونِ ... أحبُّك حبَّ الرَّشَادِ الرَّزِينْ
أحبك بالقلبِ فى وَقْدَةٍ ... أحبكِ بالعقلِ جَمّ السُّكُونْ
وتَبدينَ فى قلبِى المستطارِ[2] ... كما تُسْفرينَ[3] بفكرِى الرَّصِينْ[4]
ففيك تَلاقَىٰ الهوَى والهُدىٰ ... وشَابَه فيك الرشادُ الجنونْ
فأما ازْدَهانِى[5] بحبِى الفتون ... رَكَنْتُ بِه للحِجَا[6] واليقينْ

* * *

لماذا أحبكِ ؟ هل تَفكرينَ ؟ ... ومَاالسرُّ فى الأمرِ ؟ هل تَعلمينْ ؟
أَلِلحُسْنِ ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَانَ ... فَما هِجْنَ بِى وَمْضَةً مِن حنينْ
أللعطِفِ ؟ إِنى القَوىُّ العطوفُ ... فما أرْتَجِى رحمةَ العاطِفينْ
أللنظراتِ ولِلَّفتاتِ ... وللسِّحرِ فى مُهْجَتِى تَسْكُبِينْ[7]
وشتىٰ الخلالِ وشتىٰ السِّماتِ ؟ ... لقد طالَما اجتمعتْ لِلمئينْ[8]
إِذَنْ فلأَىِّ المزايا يكونُ ... هَواى وحُبِّى ؟ هَلْ تُدْرِكِينْ ؟

* * *

ألا فاعلمِى الآنَ عِلْمَ اليقين ... سأكْشفُ عن سِرِّ حُبِّى الدَّفِينْ
لقدلَجَّ[9] بِي قبلَ هذا ، السكونِ ... وقد آدنِى[10] الصمتُ ، صمتُ الحَزِينْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) المستطار : المفزوع .

(٣) تسفرين : تشرقين وتضيئين .

(٤) الرصين : الثابت .

(٥) ازدهانى : ازدهى : أخذته خِفة من الزهو (الافتخار والكِبْر) وغيره .

(٦) الحجا : العقل .

(٧) تسكبين : تصبين .

(٨) للمئين : للمئات .

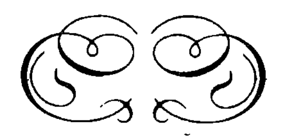
(٩) لجَّ : لازمه ولم ينصرف عنه .

(١٠) آدنى : أجهدنى .

وقد عِشْتُ للجِـدِّ ، جدِّ الرصيـنِ ... أهُـمُّ وأكبُـو[11] بعبءِ السِّنينْ
إلى أنْ لَقِيتُـكِ خَفَّاقَـةً ... تَوَقَّـدَ فيكِ الهَـوىٰ والفُتُـونْ
فأنتِ هُنـا فَرْحَـةٌ تَمْرَحِيـنْ ... وأنتِ هُنـا نَشْوةٌ تَقْفِزِيـنْ
وأنْتِ هُنـا جمرةٌ كاللّظَـىٰ ... وأنتِ هُنـا شُعْلَـةٌ تُومِضِيـنْ
فأكمَـلَ هذا المراحُ الطـروبُ ... هدوءَ الحزيـنِ وجـدَّ الرَّصيـنْ
وأعجبنـى حُسْنُ هذا الكمـالِ ... وإنى عليـه الحفيـظُ الأميـنْ

* * *

لهذا أُحـبُّكِ : هل تَفْكِريـنَ ؟ ... وهـذا هو السرُّ . هل تَعْلَميـنْ ؟



(١١) أكبو : من كَبَا يكبُو : انكب على وجهه : عثر وسقط .

رَسُولُ الحياة(١)

أفِــى كلِّ لُقْيَــا شُعــورٌ جَديــدٌ ؟ وفى كلِّ قُرْبٍ ظِمَـــاء يَزيـــدُ ؟
وَفى كلِّ يومٍ أرى عَالَمــاً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ ؟
وألقاكِ والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبِضُ فيه المُنى والــوُرُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياةِ وتَشْدُو هَواتفُهــا بالنَّشيـــدْ
كأنَّ الحيــاةَ وآمالَهـــا إِذَا مَالقِيتُكِ خَلْقٌ جديــدْ
هو الحبُّ لا القَــدَرُ المستطيــلُ(٢) يُقَسِّمُ فى الكونِ شتــى الجُــدودْ(٣)
فيمنــعُ فالكــونُ شاكٍ شَقِــىٌّ ويمنــحُ فالكــونُ راضٍ سَعيـــدْ !
ويَنْـــبِضُ فالكـــــونُ فى نَشْوةٍ ويَجْمُـدُ فالكــونُ جاثٍ(٤) بَليــدْ !

* * *

لَقِيـــتكِ خَفَّاقَـــةً كالرجــــاءِ فذكَّرْتِنـــى أننـــى بَعْـــدُ حَىْ
وجَــاشَ بِنَـفْسِى شعــورُ الحيــاةِ وفتّـــحتُ فى رَجْفَـــةٍ(٥) مُقْلَتَـــىْ
أُقــلِّبُ عينـــى بهذا الوجـــودِ وترتــادُ رُوحــى مِنـــه الخَفِـــىْ
فيـــا للجمـــالِ ، ويااللغِنَـــاء ويـــا للخواطـــرِ تهفُـــو إلـــىْ !
ويالِــى مِنْ ظَامِـــىءٍ لاهـــفٍ ! ويـــالى مِنْ عَاشِقٍ عَبْقَـــرِىْ !
يحيــــلُ الحيـــاةَ إلى فتنـــةٍ وأصداءَهـــا لنشيــدٍ شَجِـــىْ(٦)
ويُطْــرِبُ بالشعــرِ قَلْبَ الحيـــاةِ وَيَنْفَحُهـــا بالـــرِّضا القُـــدْسِىْ
ومـــــاأنتِ إلا رسولُ الحيـــــاةِ وحـــبُّكِ مُعْجِـــزةٌ مِنْ نَبِـــىْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) المستطيل : المُترفع أو المُتفضل .
(٣) الجدود : الحظوظ .
(٤) جاث : من جثا يجثو : يركع فى ذلة .
(٥) رجفة : اضطراب .
(٦) شجى : حزين .

سِرُّ انتصارِ الحياة[1]

أطِلِّـــى بِطَلْعَـــتكِ السَّاحِـــرةِ — وحَيِّـــي بنظـــرتِكِ الشَّاعـــرهْ
أفيضِى على الكـونِ فيضَ المِـراجِ — وغَذِّيـه بالقـــوةِ الطَّافـــرةِ[2]
ومـــالكِ أنتِ ؛ ومـــا للسُّكُـــون ؟ — ومـــاأنتِ إلا القُـــوىٰ الثائـــرهْ
قُوىٰ الحبِّ تَنْـبِضُ بيـنَ القِفَـارِ — فتغـــدُو القِفَـــارُ بها ناضِرهْ
وتنفـــخُ فى ساكنـــاتِ القُلـــوب — فتغـــدُو سَواكِنُها نَافِـــرهْ
وتهتـــفُ للصُّمِّ بالأغنيـــاتِ — فَيُصْغُـــون للنَغْمَـــةِ السَّاحِـــرهْ

* * *

ألستِ التـــى نَبَضَتْ « بالوجـــودِ » — فشقَّ قُوى « العَـــدَمِ » السَّاخـــرهْ
بلى ! أنتِ سرُّ انتصـــارِ الحيـــاةِ — على الموتِ فى الوقعـــةِ الظافـــرهْ
هُنـــا لك من قبـــلِ ميلادِهـــا — وكانتْ مغيبـــةً حائـــرهْ
وكـــنتِ نواةً بها ضَامـــرةً[3] — فعـــدتِ حيـــاةً بِهـــا سَافـــرهْ



---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) الطافرة : من طَفَر : قفز ، وطفر الشيءَ : قفز من فوقه وتخطاه إلى ما وراءه .

(٣) ضامرة : القليل اللحم الرقيق : هزيلة .

المُعْجِزَة[1]
أو
السَّهمُ الأخير

مَنَحْتِنِي اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ ... عن منحِهِ ، وَتَنَاهى دونَـه أمِلِـى !
منحتِنِى الحبَّ للدُّنيا التى جَهِدَتْ ... فى أن تُميلَ لها قلبى فلـمْ يَمِـلِ !
وكلما قَرَّبْتِنـي ، قلتُ : خادعـةٌ ! ... وكلّما طمأنْتِنِـى ؛ قلت واوَجَلى[2] !
ويغمرُ الشكُّ نَفْسِى كلما كشَفَتْ ... عن فاتِنٍ من حُلاهَا غيـرِ مبتـذَلِ
حتى خَسِرْتُ من الأيَّـامِ ماغبَـرتْ ... به السُّنونُ ، وحتَّى عقَّنِـي أجَلِـى

* * *

واستَلْهَـمَتْ هذه الدنيـا طبيـعَتها ... فى مُعْجِـزٍ مِنْ قُواهـا قاهـرٌ حانِ
فأبدعـتْكِ جَمـالاً كلُّـه ثِقـةٌ ... يؤلِّـفُ الحبَّ من وَحـيٍ وإيمانِ
وأودعـتْكِ رَحيقـاً من خُلاصتِهـا ... ومنبـعُ السِّحـرِ فيها جَدّ فتَّـانِ
وأرسلـتْكِ يقينـاً فى طَلائِعهـا ... منيرةً فى دُجـى عَقْلِـى ووجْدَانِـى
فكـنتِ آخرَ سهـمٍ فى كِنَانتِهَـا[3] ... وكـنتِ معجـزةً من خَلْـقِ فنـانِ

* * *

والآن أُخْـلِصُ للدنيـا وأمنَحُهـا ... حبِّـى ، وأُدْرِكُ مافيها من الفِتَـنِ
والآن أنظـر للدُّنيـا وأنتِ بها ... كعـاشِقٍ بهواهـا جَد مُفْتَتِـنِ
والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا على ثقـةٍ ... بأننى قَلْبُهـا الخفَّـاق فى الزمـنِ !
والآن أنصتْ للدُّنيـا فَيُطْرِبُنـي ... من صوتِها العذبِ لَحْنٌ سَاحِرُ اللَّحَنِ
لكِ الحيـاةُ إذنْ مادمتِ مانحةً ... لِىَ الحيـاةَ بلا أجـرٍ ولاثمنِ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) واوَجَلى : واخوف أو فزعى .

(٣) الكنانة : ما تحفظ فيها السهام .

اللحنُ الحزين[1]

أسي[2] الألحانِ أَمْ هذا ؟ أساكِ يسيـــلُ فى اللَّحْـــن ؟
وإِلا هـــــذه نَفْســـــــيِ تهيـــمُ بِعَالَـــم الحُـــزنِ
فَتُوحِى النفسُ للأذنِ ؟

وأيـــن نشيـــدُكِ الـــراضِى ؟ وأيـــنَ نشيـــدُكِ العَـــذْبُ ؟
وأيـــن الفَرْحَـــةُ الـــنَّشْوىٰ ؟[3] وأيـــــن القفـــزُ والـــوثْبُ
يذكِّى[4] وَقْدَةَ الحبِّ ؟

سَمِعْـــتُكِ أمسِ لم أسْمَـــعْ سِوىٰ نبراتِ أَسْفَـــــــــانِ[5]
وغنـــــــــوةِ عاشقٍ يَئِستْ مُنَـــاه من الهوىٰ الفَانِـــى
فَأنَّ[6] فؤادُه الحانِى

هى الأوتـــــارُ عَالِمـــــةٌ بما فى قلـــبِك المُفْعَـــمِ ؟[7]
وإِلاَّ أنت مُوحِيـــــــــةٌ لها تَرنيمـــــــةَ المؤلـــــمِ
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَمِ[8]

بربكِ عَلِّمِـــــى اللحْنَـــــا يُرجِّـــعُ غِنْـــوةَ الأمـــــلِ
ويُبْهِـــــجُ هذه الدُّنيـــــا ويبـــعثُ نشوةَ الجَـــذِلِ[9]
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجـــلْ ياخطـــرةَ الفَـــنِّ برأسٍ مُفَكِّـــــــــــرٍ سَامِ[10]
وغايـــــةَ كلِّ فَنَّـــــانٍ يُنَاجِـــــى حُسْنَ أوهـــــامِ
أَجَلْ ياسرَّ إِلْهامِى

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤

(٢) أَسَى : حزن .

(٣) النشوى : السكرى من شدة الفرحة .

(٤) يذكى : يشعل ويلهب .

(٥) أسفان : حزين .

(٦) فأنَّ : من أنَّ يئنُّ أنينا : تألَّمَ .

(٧) المفعم : المملوء .

(٨) البلسم : الدواء الشافى .

(٩) الجذل : الفرحان .

(١٠) سامٍ : سامى :عظيم القدر .

الغيرة[1]

إذا كان الشاعر صادقا فى شعوره . صادقا فى التعبير عنه ؛ كان فى الشعر مجال للدراسة السيكلوجية ؛ فوق الدراسة الفنية .

وفيما يلى مقطوعتان من الشعر فى موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد !

ولا يهمنى أن أدرسهما من الناحية الفنية . فذلك شأن القراء . إنما يهمنى أن أدرسهما من الوجهة النفسية ذلك أن مبعثهما هو « الغيرة » وهى عامل نفسانى بحت .

* * *

فَهِمتْ هى ! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه . فى حين لم تكن إلا مجاملة . فآلمها ذلك ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم ؛ لِدقة الموقف ؛ وإن أشارت إليه من بعيد .

وبدت كاسفةَ البالِ واجمةً يتراءى فى عينيها الرجاء الأسيف ؛ والأمل المكلوم ؛ والريبة التى تهرب منها فتلاحقها .

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها ؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول :

فلـــولا اعتـــزازُكِ بالحبِّ لم تُثْـرْ فى فؤادِكِ تلكَ الـرِّيَبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ فى نفسها ؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها . فكانت المقطوعة الثانية ، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

للشك ! .

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها ، لأنها تكون طعنة للحب !

— ١ —

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غَاضِبةِ ! وأرْسَلتِها نَظْرةً عاتبةْ
يُتَمْتِمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ[٢] وتجأرُ[٣] فيها المُنى الوَاثِبَةْ !
وفيها هُدوءُ الرِّضا المُطْمَئِن تُمازِجُه الغيرةُ الصَّاخِبةْ !
تُطِلُّ بِها الذكرياتُ العِذابُ وتَرْجِعُ مُجْهَدةً لَاغِبَةْ[٤]
وفيها فُتُورٌ[٥] ولكنَّه فُتورٌ به قوةٌ غَالِبةْ

* * *

ولكن بِها بعدَ هذا وذاكَ فنونُ الهوىٰ والجمالِ العفيفْ
وفيها من السِّحْرِ أطيافُه بعينيك أَلْمَحُهَا إذا تطيفْ
لألهمتِني السرَّ لما نظرْتِ إلىّ بهذا الفُتورِ الشُّفُوفْ[٦]
وحدثتنى فى خُفوتٍ عجيبٍ بما أضمرتْه لُغاتُ الطيوفْ
ولولا شعورِى بحُبِّى العطوفِ لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ !

* * *

قد انتصرَ الحبُّ . ياللانتصار بهذا العتابِ وهذا الغضبْ
وَثِقْتُ من اليومِ فى حُبِّنَا وأنك تَرْعِينَه فى حَدَبْ[٧]
فلولا اعتزازُك بالحبِّ لم تُثِرْ فى فؤادِكِ تلك الرِّيَبْ

---

(٢) الأسيف : الحزين .

(٣) تجأر : ترفع صوتها : تضرع واستغاث .

(٤) لاغبة : مُتعبة من لَغَبَ يَلْغَبُ : تعب وأعيا .

(٥) فتور : سكون بعد حدة ونشاط : لَانَ بعد شدة .

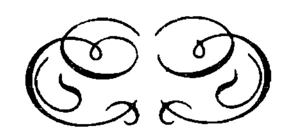
(٦) الشفوف : من شَفَّ يَشِفُّ شُفُوفا : رقَّ حتى يُرى ما خلفه : نَحَلَ ودَقَّ من همٍّ أو مرضٍ .

(٧) حَدَبْ : عطف .

إذَنْ فاطمئِنِّى فهذا الفؤادُ يحبُّكِ فى وَقْدةٍ كاللهبْ
يحبُّكِ إِى وجمال الغضبِ يحبُّكِ إِى والهوىٰ المُلْتَهِبْ

— ٢ —

حَدِّثِينى أما تَزالين غَضْبىٰ ؟ أوَ مَازَالَ مِلْءِ نَفْسِكِ رَيْبَا ؟
ولماذا الوقارُ والصمتُ يُضْفِى بعدمَا كنتِ لِى مَراحاً وَوَثْبا ؟
كانَ بالأمسِ كالعِتَابِ جميلاً ماله اليومَ لَمْ يَعُدْ مِنْكِ عتْبَا ؟
صَمَتَ الكونُ مُذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُرَدِّد اللحنَ عَذْبا
أنا أخْشَىٰ ولا أُصرِّحُ مَاذا أنا أخْشَى ؛ فما أزال مُحبًّا !
اِبْسَمِى تَبْسَمُ الحياةُ وتَرْضَىٰ وامْنَحِينى اليقينَ . أَمْنَحْكِ حُبَّا



مَصْرَعُ حُبّ ![1]

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضى فقال : « ليلة الشك » وبات هذه الليلة فى الجحيم حتى لقد فضل اليقين ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية .

أنـا أشْرِى اليقيـنَ بالفُقْـدَانِ مُؤْثـراً فيـه وَاضحَ الآلامِ

ثم خاطبها فى هذا الشك فلم ترد له نفيا فكان « اليقين » الذى طلبه حتى إذا جاءه قال فيه .

أيهذا اليقيـنُ إنّك قاسٍ ما تطلبتَ كلَّ هذا المُصَابِ !

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة .

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب « الجنة الضائعة » فيها ألم ؛ ولكن بها عفة عن جنة « تَجُوسُ فيها الذئاب » وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهى « مؤمنة عَامِرة » حتى لا يفقد ذكراها كذلك . فيتضاعف الفقدان ، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئا أن يفقدوه محطما لا قيمة له ، على عكس ما يريد الشاعر .

* * *

المرأة سريعة التشكك ؛ ثائرة الغيرة ؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنَحُ لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها فى الحب ، بل ربما هربت من اليقين ، وتعلقت بالأوهام .

والرجل بطىء التشكك ؛ هادىء الغيرة ، ولكن الشك الذى يداخل نفسه ، بطىء الزوال ، وقد يفضل اليقين المؤلم ، على التعلل بالخيال .

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

— ١ —

ليلةُ الشَّك

ليلةُ الشكِّ والأسَىٰ والظَّلامِ   وجحيمَ الإقدامِ والإحجامِ

والعذابِ المُمِضِّ (٢) لم يُتَصوَّرْ   فى وعيدٍ أو خَطْرَةِ الأوهامِ

قد تركتُ الماضى حَصِيداً هَشِيمَا (٣)   ونَضيرَ الآمالِ مثلَ الحُطَامِ

عن عِذابِ الآمالِ قَدْ أتَعَزَّىٰ   وما عَزائِي عَمَّا مَضَىٰ مِنْ غَرامِى ؟

ليتنى أستطيعُ أنْ أُرجِعَ الما   ضِي فأُحْيِي ما ضَاعَ مِنْ أيامِى

ليلةَ الشَّكِّ هل مضيتِ ؟ فإنى   لم أزلْ بَعدُ غارقاً فى الظَّلامِ

والهوىٰ المُشْرِقُ المنيرُ تَهاوَىٰ   فى خِضَمٍّ (٤) الدُّجَىٰ العميقِ الطَّامِى

والحياةُ التى تفيضُ مِراحاً   قد تَبدَّتْ فى ذِلَّةِ الأيتامِ

وَمَشَىٰ الحبُّ مُطْرِقاً (٥) يَتَوارَىٰ   كَحَيِيٍّ يَنُوءُ (٦) تحتَ اتِّهامِ

ليلةَ الشَّكِّ قَدْ طَمَسْتِ حياةً   مِنْ رَجاءٍ صِيغَتْ ومِنْ إلهامِ

لَهفَتِى لليقينِ يَغْمُرُ نَفْسِى   لَهفَتِى للهدوءِ بعدَ اضطرامِ

أنا أشْرِى اليقينَ بالفُقْدانِ   مُوثِراً فيه واضحَ الآلامِ

— ٢ —

اليقين

اليقينَ اليقينَ بعدَ ارتيابِ   الهدوءَ الهدوءَ بعدَ اصطخابِ

اليقينَ اليقينَ أطلبُ فيه   راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِى

---

(٢) الممض : المؤلم .

(٣) هشيما : اليابس المحطم .

(٤) خضم : بحر .

(٥) مطرقا : من أطْرَقَ : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما .

(٦) ينوء : يعجز .

أيهذا اليقينُ إنّك قاسٍ   ماتطلبتُ كلَّ هَذا المُصابِ !
أيها الشكُّ رُبّما كنتَ خيراً   من يقينٍ كالجَدْبِ بين اليبابِ (٧)
حَيْرَةَ الشك ، هَدْأَةَ اليأسِ ، هَلا   لحظةً تتركانِ نَفسِي لِما بِي
لحظةً تُخْلِيانِ فيها فؤاداً   مَلَّ وقعَ اليقينِ أو الارتيابِ
ثم ماذا ؟ وما الهروبُ ؟ وهذا   واقعُ الأمرِ ، ما لهذا التَّغابِي ؟
يا يقيني إلىّ . إنى حَفِىٌّ (٨)   بيقينٍ شَرَيْتُه بِلُبابِى
بِدمائى التى بُذِلَتْ ، بِدَمْعِى   برجائى المُنَوّرِ الوَثّابِ
أنتَ أغلى عَلىّ مِنْ كلِّ هذا   يَايَقِيني ، ومُرْشِدِى للصوابِ

— ٣ —

الجنةُ الضّائِعة

فَقَدْتُكِ ياجَنّتِي السَّاحرَةَ   وغادرتُ أفياءَكِ العاطرهْ
وهِمْتُ تُشَرِّدُنى المُقْفِراتُ   وتَلْفَحنى كاللظَّى الهاجرةْ (٩)
وتَعْصِفُ فى نَفْسِى العاصفاتُ   وتَنْهَشُها الوَحْشَةُ الظّافِرَهْ
وقَدْ طَمَسَ اليأسُ نَهْجَ الرَّجاءِ   وغَشَّ البصيرةَ والباصِرهْ
فلا الظَّنُّ يَلْمَعُ مِثْلَ السَّرابِ   ولاَ العِلْمُ يُرْضِي المُنَىٰ الحَائرهْ
هو اليأسُ أو فاليقينُ الأليمُ   وبعضُ الحقائقِ كالكَافِرهْ
فيا لليقينِ المُمِضِّ اللَّجُوجِ   ويَا لحَقيقتِه الجَائِرهْ
فَقَدْتُك ياليتى إذ فَقَد   تُك كنتِ مؤمنةً عَامِرهْ
لَعَزَّيْتُ نَفسِي بالذكرياتِ   وأودعتُ فِرْدَوسِي الذَّاكرهْ
ولكن فَقَدتُك نَهْبَ الذئابِ   تجوسُ خِلالَكِ كالآسِرهْ
ونهبَ القَشَاعِمِ (١٠) والجارحاتُ (١١)   تخطِفُ أثمارك النَّاضِرهْ
ونهبَ المطامِعِ والمغرياتُ   تُدَنِّسُ نِيَّتَكِ الطَّاهِرهْ
فقدتُك فى النفس أنْشُودةً   ومعنىً من الفتنةِ السّاحرهْ
فقدتُك ذِكْرى فواحسرتَاه   لِفَقْدٍ مِن العينِ والخاطرهْ

---

(٧) اليباب : الخراب .
(٨) حفى : مُعتنٍ ومهتم .
(٩) الهاجرة : القيلولة : شدة الحر .
(١٠) القشاعم : النسور الضخمة الذكور .
(١١) الجارحات : الطيور الجارحة .

الحنينُ والدُّموع (١)

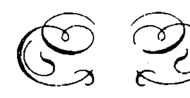
جَفَّ قَلْبِى منَ الحنينِ فَغَاضَتْ (٢) ... عَبَراتى وأقفرتْ مُنْذُ حِينِ

وحسبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ ... بينَ ماضِى حياتِى المَكنُونِ (٣) !

وإِذا بِى أُودِّعُ اليومَ عَهْداً ... فتفيضُ الدموعُ مِلْءَ الجفُوُنِ

فى انسكابٍ (٤) يَغُضُّ (٥) من كِبْرِيَائى ... واضطرابٍ يرتاعُ مِنهُ سُكُونِى

يادموعَ الوفاءِ أنْتُنَّ أغْلَى ... أن تُرَقْرِقْنَ للوفاءِ الغَبينِ (٦)



(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) غاضت : نضب : انتهى : جفّ .

(٣) المكنون : المستور .

(٤) انسكاب : من انسكب : انصَبَّ وسال .

(٥) يغض : ينقص : يقلل .

(٦) الغبين : الناقص : الضعيف : الخادع وهو المراد

اللُّغز (1)

خَفَقَ القلبُ الذى مَسَّتَ يدَاكِ جانبيَه ؛ فى جنونٍ واضطرابِ
أكذا يَهْتَاجُنِى مَسُّ هواكِ وأنا الهادِئُ فى مَورِ (2) العُبَابِ ؟ !

* * *

عجباً ! ما السِّرُّ فى خفقتِه.. ؟ إننى أسْأَلُكِ السِّرَّ الدفينْ
أنت أدْرَىٰ بالذى أودَعتِه فيه من حبٍّ ، ووَجْدٍ ، وحَنِينْ !

* * *

إن قلبى لم يكنْ يَنْزُو (3) ، فماذَا سَالَ فى كفِّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ ؟
أهو اللُّغْزُ الذى تَحْوينَ هذا ؟ أم هى الفتنةُ مِفْتَاحُ القُلُوبِ ؟

* * *

إيه !. إنى فى اضطرابى قَدْ نَسِيتُ مَبْعثَ الفتنةِ فى عينيك تيْنِ !
تُضْمِرَانِ السِّحْرَ يُحيى ويُميتُ ؟ وهما سِرُّ اتصالِ المُهْجَتَيْنِ

* * *

سِحْرُكِ المجهولُ أمْسَكْتُ عَصَاه ! فإذا شئتُ اتقاءً أتَّقِيه !
لكن السِّحْرَ الذى تَاهتْ رُقَاه إننى أهفُو إلى الإخلادِ فيهِ

---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ .
(2) مور العباب : تحرُّك الأمواج .
(3) ينزو : من نزا ينزو : وثب ، ويقال : نزا به قلبه إلى الشيء : طمح ونازَع إليه .

قُبْلَة (١)

أهــى الــنَّشْوةُ أم وَقْــدةُ جَمْــــرِ ... إننى أحسستُهـا تذكُـو (٢) بِصَدْرِى
وبِرُوحــــى لَهْفَــــةٌ تَبعثُهـــــا ... هذه القبلــةُ من أعـــذبِ ثَغْـــرِ
قُبْلَــــةٌ ! ما هذه القُبْلَـــــة إذ ... تنقـلُ الدُّنيا إلى عالـمِ سِحْــرِ ؟
وتُحيــلُ الجسمَ والــرُّوحَ معـــاً ... شعلــةً طائفـــةً لم تَسْتَقِـــر
بل تُحيلُ الجسمَ والرُّوحَ شَذَىٰ (٣) ... من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْكَةِ طُهْــرِ

* * *

لم أُحِسَّ الــرُّوحَ منــــى مُثْقَــلًا ... بهمومِ الجسمِ إذ هَوَّمَ (٤) يَسْرِى (٥)
لم أُحِسَّ العُمْــــرَ إلا خَفْقَــــةً ... فى فُؤادِ الدَهـــرِ قد فَاضتْ بِبشْرِ
وأرى الماضِى أضْحَـــىٰ لحظـــةً ... بعد ماقَدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِى (٦)
وتطلَّـــعْتُ بعيـــنِ المُنْـــتَشِى ... لجمالِ الكــونِ فى نَشْوةِ سُكْــرِ

* * *

أهــى القُبْلَــةُ من ثَغْــرٍ لِثغــــرِ ؟ ... أم هى الخَطْرةُ مِنْ وَحِى لِفكْرِ ؟
أم تُراهـــا قُبْلـــةَ النــــورِ التـــى ... فاضَ منها النــورُ فى أولِ فَجْــرِ ؟
حينما رفـــرفَ والكـــونُ دُجَــــىٰ ... رُوحُ ربِّ الكونِ فى لُجَّةِ (٧)غَمْـرِ (٨)
فتجلّـــىٰ النـــورُ فى بَرٍّ وبَحْـــرٍ ... وتَـراءىٰ الـحُسْنُ فى طيــرٍ وزَهْــرِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) تذكو : تنمو وتلتهب .
(٣) شذى : الرائحة الطيبة .
(٤) هوّم : نام نوما خفيفا .
(٥) يسرى : ينتشر .
(٦) ينقض ظهرى : يثقل ظهرى .
(٧) لجة : موجة .
(٨) غمر : ماء .

داعِى الحياة[1]

يَخفُقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشِّفاه مُنذُ أن ضَمَّتْكِ فى شَوْقٍ يَداه
مُنذُ أن رَنَّ صدَاها ، قُبْلَةً نَهلَتْ مِنها وعَلَّتْ شَفتَاه
وارتوتْ رُوحَاكُما بَلْ ظمِئتْ برحيقِ القُبُلاتِ المشتهاه
بَلْ رحيقُ الخُلْدِ قَدْ طَابَ جَنَاه وسَرَىٰ فيه حُلاه وشَذَاه

* * *

يَخفُقُ القلبانِ ؛ بل تَهفُو الشِّفاه حينَ يَلْقَى ناظِرْيك نَاظِرَاه
حينما يَسْتَعِرُ[2] الحبُّ جَوىً[3] يَكْتَوى القلبانِ مِنْ حَرِّ لَظَاه
فيُرجِّى كلُّ ثَغْرٍ قُبْلَةً هى بردٌ للحنَايا والشِّفَاه
مثلما يَطْلُبُ رَيًّا ظَامِىءٌ ينظرُ الماءَ ولايَبْلُغُ فَاه

* * *

يخفُقُ القَلْبانِ ؛ بل تَهفُو الشِّفَاه كلما بَشَّرَ بالحبِّ الهُدَاه
كلما نَادَىٰ حَىْ هَلا يَقْطِفُ المحرومُ ماطَابَ جَنَاه
مَا لِمَحْرومَيْنِ لم يَسْتَمِعَا ذلك الصوتَ الذى دوَّى صَدَاه
إيه هيا ؛ فَلْنُجبْ دَاعِى الشِّفَاه فهوَ داعِى الحبِّ ؛ أو دَاعِى الحياهْ

---

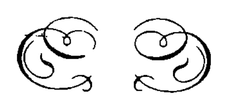
(1) نشرت فى ١٩٣٤ .

(2) يستعر : يشتد : يلتهب .

(3) جوى : شدة الوجد والشوق .

تَحيةُ الحياة[1]

شَفَتَاى تَخْتَلِجَانِ[2] للتقبيـلِ ؟ ... فى كلِّ مُطَّلعٍ لديكِ جميلِ
ظَمَأٌ الشِّفـاهِ طبيعـةٌ أُلْهِمْنَهـا ... منذ ارْتَوَيْنَ بثغـركِ المَـغْسُولِ
ظَمَأٌ تُؤَجِّجُه[3] القلوبُ خَوافِقـاً ... تَنْـزُو بعـارمِ[4] لهفـةٍ وغليـلِ
من يومِ ما التقَت الشِّفَاهُ فَحدَّثَتْ ... عن حُبِّنـا بسواحِـر الترتيـلِ !
أفتذكرينَ وقد ضَمَمْتُك والهوىٰ ... يُغْرى ويُوقِظُ خَاطِرَ التقبيـلِ ؟
والكونُ يُمْسِكُ خَفْقَه مُنْتظراً ... قبلاتِنـا فى لَهْفَــةٍ وذُهــولِ[5]
هُو عاشقُ القُبلاتِ ! إنّ رَنينَها ... لَحْنٌ يُنَبِّهُ فيه كلَّ خُمُـولِ
وهى الحياةُ إذا تُحيّى قُبْلَـةٌ ... رَمْـزاً على الترحيـبِ والتَّأْهِيـلِ
أفـلا نَردُّ على الحيـاةِ تحيـةً ... مَاعقّها فى الكونِ أىُّ بخيلِ ؟
أفـلا نُرَجِّـعُ غِنْـوةَ التقبيـلِ ! ... وتحيـةَ الدُّنيـا لخيـرِ نَزيــلِ ؟[6]



---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) تختلجان : تضطربان وتتحركان .

(٣) تؤججه : تشعله : تزيد نارَه .

(٤) عارم : شديد .

(٥) ذهول : دهشة وتعجب .

(٦) نزيل : ضيف .

الخَطَر[1]

بيـنَ التلـفُّتِ والحَـذَر   خَطَـرتْ تُبَشِّرُ بالخَطَـرْ !
بُشْرَىٰ ! فما دامتْ هُنَا   فعلامَ تَقْرُبُنا النُّذُرْ !
وتشيـرُ للمتنظِّـرينَ   إِشَارةَ اللَّبِـقِ[2] الحَـذِرْ !
لتضيـعَ منـى قُبْلـةٌ   لبـثتْ بفيها تَنْتَظـرْ !
ولبـثتُ أرقُبُ قَطْفَهـا   من بَعْـدِ مانَضَجَ الثَّمَـرْ
هو ذاك ياقـلبُ الخَطَـر   لا الناظـرونَ ولا النَظَـرْ

* * *

صَنَـعَ الشبـابُ صنيعَـه   والحبُّ فى الحُسْنِ النَّضِـرْ
فمضَى يَتِيـهُ[3] تخايـلاً   فإذا تَلَطَّـفَ يَعْتَـذِرْ !
ويَلُـوحُ حتـى ننـتَشِى   ويغـيبُ حتـى نَسْتَعِـرْ
ويـروقُ حتـى لا نَرىٰ   شمساً سِواه ولا قمَـرْ
ويَـرِقُّ حتـى لا نَرىٰ   طيراً سِوَاهُ ولا زَهَـرْ
ونَطِيـرُ فى نَشَوَاتِنـا   نهفُـو إليـه وننتظـرْ
فَإذاه آنـاً يعتـذرْ   عَنّـا وآنـاً يستتـرْ !
هو ذاك ياقلـب الخَطَـرْ   لا الناظـرونَ ولا النَظَـرْ !

* * *

تِه أَيُّها الحُسْنُ الأغَرُّ[4]   وامـرحْ بِنَـفْسِك وازْدَهِـرْ
ما الحُسْـنُ إِلا شُعْلـةٌ   تَخبُـو إذا هى لم تُثَـرْ
ما الحُسْـنُ إِلا طَائـرٌ   يَهـوِى إِذَا هُو لم يَطِـرْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) اللبق : الظريف الذى أحكم كل عمل .
(٣) يتيه : يتكبر .
(٤) الأغر : المشهور .

ما الحُسْــــــــنُ إلا قُوةٌ تَعْيَـــا إذَا لم تَقْتَــــدِرْ
أمّـــــا الذيـــــــن أسَرْتهم بيـــنَ التبـــرُّجِ والخَفَـــرْ[٥]
فعـــــليهمُ أن يَعْلَمُـــــوا يا حُسنُ من أين المَفَـرْ !
أو يَستَنِيمُــــوا[٦] للخَطَــــر وبحسبِهـــــم مِنكِ النَظَـــرْ !



---

(٥) الخفر : الحياء .

(٦) يستنيموا : يخضعوا .

يَقَظَة[1]

سَهِرْتِ ؟ إِذنْ تَعالَىْ حَدِّثِينى ... بما أَحْسَسْتِ من حَرَقِ[2] الحنينِ
فقـد جربتُـه سهـرَ الليـالى ... وقد خَبَـرْتُ تسهيـدَ[3] الجفـونِ
وأَعْلَـمُ أن مبعثَـه غَرامٌ ... يَؤُزُّ[4] جوانبَ القلبِ الحَنُونِ
ويَقْظَةُ حالـمٍ تَسْمُـو مُنَـاه[5] ... عن النُّوامِ فى دُنيا السكُونِ
فَهـلْ أحْسستِـه حُبًّـا كهـذا ... فبتِّ الليلَ سَاهِـدةَ العُيـونِ ؟

* * *

وما أَبْغِى لك السُّهدَ المُعَنَّى ... ولا الحُرُقَاتِ سَاعرةَ[6] الشُّجُونِ
ولكنِّـى أريـدُ نشاطَ حُبٍّ ... ويقظـةَ عاشقٍ جَمٍّ[7] الفُتـونِ
فنوقـظُ هذه الدُّنيـا خلـوداً ... ونَسْمُـو عن تقاليـدِ السنيـنِ



---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) حَرَق : نار .
(٣) تسهيد : أرَق .
(٤) يؤز : من أزَّ : تحرّك واضطرب .
(٥) مناه : جمع أمْنيه .
(٦) ساعرة : مشتعلة .
(٧) جَمٌّ : كثير .

رُقْيَةُ الحُبّ (1)

خَيَّمَ (2) الليلُ فَنامى في هُدوءٍ وَسلامِ
رَفَّ مِنْ حَولك قَلبٌ عَلّم الحبَّ التَسَامى (3)
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحيٍ مِنْه سَامِ
فهو يَحْيَا في سماءٍ مِن أَمَانٍ (4) ومَرَامِ (5)
وهو يَسْرِي في وَسيعٍ من رجاءٍ مُتَرَامِ (6)
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ الليلُ فَنامى في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقاه في سُكُونٍ لِتَنَامى
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرىٰ للرُّؤى بعدَ المَنَامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القيامِ
وتَعاويذُ مِن الشَّرِّ لعامٍ بعدَ عَامِ
رُقْيَةٌ في إثْرِ أُخْرَىٰ مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

أيُّها الحبُّ فَلا تَنْسَ دُعاءً بالدوامِ
وتعاويذُ لقلبينا لِصَدٍ أوْ سَآمِ (7)
أو فَعَوِّذْها ودَعْنِي لِتَعاويذِ غَرامِى

---

(1) نشرت في ١٩٣٤ ، رُقْيَة : العُوذَةُ التى يُرْقَى بها المريض ونحوه .

(2) خيم : انتشر أو غشّى .

(3) التسامى : من السمو : العلو والرفعة .

(4) أمان : جمع أمنية .

(5) مرام : جمع مَرْمىٰ .

(6) مترام : بعيد الأطراف .

(7) سآم : ملل .

وإذَا شئتَ فعَــــــوِّذْ نى من فَرْطِ هُيامِـــــى
ومِـــنَ اللهفـــةِ تَطْغَـــىٰ فى فؤادِى كالضِّرَامِ (٨)
واجعـــلْ الدُّنْيَـــا سلامـــاً وارْوِ ياحُبُّ أُوَامِـــــى (٩)



(٨) الضرام : النار الملتهبة .

(٩) أوامى : الأُوام : حرارة العطش

الحياةُ الغاليةُ[1]

بالأمسِ كنتُ أعيشُ نِضوَ[2] ترقُّبِ … أُزْجِى[3] حَياتى كالأجيرِ المُتْعَبِ
أرنُو إلى الإصْبَاحِ ثم تَمُجُّه[4] … نَفْسِى وأنظرُ كارهاً للمَغْرِبِ
وأُحسُّ بالقفر الجديبِ[5] يَلُفُّنِي … ويَجُوسُ[6] فى نفسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ[7]
ولو أنما اخْتُصِرَتْ حَياتى لم أبِلْ … بَلْ لم أحسُّ بنقصِها أو أَعْتِبِ
وإذَا تَشَابَهتْ الحياةُ وأقفرتْ … مُجَّتْ بِرُمَّتِها[9] ، ولَمْ تُتَطَلَّبِ

* * *

واليومَ آسَفُ للدقائقِ تَنْطَوِى … من عُمْرِى الغَالى الثمينِ الطَّيِّبِ
واليومَ أرْقُبُها وأرْقُبُ خَطْوَها … فأعيشُها مِثْلَينِ بَعدَ تَرَقُّبِى
وهى العميقةُ كالخلودِ وإنما … تَمْضِى حَثِيثاً فى خُطَا المُتَوَثِّبِ
وأودُّ لو هى أبْطَأتْ وتَلبَّثَتْ … فى خَطْوِها لَبْثَ الوَئِيدِ[10] المُكْثِبِ[11]
تَغْلُو الدقائقُ فى حياةٍ خِصْبَةٍ … وتهونُ أعْوامٌ بِعُمْرٍ مُجْدِبِ[12]

* * *

الحبُّ فَاضَ على الحياةِ بخِصْبِه … وأَجَدَّ[13] عُمْراناً بِكلِّ مَخَرَّبِ
وأزَاحَ أستَارَ الدُّجَى فتكشَّفَتْ … ظُلُمَاتُه عن كلِّ زاهٍ مُعْجِبِ
وكذلك تَحْلُو لِيَ الحياةُ وتَجْتَلِى … وتَعِزُّ ساعاتُ الغَرامِ المُخْصِبِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) نضو : هزيل والمراد : هزيل من الترقب والانتظار .
(٣) أزجى : أدفع .
(٤) تمجه : تلفظه كارهة .
(٥) الجديب : الذى لا أثر فيه للحياة .
(٦) يجوس : يتردد .
(٧) كقبر الغيهب : كظلمة القبر الشديد .
(٨) لم أبِل :من بَلّ من مرضه : بَرَأ وصَحّ .
(٩) برمتها : كلها .
(١٠) الوئيد : على تؤدة : فى تمهل .
(١١) المكثّب : المقرّب .
(١٢) مجدّب : قفر : لا حياة فيه .
(١٣) أجَدَّ : من جديد .

الكَوْنُ الجديد[١]

تَغَنِّـــى وامْلئِــي الدُّنيـــا نشيـــدَا　　وحَيِّـــى ذلك الكَـــونَ الجديـــدَا
فإنَّ الحبَّ أبْدَعَــــــــــــه ؛ وإنى　　نَظَـمْتُ على بَدَائِعــه القَصِيـــدَا
أجَــلْ حيِّيــه فهــو لنــا ، وإنَّــا　　لَنَعْمُــرُ كَوْنَنَــا عُمْــراً سَعِيــدَا
نعــيشُ مَعِــيشَةَ الطُّلَقَــاءِ[٢] فيــه　　وكَــونُ النــاسِ يُثْقِلُهــم قُيــودَا
وَنَمْلِكُـــه ومَـــا الأحيـــاءُ إلاَّ　　أجيـــرِى هذه الدُّنيـــا عبيـــدَا
وَنَبْـــذُرُ فيـــه آمـــالاً وضَاءً[٣]　　فَيُنْبِتُ غَرْسُهـا الطَّلْـعَ النَّضيـدَا[٤]

* * *

تَغَنِّـــى بالرجـــاءِ وبـــالأَمَانِـــى　　وبالنُّعْمَـــىٰ تَدومُ لَنـــا خُلُـــودَا
ومِــنْ فِتَــنِ الحيــاةِ خُذِى الأغَانِــى　　ومِــنْ خَفقَاتِهــا صُوغِــى النَّشِيــدَا
ومِنْ شِعْرِى ؛ فقــد نظَّــمْتُ فيــه　　أهازيــجَ[٥] الهَــوىٰ لَحْنــاً فَرِيــدَا
فمـا أحْلَــىٰ الغِنَــاء بِعَــذْبِ شِعْــرٍ　　نحيِّــي فيـــه عَالَمَنَــا الوَليـــدَا



(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الطلقاء : الأحرار .
(٣) وضاء : مشرقة .
(٤) الطلع النضيد : النبات الذى يخرج من غلافه فى نظام واتساق .
(٥) أهازيج : أغانى ومفردها هزج .

حُبُّ الشَّكُور[1]

إنْ لَمْ أُحِبُّكِ للسَّنَا والنُّور … وَلِحُسْنِ وجهٍ فى الحياةِ نَضِيرِ
ولِسِحْرِ رُوحكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهَى[2] … مِنِّى فَأَتْبَعُه اتِّبَاعَ سَحِيرِ[3]
ولمّا تَضَمَّنْت الجمالَ فأفصحتْ … بِكِ منه سَاحِرةٌ مِنَ التعبيرِ
ولما مُنِحْتِ ، وما مَنَحتِ من الهوى … للكونِ ؛ أو أحييْتِ مِنْ مَقْبُورِ
إنْ لم أُحِبُّكِ حُبَّ مفتونٍ ولا … حُبَّ الأسيرِ ؛ إذَنْ فَحُبُّ شَكُورِ

* * *

حُبَّ الذى أحييْتِ فيه حَيَاتَه … مما لديكِ من الحَيَا[4] المَذْخُورِ[5]
ووهبتِهِ مُلْكَ الحياةِ وطَالَما … قَدْ عَاشَها كالعَامِلِ المَأْجُورِ
ومَنَحْتِه مَاضِيه بعدَ ضَيَاعِه … وأعَذْتِ قَابِلَهُ[6] مِنَ المَحْظُورِ
حُبَّ الذى أشْرَقْتِ فى وِجْدَانِه … فجلوتِ[7] كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ
ونَفَخْتِ فى عَزَمَاتِه فتوهَّجتْ[8] … وسَمَتْ[9] لكلِّ مُمَنَّعٍ[10] وخَطِيرِ

* * *

أوْ فَلأُحِبُّك حُبَّ مَنْ أَلهمتِه … شِعْراً يُضِىءُ سَنَاه[11] كلَّ شُعورِ
شِعْراً جمعتِ من الحياةِ زُهُورَه … ومن الجمالِ نَفَحْتِه بعبيرِ
ومن الضياءِ وهبتِه آمالَه … ومن النَّدَى حِلْماً كَوجه غَرِيرِ[12]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) النُّهى : العقل .
(٣) سحير : مسحور .
(٤) الحيا : الحياء أو الحياة .
(٥) المذخور : المدخر أو المصون .
(٦) قابله : مستقبله .
(٧) فجلوت : كشفت .
(٨) فتوهجت : اشتعلت وازدادت حرارة .
(٩) سمت :علت من السمو .
(١٠) ممنع : قوى .
(١١) سناه : نوره .
(١٢) غرير : الشاب الناعم (من لا تجربة له) .

وبعثِتِــــه وَحـــى الحيـــــاةِ وفَنَّهـــــا تجلُــوه ضِمْـــنَ جمالِهـــا المَأْثُـــــورِ

* * *

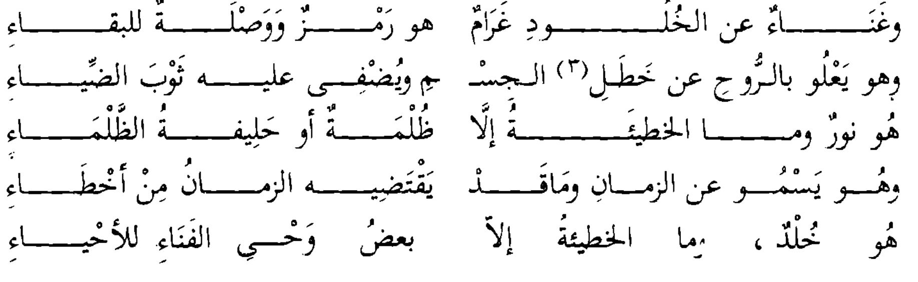
أفــلا أُحِـــبُّكِ ؟ إنّهـــا لَفَـــريضَةٌ حُبَّ الشّكُـــورِ لِواهـبٍ مَشْكُـــــورِ



عِصْمَةُ الحُبّ[1]

عِصْمَةُ الحبِّ من صنيعِ السَّماءِ   وهى صِنْوٌ[2] لِعِصْمَةِ الأنبياءِ
يُخْطِىءُ الناسُ فى الحياةِ اِسْتِبَاقاً   لِلَّذاذاتِ قبلَ يومِ الفَنَاءِ
وصِرَاعاً مابينَ جسمٍ ورُوحٍ   فى شَتِيتِ الآمالِ والأهواءِ
وَلَوَ أنَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُوا الخُلْدَ   أَوَ أنَّ الأرْواحَ مَحْضُ صَفَاءِ
لَتَسَامَوا عَنِ الخَطِيئةِ كالقَيْدِ   وعَاشُوا مَعيشةَ الطُّلَقَاءِ

* * *



وغَنَاءٌ عن الخُلُودِ غَرَامٌ   هو رَمْزٌ ووَصْلَةٌ للبقاءِ
وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ[3] الجسْـ   ـمِ ويُضْفِى عليه ثَوْبَ الضِّيَاءِ
هُو نورٌ وما الخطيئةُ إلَّا   ظُلْمَةٌ أو حَلِيفَةُ الظَّلْمَاءِ
وهُو يَسْمُو عن الزمانِ ومَاقَدْ   يَقْتَضِيه الزمانُ مِنْ أخْطَاءِ
هُو خُلْدٌ ، بما الخطيئةُ إلاّ   بعضُ وَحْيِ الفَنَاءِ للأحْيَاءِ



(١) نشرت فى ١٩٣٤ ، عصمة : من عَصَمَ : حَفِظَ ووقى ومنع .

(٢) صنو : المراد الأخ الشقيق : المثيل والنظير .

(٣) خَطَل : فساد : الكلام الفاسد الكثير المضطرب : المنطق الفاسد .

الانتظارُ الخالد[1]

أنــــا بانتظـــــارِك ما أُبالِـــــى رِضَى الهوىٰ حُكْـــمَ الجَمـــالِ !
غِيبـــــــــى إذَنْ أو فَاحْضُرِى أنـــا قَانِـــعٌ فى كلِّ حَالِ !
رَاضٍ بأحلامِـــــى التـــــى تُضْفِـــى علـيك حَلْـــىَ[2] الجلالِ
لستِ الملومَـــــــةَ إننـــــــى أنــا رِشْتُ[3] أجْنِحَـةَ الــدَّلالِ !
مَا لِلجَمَـــــالِ مَتَـــــىٰ بَدَا إلا التَّخَشُّـــعُ فى ابتهـــالِ

* * *

أنـــــا بانتظـــــارِك فى الشُّرو قِ وفى الغـــروبِ وفى الـــزَّوالِ[4]
أنـــــا بانتظـــــارِك حِين أصْـ حُو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ الــلآلِى[5]
أنَــا بانتظـــارِك حيـــنَ أغْـــ فُو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربت تَطلَّـــــــــــعَتْ نَفسى إلى القُـــرْبِ المُوالِـــى ![6]
وإلى التَّمـــــازُجِ[7] بيننـــــا حَنْـــىَ[8] النحـــور[9] إلى كَمَـــالِ
هو ذاك سِرُّ تَنَظُّـــــــــــرى أبـــدا إلـيك ؛ فمـــا احتيالِـــى ؟

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) حَلْى : زينة أو حُلِىٌّ : ما يُتَزَيّن به .
(٣) رشت : من راش الطائر يريش ريشاً : نبت ريشُه .
(٤) الزوال : الوقت الذى تكون فيه الشمس فى وقت الزوال (الظهر) .
(٥) اللآلى : اللآلىء (اللؤلؤ) .
(٦) الموالى : المتابع : المحب .
(٧) التمازج : الاختلاط .
(٨) حَنْىَ : من حنى العود وغيرهِ يَحْنِى حنْياً :ثناه .
(٩) نحور : النَّحْرُ : أعلى الصدر والمراد : حنى النحور : الاتجاه إلى .

الحبُّ المَكْرُوه ![1]

كَرِهْــتُكَ أيُّهــا الحبُّ   كراهةَ مُحْنَــقٍ[2] غَاضِبِ
وضَجَّ بِهَــوْلِكَ القَــلبُ   وماتَبْلُــوه مِنْ وَاصِبِ[3]

* * *

كَرِهْــتُك حَيْــرةً كُبْــرىٰ   جحيمــاً كلُّــه حَرَقٌ[4]
كَرِهْــتُك لهفــةً حَرَّىٰ   وشوقــاً كلُّــه نَزَقٌ[5]

* * *

كَرِهْتُــك رِيبــةً فِينَــا   وفى الدُّنيا وفى النَّاسِ
نُكَــذِّبُ مَا بأيِدينــا   ونَسْمَــعُ هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهــتك غُلَّــةً ظَمِــئتْ   ولا رِيٌّ ولا مَــــــــاءْ
وَوَقْدَتُهــا قد اشتعــلتْ   وفى التلطيــفِ إِذْكَــاءْ[7]

* * *

كرهـتك سُهـدَ أجفــانٍ   وصَحْواً فى الدُّجَىٰ المُبْهَمْ[8]
كرهـتك مَهـدَ أشْجَــانٍ   ومُذْكِى وَقْدِهـا الـمُضْرَمْ[9]

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) محنق : شديد الغيظ .
(٣) واصب : من وَصَبَ : مرض .
(٤) حَرَق : نار أو أثر النار نتيجة احتراق .
(٥) نَزَق : من نَزِقَ أى خَفَّ وطاشَ . والنَّزَق : الخِفَّةُ والطَّيْشُ .
(٦) غلة : شدة العطش وحرارته .
(٧) إذكاء : من ذكت النار : اشتدلهبها واشتعلت .
(٨) الدجى المبهم : الظلام الشديد .
(٩) المضرم : المشتعل .

كرهتك شُغْلِىَ الشَّاغِلْ وآمَالِــــــى وآلاَمِى
ومَــــاضِى العُمْــــرِ والآجِلِ ولَيْـــــلاَتى وأيَّامِــــى

* * *

كرهـــتُك دورةَ الزَّمَـــنِ بلا حَدٍّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصَّحْوَ بالوسنِ[١٠] بإحساسٍ لَنـــا شَاغِـــلْ

* * *

كرهـــتُك . لستُ موقوفـــاً على حُبٍّ يُقَيّدُنِـــــى
كَرِهْتُ العـــيشَ مَلْهُوفـــاً على أمـــلٍ يُسوّفُنِــــى

* * *

وداعـــاً أيُّهـــا الحبُّ كرهـــتك فارتحلْ قُدُمَـــا
كرهتك لم يَعُـدْ قَلبٌ بصدرِى يَحْمِـلُ الألَمـــا

* * *

سأحيـــا خَامِـــدَ الحِسِّ فلا حُبٌّ ولا أمــــلُ
ستخْبُو شُعْلـــةُ النـــفسِ ويَـــمضِى ذلك الأجــلُ



(١٠) الوسن : النوم .

نَكْسَة ![1]

خَفَقْتَ ياقلبُ !. ماذَا أَنَكْسَةٌ مِنْ جَديدْ ؟
تَوثُّبُ الحبِّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكِّ القيودْ !

* * *

يا قلبُ ماذَا أَثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنينَا ؟
وقد خَلَعْتَ إِسارَك[2] وعِشْتَ كالناسِ حِينا
أو عشتَ كالهادِئينَا !

* * *

لَقِيتَها يا فُؤادِى أَنَكْسَةُ الحبِّ لَقْيَا ؟
كالنارِ تحتَ الرَّمَادِ مايلبثُ الحبُّ حَيَّا
ماأعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

*

ياقلبُ فَاذكُرْ عَذَابَك فى الشكِّ أوِ فى اليقينِ
فهل نَسِيتَ اضطرابَكَ ؟ بين القَلَى[3] والحنينِ
وبين سُودِ الشُّجُونِ ؟

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ ، نكسة : من نَكَسَ : قَلَبَ أو طأطأ رأسه من خِزْى .

(٢) إسارك : قيدك .

(٣) القلى : البُغض والهجر .

وبينَ إنْ قِيلَ غابَتْ أو قِيلَ : الآن تأتي !
وبينَ فوزٍ مُباغِتْ أو حسرةٍ بعدَ فوْتِ
وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

أراكَ ياقلبُ لمَّا تَسمَّعْ ، ولم تَتَذَكَّرْ
وما تحاولُ كَظْماً[٤] لِخَفقِكَ المُتَسعِّرْ[٥]
وما تريدُ التدبُّرْ[٦]

* * *

عَلَيْكَ يَاقلبُ وِزْرَكَ[٧] فاخفقْ إذَنْ بَلْ فَخَاطِرْ ؟
فليس يُجْدِيكَ[٨] حَذَرُكَ إذَا هَمَمْتَ تُحَاذِرُ
خاطرْ بنفسِك خَاطِرْ ؟



(٤) كظما : إخفاء الغيظ أو كتمانه .
(٥) المتسعر : الشديد أو شديد الاضطراب والحرارة .
(٦) التدبر : الإدراك والفهم .
(٧) وزرك : ذنبك وإثمك .
(٨) يجديك : يفيدك .

على أطلال الحُبّ[1]

تَفَــرَّدَ ذلك الطَّلــــلُ[2] وطافَ بركنِه الوَجَـــلُ[3]
يُغشِّى اليأسُ صَفْحَتَــــه ويُبْـرِقُ تحتَــه الأمَـــلُ
وتهْمِسُ حولَه الذِّكْــرَى فتلمـــعُ بينها الشُّعَـــلُ
جَفَــاه[4] أهلُـــه مَلَـــلاً فَخيَّـــمَ فوقَـــه المَلَـــلُ
عَزِيــزٌ عَهْدُهـــم فِيـــه عزيـــزٌ أنْتَ يَاطَلَــــلُ

* * *

بَنَـــاه خَيـــرُ بَنَّـــاءٍ بَنَـــاه الحبُّ مُبْتَدِعـــا
وبَثَّ عَلى جَوانِبِـــــه مَفَاتِـنَ تَفْتِــنُ الوَرِعَــا[5]
وأطْلَــقَ حَولَـــه سِحْـــراً يَبُثُّ الشَّوقَ والوَلَعَـــا[6]
وأُنْشِدُ بِاسمِـــه شِعْـــراً مِنَ الآمالِ مُنتَزِعَـــــا
وظَلّـــلَ أهلَـــه الأمـــلُ فمـاذا جَدَّ يا طَلَلُ ؟

* * *

خريـــفٌ بَاكِـرٌ حَـــلَّا خريفُ الـحُبِّ والعُمْـــرِ
فَحَطَّـــمَ كُلَّ شَامِخَـــةٍ[7] على الأحـداثِ والدَّهْــرِ
وعَطَّـــلَ[8] كُلَّ فَاتِنَـــةٍ مِن الإغْـــرَاءِ والسِّحْـــرِ
وأبْطَـــلَ كلَّ سَاحِـــرةٍ وأسْكَتَ نَغْمَـــةَ الشِّعْـــرِ
فَعَـــادَ بِنَــاؤُه طَلَـــلاً فَويْحَكَ أيُّهـــا الطَلَـــلُ

* * *

---

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الطلل : مابقى من آثار الديار والجمع أطلال .
(٣) الوجل : الخوف والفزع .
(٤) جفاه : هجره .
(٥) الورع : التقىّ .
(٦) الولع : شدة الحب .
(٧) شامخة : مرتفعة والمراد متعالية .
(٨) عَطّلَ : جردها من زينتها .

دَلَفْتُ[9] إليـــه مَلْهُوفـــاً تحُثُّ حَنينى الذِّكْـــرَىٰ
فَأطْـــرَقَ لا يُحَدِّثُنـــــى وأرْسَلَ زَفْـــــرَةً حَرَّىٰ
وَجَـدْتُ لِوَقْدِهـــا لَذْعـــاً كَأنى ألْـــمَسُ الجَمْـــرَا
وتـاهتْ نَفْسى الوَلْهَـىٰ[10] وأسْرَتْ رُوحِـى السَّكْـرَىٰ
وقُلْتُ وقَـدْ نَزَا[11] ألَمِـى « فِداكَ الكونُ يَاطَلَلُ » ؟



(٩) دَلَفْتُ : مشيتُ على مهل (رويدا) .

(١٠) الولهى : الحزينة التى فقدت عقلها من شدة الحزن أو الحنين الشديد .

(١١) نَزا : من نزا ينزو :وَثَبَ ، ويقال نَزَا به قلبه إلى الشيء : طمح ونازع إليه ونزا به الشر : ثار وتحرّك .والمراد : هاج .

صَدَىٰ قُبْلَة[1]

حرارتُها لَم تَزلْ فَائِـرَه[2] ... ونَكْهَتُها[3] لم تَزلْ عَاطِرهْ
أُحِسُّ حرارَتَها فى دَمِـى ... كما تَصْرُخُ الشعلةَ الثَّائِرهْ
وأَنْشَقُ نَكْهَتَهـا كالشَّذَىٰ ... يفوحُ من الزهرةِ النَّاضِرهْ
وتخطـرُ رَيَّانَـةً فى فَمِـى ... كما يَخْطُر الحُلْمُ بالذَّاكِرَهْ
وبينَ يَدىَّ صَدَىٰ ضَمَّةٍ ... تَردَّدُ كالنَغْمَـة السَّائِـرهْ[4]
أجَلْ !ألَيْسَ هَذَاالذى قدضَمَمْتُ ... سِوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عَابِـرَه
أذلك جِسمٌ ! فأيـنَ الخيـالُ ... وأيـنَ عَرائِسُه النَّافِـرهْ ؟
تَقَـدَّسْت مِنْ قُبْلـةٍ قَدَّسَتْ ... مُنَـاى وأَوْهَامِـى الحَائِـرهْ
وأزْكَتْ حَياتِـى وإنَّ الحيـاةَ ... هى الفِتنـةُ الحيّـةُ الطَّائِـرهْ
أجـلْ هى أطْهَـرُ ما فِى الوجودِ ... فما الرِّجْسُ إِلّا القُوىٰ الخَائِرهْ[5]
لجَسَّمْتِ ما كانَ فى خَاطِـرِى ... خيـالاً وأُمْنيـةً طَائِـرهْ
وقَـربْتِ لِلَّـمْسِ ما لم تَكُـنْ ... تُقَرِّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطـرهْ
وَأسْرَيْتِ بالـرُّوحِ فى لَثْمَـةٍ ... تَحُسُّ بِهـا الشَّفَـةُ الشَّاعِـرهْ
أَمُعْجِزَةٌ أنْتِ تَمْزِجُ بين الـجسم ... وبيـنَ القُـوىٰ الطَّافِـرهْ ؟[6]
قُوىٰ كلِّ هَيْكـلِ هذا الوجـودِ ... كذلك قدرْتِ يا قَادِرَهْ !
وإنِّـى لَأُغْمِضُ فِى نَشْوةٍ ... وأُمْسِكُ أنْفَـاسِى السَّاعِـرهْ[7]
وأَخْطَرُهَـا قُبلـةً فى فَمِـى ... فَأَسْمَعُ أصداءَهـا السَّاحِـرهْ

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٧ .
(٢) فائرة : شديدة .
(٣) نكهتها : طعمها .
(٤) السائرة : المنتشرة .
(٥) الخائرة : الضعيفة الساكنة .
(٦) الطافرة : من طَفَرَ : وثب : أسرع .
(٧) الساعرة : الحارة .

وأسْتَرْجِعُ اللحظاتِ القِصَارِ فَأُلْفِي بها صُوراً وَافِرهْ
وأعْرِضُها مَنْظَراً مَنْظَراً كما عُرِضَتْ قبلُ لِلبَاصِرهْ
ثَوانٍ تَرَكَّزَ فيها الزمانُ تُبَارِكَ دُنياى والآخرهْ



غِنىً...؟ ![1]

غنيَّـــةٌ أنتِ بالتعبيــــرِ قد ذَخَـــرَتْ
أطـــواءُ نفسِكِ منـــه زادَ أحْقَـــابِ [2]

وهَبتِنـــى مِنْـــه أشتاتـــاً منوَّعـــةً
وزِدتِنِـــى منـــه فى جُودٍ وإِسهـــابِ[3]

فى كل جَارحـــةٍ عُنـــوانُ مَلْحَمَـــةٍ
من الحديثِ ، وسِرٌّ جِدُّ جذَّابِ

تقصُّ تاريخَهـــا فى فنِّ راويـــةٍ
منسَّقِ النَّبْـــرِ [4] ذى لحنٍ وإِطـــرابِ

وإِنَّ تاريخَهـــا أُقْصُوصةٌ جمعتْ
تجاربَ الكـــونِ فى أحـــلامِ أربـــابِ

تجاربُ الكـــونِ فى ســـحْرٍ وفى فِتَـــنٍ
من نُضْرةِ الرَّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَـــابِ

وَمِـنْ سَنـــاءِ الـــدَّرارِى [5] فى تَأَلُّقِهـــا
ورهبةِ الكونِ فى جُنْحِ الدُّجَىٰ الخَابِى

ومِـنْ غُمـوضِ الصَّحَارِى فى مَجاهِلِهـــا
والعيلَـمُ [6] الرَّحبُ يَطْغَىٰ جَدُّ صَخَّابِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٧ .

(٢) أحقاب : مفردها حِقبة : وهى المدة لا وقت لها ويقال ثمانون سنة فأكثر .

(٣) إسهاب : إطالة وتوسّع .

(٤) النبر : إبراز النطق والصوت .

(٥) الدّرارى : مفردها دُرِّىٌّ : نسبة إلى الدُّرِّ فى حُسْنِه وبهائه .

(٦) العَيْلَم : البحر أو ذكر الضبع ، وقد يكون المراد العَالم .

ومــن صِيــالِ الضَّوارِى فى تَمحُّمِهــا
ومــن أغاريــدِ أطيـــارٍ وتَنْعَــابِ
وفرحــةُ الظَافــرِ الــنَّشوانِ خَافِقَــةٌ
تختــالُ مُعْجَبــةً فى خَطــوٍ وثّــابِ

هذا حديــثُكِ بينَــا أنتِ صَامِتــةٌ
وَعَيْتُــهُ كلَّــه فى صَمْتِ مِحْــرابِ
فهلْ بلــغتُ مدَى ما أنتِ زَاخِــرةٌ (٧)
من التجــاربِ فى خَلْــقٍ وإِنْجــابِ ؟
لا . لا وحــقكِ لم أبلــغْ سِوى طَرْفٍ
من الحديثِ على وَفْــرٍ وإطنــابِ
وخَلْــفَ ذلك كَنْـــزٌ كُلُّــه طُرَفٌ
يزيــدُ مَذْخُــورُه (٨) فى كفٍّ وهّــابِ
وإنَّ عِنْــدك ما تُعطِينـــه أبـــداً
للسائليـــنَ بإفْصَاحٍ وإغْــرابِ

* * *

العيــنُ . ماذا تَقصُّ العيــنُ مِنْ خَبــرٍ
مُسَلْسَلٍ فى حَنايــا النــفسِ مُنْسَابِ ؟
ومــا الــذى أبْدعــتِ للفــنِ إذ هَمَست
للأمْنيـــاتِ فلـــبَّتْ بِضْعُ أسْرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنيــنٍ كامــنٍ وهَــوىً
يَسْرِى الهوينى شَفُوفاً بيــنَ أهْــدابِ ؟
والثغــرُ . ماذا يبثُّ الثغــرُ من قُبَــلٍ
فى صمتِه العَذْبِ ، بل فى سِحْرِهِ السَّابِى (٩)

---

(٧) زاخرة : فاخرة من زَخَر يزخَر : فَخَر ، مَلأ ، جاش .
(٨) مذخورة : مدخرة لوقت الحاجة ، مملوء .
(٩) السابى : الآسر من الأسر .

وإِن فيـــه لقُبــــلاتٍ قد ارتَسَمتْ

من بعد ما نَضَجَت ، لِلّاثِمِ (١٠) إلصّابى

* *

والجسمُ . ماذا يقولُ الجِسمُ قد خَفَقَتْ

فيــه الحيــاةُ ، وتَــاهتْ تيــهَ غَلّابِ ؟

يقــولُ ما تَعْجَــزُ الدُّنيــــا بِرُمَّتهــــا

عن أن تقــولَ بتصويـــرٍ وإِعــــرابِ

خُلاصَةٌ أنتِ من فَنِّ الحيـــــاةِ حَوتْ

جَميــعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيــا لإِعْجَــابِ

غنيـــةٌ أنتِ بالتعبيـــرِ قَد ذخـــرتْ

أطــواءُ نَفْسِك منــــه زادَ أحقـــابِ



(١٠) اللاثم : الذى يقبِّل .

وحي جديد (١)

فِى خِفّـــةِ الطيْـــــرِ　　فى نُضْرَةِ الزّهْـــــرِ
لَاقيتُهـــــا عَرَضاً (٢)　　بَسَّامــــةَ الثَّغــــرِ
فتّانــــةً تُغــــرِى　　بالسِّحْـــرِ والطُّهْـــرِ
تَهْفُـو (٣) فَتَحْسَبُهـــا　　لحنــاً هَفَـــا يَسْرِى
فى لَفْتــةِ الجِيـــدِ　　فى خَفْقــــةِ الصَّدْرِ
« تَقْسِيـمُ » موسيقـى　　مَنْغُومـــةِ النّبْـــرِ (٤)

* * *

يا بَسْمَـــةَ الفَجْـــرِ　　يا نَفْحَـــةَ العِطْـــرِ
أسْكَـــرْتِ وِجْدَانـــي　　مِنْ لَوْنِكِ الخَمْـــرِى
ألْهَـــــبْتِ إحْسَاسِى　　بالشَّوقِ كالجَمْـــــرِ
وَهَـــمسْتِ فى قَلْبــى　　وهَتَـــفْتِ فى صَدْرِى
وبَعَثْتِنِـــــــى أشْدُو　　للـــحُبِّ بالشِّعْـــــرِ
وكأننــــــــى رُوحٌ　　تَقْفُو (٥) خُطـا سِحْـرِ
مَفْتُونَـــةً تَرْنُـــمو (٦)　　للكـــونِ فى سُكْـــرِ
والكَـــونُ يَشْمَلُهـــا　　بالأنْسِ والـــــبِشْرِ

عَجَبِى لِمَـــا ألْقـــى　　مِنْ لُغْـزِكِ السِّحرِى !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٧ .

(٢) عرضا : مصادفة أى بلا تدبير سابق .

(٣) تهفو : تسرع فى مشيتها .

(٤) النبر : المراد : مرفوعة الصوت .

(٥) تقفو : تتبع أثر الخطا .

(٦) ترنو : تديم النظر .

وَحْـــــىٌ يُوسْوِسُ لى ... فى السِّرِّ والجَهْــــــرِ
حوَّلتِ عُمْـــــرىَ من ... شَطْــرٍ إلى شَطْـــرِ
حبَّبْتِنى ، عَجَبَــــا ! ... فى عِيشَةِ الوَكْــرِ [7]
قد كنتُ أرْهَبُهــــــا ... كالنَّـــابِ والظُّفْـــرِ !
وإِخَالُهـا شَرَكــــاً [8] ... فى البَـــرِّ والبَحْـــرِ !
إذ كنتُ أدْمَغُهــا [9] ... بالشَكِّ والغَــــــدْرِ
فَملأتِنـــــى ثِقَــــةً ... بِجَمالِهــا المُغْـــرِى
ورسمتِ لى صُوراً ... لِفراخِهـــا الـــخُضْرْ
تَزْقُـو [10] فَنُطْعِمُهـــا ... بِحَنانِنـــا الـــنَّضْرِ
ونَـــرِيشُ أجْنِحَـــةً ... مِنْ رِيشِهـا النَّـزرِ [11]
فَتَطِيرُ هَازِجَــةً [12] ... فى جَوِّنـــا الشِّعْـــرِى
وتـــؤوبُ وَادِعَـــــةً ... للـــعُشِّ كالطَّيْـــرِ !

* * *

يَا فِتْنَتِـــــــى ، هَذَا ... طيــفٌ مِنَ السِّحْــرِ
إنْ تَأْذَنِــى أضْحَـــى ... شَطْــراً مِنَ العُمْــرِ
فَهَبِـــى لى رُوحَــــا ... مِن رُقْيَـــةِ الثَّغْــــرِ
هى قُبْلَــــةٌ تُمْضِى ... مَا شِئتِ مِنْ أمْـــــرِ
وكَأنَّهــــــــا قَدَرٌ ... بِسعَادتِـــى يَجْـــرِى

---

(٧) الوكر : عش الطائر الذى يبيض ويفرخ فيه .
(٨) شركا : مصيدة .
(٩) أدمغها : أتهمها .
(١٠) تزقو : تصيح الأفراخ طالبة الطعام من أبويها .
(١١) النزر : القليل .
(١٢) هازجة : مغنية .

أُكْذُوبةُ السُّلوان (١)

بعد عام أحس فى نفسه بالسُّلوان ، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال . ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شِيَةٌ أو سِمَةٌ من الجمالِ الذى حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلَاه وإذا هو يَهْفُو (٢) إلى الماضِى والماضى وحْدَه دونَ سِواه .

الآن أعْلَـــمُ أنّ كلَّ خَواطِـــرِى
تَهْفُـو إلـيكِ كَرَقْرَقَـاتِ (٣) الطَّائِـرِ
ما كان سُلْـوانِى سِوى أُكْذُوبَـــةٍ
خُدِعَتْ بِهـا نَفْسِى خَدِيعَـةَ شَاعِـرِ
بَيْنَ الشَّغَـافِ (٤) وفى مُنَـاى وفى دَمِـى
ألقـاكِ هَاجَّـةً (٥) وبيـنَ سرَائـرِى
أنْسَاكِ ؟ ! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِحِـى
شَطْرِى الجَمِيلُ وأنْتِ وَحْىُ خواطِرِى ؟
أنْسَاكِ والآمالُ والذِّكْـرىٰ معـاً
مَوْصُولـةٌ بكِ فى صَمِيـمِ مَشَاعِـرِى ؟
وإذَا هَفَـوتُ إلى الجمـالِ فإنَّمـا
أهْـوىٰ مِثَـالَكِ فى الجَمَـالِ العَابِـرِ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٤١ ، والسُّلوان : التعزى والتلهى عن الشىء (ويقال : السُّلوان : ماء إذا شربه العاشق سلا عن حبه) .

(٢) يهفو : يحن ويتشوق .

(٣) كرقرقات : كتحرك واضطراب (من رقرق الماء : تحرّك واضطرب أو سال أو لَمَعَ وبَرَقَ) .

(٤) الشغاف : غلاف القلب .

(٥) هَاجَّة : من هَجَّ يَهجُّ هَجًّا فهى هَاجَّة ، يقال أَجَّتْ النار واتقدت وسمع صوت استعارها .

أنْسَاكِ إذْ أنْسَىٰ حَياتِـــى كلَّهـــا

فإذا حَيـــيتُ فأنْتِ أولُ خَاطِـــر

نَبَضَ الربيـــعُ فَكُـــنْتِ أولَ نَابضٍ

فى خَاطِـــرِى يهفُـــو وأولَ زائـــرِ

وهفــوتُ للمــاضِى الــذى قد أوْدَعَتْ

نَفْسى لديـــه رَغَائِبـــى وذَخائِـــرِى

أنـــا ذلك الماضِى الــذى لا يَنْـــقَضِى

أنـــا ذلك الماضِى يعــيشُ بِخَاطِـــرِى !



حُلُمُ الحَيَاة[1]

« وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَدِيٍّ فى صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشِعَّةٍ فى ظلامِ الحياة ؟ » .

أَيُّها الحُلْمُ الذى كَانَتْ حَيَاتِى ... مِنْ حوالَيــه دُعَــاءً وصَلاةْ
وتَسابِيــحَ وَعَتْهَــا أُغْنِياتِـــى ... وانْــتِشاءً بِأَفَاوِيــقِ[2] الحيـــاهْ
أَيُّهـا الحُلْـمُ الـذى أطْلَقَنِـى ... مِنْ قُيودِى نحو آفَاقٍ عَجِيبَهْ
والَّذى فى الصَّحْوةِ قَدْ طَوَّقَنِى ... بتَهاوِيلَ من الوَهْــمِ حَبِيبَــهْ
أَيُّها الحُلْمُ الذى طَهَّرَ نَفْسِى ... بالعذابِ الحُلْوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والـذى أَفْعَمَ[3] بالآمَالِ كَأْسِى ... وحَبَانِى بعدَ رُشْدِى بِالغُرورْ !
أَيُّها الحُلْمُ الـذى رَدَّ عَلَيَّـا ... نَزَقَ[4] الطِّفْـلِ وأَهْـواءَ الغُــلَامْ
والـذى نَدَّىٰ بِدَمْعِى مُقْلَتَيَّـا ... وعلى إِثْـرِ بُكَائِـى الابتِسَامْ !
أَيُّها الحُلْمُ الذى جَسَّمَ وَهْمِى ... فإِذَا الأَوْهَامُ فى الدُّنيا حَقِيقَهْ
تَتَجَلَّىٰ فى أَحَاسِيسِى وَهَمِّى ... صِلَةٌ بالرُّوحِ والـجِسمِ وَثِيقَهْ
أَيُّهـا الحُلْـمُ الـذى أَطْلَعَهـــا ... فى حَيَاتِى مِثْلَمَا تَطْلُعُ نجمَهْ
وأَرَانِيها كَمَـــا أَبْدَعَهــــا ... فِتْنةً تَشْقَىٰ بها الدُّنْيا وَنِعْمَهْ
أَيُّها الحُلْمُ الـذى هَيَّأَ لِى ... أَنَّها فى ذلك الكونِ فَرِيـدَهْ
والـــذى جَسَّمَ فيها أَمَلِـــى ... وأَمانِىَّ اللَّهِيفَـــاتِ[5] الشَّرِيـــدَهْ
أَيُّهـا الحُلْـمُ الـذى ظَلَّلَهــا ... فى خيالِى بِأَعَاجِيبِ الظِّـلالْ
فبــدتْ حُورِيَّـــةً جَلَّلَهَـــا ... أَلَقُ[6] الطُّهْـرِ وإِشْرَاقُ الجَمَـالْ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٤٣ .

(٢) أفاويق : مفردها ، الفِيقة : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والمراد مانسعد به فى الحياة .

(٣) أفعم : ملأ .

(٤) نزق : خَفَّ وطاش (الخفة والطيش) .

(٥) اللهيفات : مفردها لهيفة : محترقة القلب .

(٦) ألق : بريق ، ضوء .

أيُّها الحُلْمُ الذى صَوَّرَهَا كُلَّ يومٍ صُورَةً مِنْها طَرِيفَهْ
كلها تَبْدُو ــ ومَاأكْثَرَهَا ــ عَذْبَةً جَذَّابَةَ اللَّمْحِ شَفِيفَهْ
أيُّها الحُلْمُ الذى جَمَّلَ عِنْدى كُلَّ ماعَنَّ لَها مِنْ نَزَواتْ !
والذى عَلَّقَ وِجْدَانِى وَجَهْدِى بالذى يَبْدُو لها مِنْ بَدَواتْ !
أيّها الحُلْمُ الذى أوْقَدَها شُعْلَةً هَوْجَاء تَذْكُو فى دَمِى
كلّما تَلْمَسُ كَفِّى يَدَهَا تَلْمَسُ النَّشْوةُ قَلْبِى وفَمِى !
أيُّها الحُلْمُ الذى كَانَ وكَانْ أينَ نَحْنُ الآنَ مِن هذَا الزَّمانْ ؟
أيْنَ أطْيَافُكِ أوْهَامُ العَيانْ أينَ يَاحُلْمُ ؟ لقد كُنْتَ وَكَانْ !
أيْنَ أنْتَ الآنَ يا سِرَّ حَياتِى أينَ أنْتَ الآنَ يَامَعْنَى وُجُودِى !
أينَ يا وَحْيَ نَشِيدِى وصَلاتِى ؟ أينَ ؟ فى وَادٍ مِنَ الصَّمْتِ بَعِيدِ
بيننا وَادٍ مِنَ البُعْدِ سَحِيقْ بَيْنَما أنْتَ هُنَا مِلءُ فُؤَادِى
كَإلٰهٍ حَوْلَه الصَّمْتُ العَمِيقْ وهُو فى كُلِّ شُعُورٍ وفُؤَادِ
لِمَ يَاحُلْمُ قَدْ أيْقَظْتَنِى فَإذَا الصَّحْو خَواءٌ[7] فِى خَواءْ
لِمَ يَاحُلْمُ قد فَارَقْتَنِى فإذَا الكونُ هَبَاءٌ فِى هَبَاءْ
أيُّها الحُلْمُ تُرى كُنْتَ خِداعاً إيهِ مَاأصْدَقَه هَذَا الخِدَاعْ !
أيُّها الحُلْمُ الذى فَاتَ وَدَاعاً ماالذى نَمْلِكُه غَيرَ الوَدَاعْ ؟



(٧) خواء : فراغ .

الكأسُ المَسْمُومَة[1]

أَقْلاكِ[2] أَقْلاكِ كالشيطانِ أَقْلاكِ ... أَقْلاكِ كالسُّمِ يَسْرِى جِدِّ فَتَّاكِ
أَقْلاكِ : إِنَّكِ فى نَفْسِى وفى زَمَنى ... وفى حياتِى أَفْعَىٰ ذَاتُ أَشْوَاكِ
سَمَّمْتِ عَيْشى وأَحْلامِى وَأَخْيلتــــى ... وأَنْتِ شَيْطَانَــةٌ فى سَمْتِ أَمْــلاكِ
وعِشْتُ أَرْعَاكِ فى قَلْبِى وأَنْتِ بلا ... قلبٍ يُحِسُّ ويَرْعَىٰ كيفَ أَرْعَاكِ
مَنْ أَنْتِ ؟ مَاأَنْتِ ؟ إِنّى حَائِرٌ قَلِقٌ ... أَأَنْتِ أُسْطُورةٌ فى سِفْرٍ[5] أَفّاكِ ؟[6]

* * *

أَنسَىٰ اللَّيالِى التى قَضَيْتُها قَلِقاً ... وأَنتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيّــاكِ
أَنسَىٰ الدُّموعَ التى أرسلتُها غدقاً[7] ... ولستُ لولا هَواكِ المُرُّ بِالبَاكِى
وكِبْرِيائِى التى مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا ... مِنْ قبلُ أو بَعدُ فى دُنْيَاى لَوْلَاكِ
أَنسَىٰ . وأَذْكُرُ أَحْلامِى وأَخْيلَتِى ... كَأَنَّهن نجومٌ بينَ أَحْــلَاكِ[8]
وكلُّهن نَسِيجُ الوَهْمِ في خَلَدِى[9] ... ولَسْنَ غيرَ أَحابيلٍ[10] وأَشواكِ

* * *

أَقْلاكِ ؟ لَيْتَ ! فإنى لَسْتُ أَقلاكِ ... أَهواكِ ؟ لَيْتَ ! فَإِنّى لَسْتُ أَهْواكِ
أَهـوَى وأَقْلَـى وأَيامِـى مُوزَّعَـةٌ ... بينَ الهوىٰ والقِلَى كالضَّاحِكِ البَاكِى
هذا الرّحِيقُ وهذا السُّمُّ قد مُزِجَا ... ولستُ أُرْوَى بكأسٍ غَيرَ رَيَّاكِ

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٤٣ .
(٢) أقلاك : أكرهك .
(٣) سمت : هيئة .
(٤) أملاك : مفردها مَلَكٌ : مَلاك .
(٥) سفر : كتاب .
(٦) أفاك : الكذاب ، المفترى .
(٧) غدقا : غزيرة .
(٨) أحلاك : حُلِيّكِ أو حَلْيِكِ (ما تتزين به المرأة) .
(٩) خلدى : بالى .
(١٠) أحابيل : مفردها الأُحْبُولة : المصيدة .

هَاتى لِىَ السُّمَّ صِرْفاً[١١] لا يُمَازِجُه   هذا الرحيقُ فإنِّى لستُ بالشَّاكِى

مَلَلتُ كَأْسَكِ لا ألتذّ نَشْوَتَها   ولا أُحطِّمُها تَحْطِيمَ سَفّاكِ[١٢]



(١١) صِرْفا : الخالص ، النقى من أية شائبة .

(١٢) سفاك : قاتل يريق الدماء .

وَحْيُ لِقَاء[1]

هَذَا اللِّقَاء كَأَنَّـــه ذِكْـــرَىٰ مَكْنُونَـةٌ[2] في عالَــمِ النَّــفْسِ
وكأنَّـــه وَهْـــمٌ أُجَسِّمُـــــه لا حَادِثٌ فى عَالَم الحِسِّ

* * *

هَذا اللِّقَاءُ الخَاطِفُ الوَاجِفُ[3] وَتَلَــفُّتُ الأَنْظَــارِ فى حَذَرِ
كثُمالـةِ[4] الأَحْلَامِ ، كالذِّكْــرَىٰ فى رِعْشَةِ اللفَتَــاتِ والصُّورِ

* * *

أُخْتَاه . وَاعجباً لَنا ! عُذْنَــا فى هذه الدُّنْيَــا غَرِيبَيْــــنِ
عُذْنَا إذا مَا خِلْسَةٌ سَنَحَتْ نَمْضِى على حَذَرٍ كَلِصَّيْـنِ !

* * *

ألقـاكِ مِثْـلَ الطيـفِ عَابِـرَةً وكأَنَّ مَا قَدْ كَانَ مَا كَانَا
وكأنَّمـا الأيـــامُ ما شعـــرَتْ أنَّـــا عَمَرْنـــا قطُّ دُنْيانَـــا !

* * *

وتُفَكِّرِيـــنَ كَأَنَّمَـــا افْتَـــرَقَتْ من مَطْلَعِ الدُّنيـــا طَرِيقَانَـــا
وتذكِّرِيـــنَ كأنَّمـــا اجْتَمَـــعَتْ فى خَاطِرِ الأيـــامِ ذِكْرَانَـــا !

* * *

ماأنتِ ؟ إِنِى لَمْ أَجِدْ أبـداً أنى كَشَفْتُكِ قَطُّ فى النُّورِ

---

(1) نشرت فى يونيو ١٩٤٤ .

(2) مكنونة : مختفية مصونة .

(3) الواجف : المضطرب الخائف .

(4) ثمالة : بقايا .

(4) مروعة : فزعة .

ما أنْتِ إلا فكــرةٌ شرَدَتْ ماأنتِ إلا طيـفُ مذعـورِ !

* * *

وشقيَّـــةُ الخُطُـــواتِ عَائِـــرةٌ في خَيثُمـا اتَّجَهَـتْ لِمَأمُـولِ
وكأنّمــــا تَمْضِي مُرَوَّعـــةً وضميرُهـا يُضْفِـى(٥) لِمَجْهُـولِ !



(٥) يُضْفى : من أضاف الشيءَ إليه أى ضَمَّه أو أسنده أو نسبه .

حُلْمُ الفَجْرِ[1]

عَجَباً ! أنْتِ مَاتَزَالِينَ حُلْمِى وَمِثَالِى وَفِكْرَتِى ونَشِيدِى
مَاتَزَالِينَ فى خَيالِى رَمْزاً لِرَجَاءٍ مُنَوَّرٍ مِنْ بَعِيدِ
مَاتَزَالِينَ حَافِزاً لِجُهودِى مَاتَزَالِينَ غَايةً لِوجُودِى
أتَحَاشَاكِ[2] بالجَفَاءِ[3] وبالبَأْسِ[4] فأرتَدُّ سَاخِراً مِنْ جُهُودِى
أتَحَاشَاكِ كالجحيمِ وكالسُّمِّ ولكن إليكِ يُفْضِى[5] شُرودِى[6]

* * *

عَجَباً ! تَرْكُدُ الحَيَاةُ فَأنْسَاكِ قليلاً فى غَمْرَتِى ورُكُودِى
فإذا دَبَّتْ الحيَاةُ تَراءَى[7] كطَيفٍ مُستَيْقِظٍ مِنْ هُجُومِ
وتَراءتْ تَرِقُّ حَولَكِ أطْيَافٌ لِمَا كانَ بَينَنَا مِنْ عُهودِ
كلُّ مَا لَامَسَتْ يداكِ ومَامَسَّ هَوانا مِن قَيِّمٍ وزَهِيدِ
أتَمَلَّاه بالخيالِ وبالحِسِّ كَذِى مِنْ عَالَمٍ مَوْعُودِ

* * *

عجباً ! بعدَ كلِّ مَاكَانَ مِنَّا مِنْ صِراعٍ دَامٍ وجُهدٍ جَهَيدِ
أتَمَنَّاكِ فى المَنَامِ وفى الصَّحْوِ تَمنِّىَ العَقِيمِ[8] وَجْهَ الوليدِ
وإذَا سِرْتُ فى الزِّحَامِ فَعَيْنِى لخيالٍ مُسْتَشْرِفٍ[9] مِنْ بَعِيدِ !
لهفةٌ تَمْلأُ الحَنَايا حَنِيناً لرجاءٍ مُجَسَّمٍ مَفْقُودِ
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ فى صَحْوةِ الفَجْرِ فَأنَّى[10] لِحُلْمِنَا من مُعيدِ

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٤٤ . (٢) اتحاشاك : اتجنبك . (٣) الجفاء : البُعد .
(٤) البأس : القوة ، والمراد يجبر نفسه على الهجر والبعد ولكن لايقوى على هذا .
(٥) يفضى : ينتهى أو يؤدى . (٦) شرودى : تشردى . (٧) تراء : ظهر . (٨) العقيم : التى لاتلد .
(٩) مستشرف : يبدو على البعد .
(١٠) أنَّى : أداة استفهام بمعنى أين ، وكيف ، ومتى . والمراد يتمنى عودة حلمه . ولكن لا أمل .

انْتَهَيْنا[1]

اِنْتَهَيْنَا قد مَضَىٰ المَاضِي جميعاً ومَضَيْنَا
اِنتهينَا لم نَعُدْ نَسأَلُ أَيَّانَ وأَيْنَا
أَو نَمُدُّ اليومَ للأَحْلامِ والأَوْهَامِ عَيْنَا
انْطَوَىٰ الحُلْمُ الذى لَاحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تَمشَّتْ تُسْبِلُ[2] السِّتْرَ عَلَينا

* * *

اِضْرِبى[3] فى زَحْمَةِ الأَرْضِ على غيرِ طَريقى
فكرةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفِيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرُه الفَنُّ ، على عَينِ الصَّدِيقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأَنا المَكْدُودُ[4] فَلْيُلْقِ إلى الأَرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَدِ أن تَسْكُنَ فى الأَرضِ خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لاتَهْتِفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمِضَ لاتُوقِظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه ، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

(١) نشرت ١٩٤٥ .

(٢) تسبل : ترسل وتُرْخِى .

(٣) اضربى : سيرى من السير أو المشى .

(٤) المكْدُود : المَغْلُوب .

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ فى النَّفْسِ عَيَانَا
وَمَضَينا فى طريقِ الوَهْمِ تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدِمُ الأيامُ مَابَنَينِى فَتَبْنِيه رُؤانَا !
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمِينا(٥) فَتَمْضِى قَدَمَانَا
تتبعَ الوَهْمَ الذى صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جِنَانَا

* * *

يَالهذا الحُلْمِ والأيامُ تَمضِى والليَالِى
عَابِثَاتٌ بِالأمانِى وهو يَمْضِى لايُبَالِى
يَغْلِبُ الوَاقِعَ فى الأرضِ بِتَحْلِيقِ الخَيالِ
ويَرىٰ خَلْفَ الرَّوَابِى والصَحَارَى طيفَ آلِ(٦)
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظِّلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضِى وَالْأَمَانِى وَالزَّمَان
وانْتهَيْنَا . وصَحَا بَعْدَ الأوَانِ الحالمان
عَجَباً . قدْ كان حُلماً . لَيْتَ شعْرى كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلمِ وحُلْمِى كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان



(٥) يدمينا : يجعلنا ننزف دماً .   (٦) آل : سراب .

الوصف

وادعاً كالزَّهرِ حَيَّاه النَّسيمْ

ساهيا كالصمْت فى ظلِّ الوُجُومْ

حَالِماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ

بين أطياف الأمانى

وخيالات الهمومْ

سيد قطب

وردةٌ ذَابلة[1]

قد تَولَّتْ وَذَوَتْ نُضْرتُهـــا وبــدت كالمَيِّتِ المُحْـــتَضِرِ
تَفْتَـحُ الأجفـانَ أو تَغْمِضُهـا فتحةَ الضَّعْفِ وغَمْضَ الخَوَرِ[2]
وشَذَاهَـــا لَم يَزَلْ يُفْعِمُنـــى فيعيـدُ الشَّجْــوَ لى بالذِّكْـــرِ



(١) نشرت فى ١٩٢٥ .

(٢) الخور : الضعف والانكسار .

العُود(١)

مُحَلِّلُ القَلبِ أنْغَامـاً وألْحانـاً ومُلْهِمُ الوَحْـى إسراراً وإعلانَـا
مُوقِظُ النَّفسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِنَةٌ وأنْتَ تَهْمِسُ بَالأَنْغَـامِ وَسْنَانَـا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو فى معارجِها(٢) وتطرقُ العالَـم العُلْـوِىَّ أحْيانَـا
وباعثُ الذِّكَرِ اللائى إذا اشتجرتْ أثَرْنَ فى النَّفْسِ آلاماً وأشْجَانَا
وواهبُ الحِسِّ لُطْفاً فى مَدَارِكِه ومُوحِى الشِّعرِ إحْساساً وأوْزَانَا
أسَلْتَ(٣) نَفْسِى بالألحانِ تُنْشِدُها إنشادَ ذِى شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْنَانَا
كأنَّ ألْحانَكَ اللائِـى تُرَدِّدُهـا أطيافُ ذِكْرىٰ ؛ توارتْ ؛ تَرْجِعُ الآنَا
كأنّهـا خَطَـرَاتٌ فى مُخيِّلَـةٍ نُحِسُّها ؛ ثم لا نَسطيعُ تِبْيانَا
كأنّها هَمْسُ جِنٍّ أو ملائكةٍ أسرَّ عن عالِمِ الإنسانِ كِتْمانَا
تسيلُ فى النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ(٤) وإنَّ للنفسِ مِثْلَ الجسمِ آذانَا !
وتستحثُّ خَيالاً كان في دَعَةٍ فيـذرِعُ الكـونَ آفاقـاً وأزمانَـا
وتملأُ النـفسَ باطمئنانِهـا ثِقَـةً وتغمرُ القلبَ إخْلاصاً وإيمانَـا

* * *

حديثُ أىِّ فؤادٍ أنتَ تَذْكُرُه أَباسِمٌ فَرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَا ؟
وأىُّ وَحْيٍ لَنا تَرْوِى رِسَالَته فيؤمِنُ الناسُ أفْكاراً وَوِجْدَانَا ؟
عَنِ القُلوبِ جميعاً أنتَ تُخْبِرُنَا عنِ الأُناسِىِّ ما خَصَّصتَ إنسانَا

---

(١) نشرت فى ١٩٢٧ .
(٢) معارجها : صعودها .
(٣) أسَلْتَ : من أسْلىٰ ، يقال : أسْلىٰ فلانا عن كذا : جعله يسلو ، أسلاه عن الشىء : يسليه أى أنساه ، والمفروض أن تكون أسْلَيْتَ (ضرورة شعرية) .
(٤) مُرْهَفَة : دقيقة (تسمع بدقة وانتباه) .

عن الحياةِ وما فِيها تحدثُنا   فكلُّنا مُؤمِنٌ يزدادُ إيقانًا[٥]
عن الطبيعةِ تَروِى وهى تُلْهِمُنَا   هذا الحديثَ ، فما نَحْتَاجُ بُرْهَانَا



(٥) إيقانا : ثباتا وتحققا ووضوحا ، من أيقن ويقال : رَجُلٌ يَقِنٌ بالشيء : مُولَعٌ به .

بريشة الشعر[1]
أو
صورة صادقة

كانَ بالأمسِ ، وبالأمسِ القريبْ   يَتَـراءى كالأمانِـي هَاهُنـا !
هائماً كالـرُّوحِ يغـدُو وَيئُـوبْ   والرجاءُ العَذْبُ فى وَادِى المُنَى

وَادِعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهِيا كالصمتِ فى ظِلِّ الوُجُومْ[2]
حَالِما يصحُو قليلاً ويَهِيمْ[3]
بين أطيـافِ الأمانِـى
وخيـالاتِ الهمـومْ

* * *

زهرةٌ قد كَادَ يَعْرُوها[4] الذُّبُولْ   ثم حَيَّتْهـا تباشيـرُ الربيـعْ
فهى تَرْنُو بين صَحوٍ وذُهولْ   مثلما تحْتارُ فى العينِ الدُّموعْ

وهو لَحْنٌ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه فى تضاعيفِ الضِّياءْ
فوَعَاه كلُّ ذِى حِسٍّ بَراءْ[5]
وشعـورٌ كالنسيـمْ
فى الحَنَـانِ والنقـاءْ

* * *

(١) وصف لصديق عزيز كتبت فى ١٩٢٨ ونشرت بالبلاغ الأسبوعى ١٩٣٠ بعنوان (صورة صادقة) .

(٢) الوجوم : الحزن فى صمت .

(٣) يهيم : يسير دون هدف .

(٤) يعروها : يصيبها .

(٥) براء : برىء : شريف .

دُميةٌ تُوحِى بأشتاتِ المَعَانِى وهى سَكْرَىٰ فى حِمى الصمتِ العميقْ
هادئاتٍ مِثْلَ أطيافِ الأمانِى ساميات الوَحْى كالعطفِ الرَّفِيقْ

وهو مَا أدْرِى مَلاكٌ أمْ بَشَرْ
فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ
وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ
والأناسِىُّ لِئامْ
مثل شَيطانٍ نُكُرْ[6]

* * *

كان بالأمسِ ولَكن قد تولَّى ذلك الأمْسُ فَخلَّانى وغَابْ
وإذَا بِى مُوحِشٌ[7] لا أتَسَلَّى والخصيبُ النَّضْرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ[8]

أذكرُ الساعاتِ[9] وَمْضا ينقضينَ
ثم يَعْرُونِي لِذكرَاها الحنينْ
فيهيجُ الوجدُ والشَّوقُ الدَّفِينْ
إيه ساعاتِ الأمانِى
أتُرىٰ قَدْ تَرجعينْ ؟



---

(٦) نُكر : مكروه بشع مُستَنْكَر . (٧) موحش : وحيد .

(٨) اليباب : الخراب .

(٩) ومضا : بريق سريع الانطفاء ، والمراد : تنتهى فى سرعة بالغة .

هَدْأَةُ الليل(١)

هَدَأَ الليـــلُ وهَـــاجتْ بِىَ الشُّجُـــونُ
وصَحَـا جَفْنِـى لَدىٰ غَفْـــوِ الجفُـــونْ

وتـــوارتْ ضَجَّـــةُ العَالَـــمِ فى
هَدْأَةِ(٢) الليـــلِ يُغَشِّيها السُّكُـــونْ

حَنَّتْ . الـوُرْقُ(٣) فلمَّـا هَجَـعَتْ(٤)
بَعـدَ لأيٍ(٥) هَيـجَتْ عنْـدِى الحنينْ

ذكريـــاتٌ مَا لَهـــا تَتْبعُنـــي
حيثما سِرْتُ وأيـــانَ أكُـــونْ

صُورٌ شتـــــــىٰ إذا ما عَرضَتْ
صَوّرَتْ لى واضحـاً طيــفَ السنيـــنْ

وأرَتْنِـــى كيـــفَ يمضِى العُمْـــرُ لا
يشعــرُ المرءُ به حتـــى يَحِيـــنْ

يَتـــقضَّى العُمْـــرُ فى أحلامِنـــا
وإذا نَصْحُـــو صَحَتْ غُولُ المَنـــُونْ

وأرتْنِـــــى شَبَحـــــاً مِنْ عَدمٍ
يتبـعُ الأحيـــاءَ أنَّـــىٰ يَنزِلُـــونْ

يَبْلَــعُ المَـــاضِى مِنْ آثارِهـــم
فاغِـــراً فَاهُ لِمَـــا يَسْتَقْبِلُـــونْ

* * *

إيـــه يا ليـــلُ أرانِـــى مُغْرَمـــاً
بحديثٍ مِنْكَ يُشْجِـى السَّامعيـــنْ

هاتِ ما عِنْـــدَكَ لا تبخـــلْ به
بلسانِ الصَّمْتِ والوَحْـــى المُبيـــنْ

أوْحِ للأنْـــفُسِ ما حُمِّلْتَـــه
من جلالٍ وخُشُـوعٍ ويَقيـــنْ

هاتِ يا ليـــلُ أحَـــاديثَ الهوىٰ
واتـــلُ يا ليـــلُ شُجُـونَ العاشِقيـــنْ

وادَّخـــرْ فيك صَدىٰ أنَّاتِهـــم
لا تُضِعْ يا ليـــلُ أصْدَاءَ الأنيـــنْ

إنَّهـــا ذوبُ قلـــوبٍ فُطِـــرَتْ
ونفـــوسٌ داميـــاتٌ وعُيـــونْ

كَم سلامٌـــاً فيك قد حُمِّلْتَـــه
من مُحبٍّ وامقٍ(٦) القـلبِ حَزيـــنْ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٢٨ .

(٢) هَدْأَةٌ : سكون عن الحركات .

(٣) الوُرْق : الورقاء : الحمامة .

(٤) هجعت : نامت ليلا .

(٥) لأى : جُهْدٍ ومشقة

(٦) وَامِق : محب ودود .

رُبَّ سِرٍّ غامضٍ أُودِعْتَــــــــــه في حَنايــا الصَّدْرِ مَخْبــوءٌ دفيـــنْ
ضَاقَ صدْرُ الصَّبِّ عن كتمانِـــــه فأراكَ السِّرَّ دونَ العالميـــــــنْ

* * *

مُرْ يا ليـــلُ فقـــد أشْجَيتَنـــى عَلَّ فى الصُّبْـحِ هدوءاً أو سُكـــونْ
إنّ لى فِيكَ لَشَجْـــــــواً وأسَىٰ ومُنَاجَـــاةً وشَكْـــوىٰ وحنيـــنْ
عبَثــاً أنْجُــو بروحِـى مِنْ حنيـنٍ هُو أصلُ الوَجْـدِ عِنْـدِى والشُّجُـونْ
إننــى أهْــواكَ يا ليـــلُ ولكــنْ أنْتَ بالإشفـاقِ والعطـفِ ضَنيــنْ[٧]
تبــعثُ الأشجـانُ مِنْ مَكْمَنِهــا رحمةً يا ليــــلُ بالمستيقظِيـــنْ



(٧) ضنين : بخيل .

الصُّبْحُ يَتَنَفَّس[1] !

نَسَمَــاتٌ زَفَّهَــا الفجــرُ الوليـــدُ ‏ ‏ ‏ بعــد ما جَاشَ[2] بها صَدْرُ الحَيـــاه
ناعمــاً مِثْــلَ أنفــاسِ الْـــورود ‏ ‏ ‏ بَلّــلَ الطـــلُّ شَذَاهــــا بِنَـــدَاه

* * *

كانت الدُّنيــــا يُغَشِّيها السكــــونُ ‏ ‏ ‏ وظــلامُ الليــلِ والنــومُ العَمِيـــقْ
طِفْلَةٌ قد ضمَّهــا الليــلُ الحَنــونُ ‏ ‏ ‏ ضَمَّـــةَ الـــرحمةِ كالأمِّ الشَّفُـــوقْ !

* * *

وتـراءىٰ الصُّبْــحُ في سَمتٍ بديـــعٍ ‏ ‏ ‏ فإذا الطِفْلَــةُ تَصْحُـــو من سُبَـــاتْ
تُرْسِلُ الأنفـــاسَ فى رِفْـــقٍ وديــــعٍ ‏ ‏ ‏ وإذا الأنفـــاسُ تلك النَّسَمَــــاتْ

وإذا الزهــرُ يُحَـــيِّ فى ابتســـامٍ ‏ ‏ ‏ ذلك الصبـــحَ ويرنُــــو في هُدوءْ
كابتسامِ الطفـلِ فى عهـــدِ الفِطــامِ ‏ ‏ ‏ حينما يَحْلُــمُ بالشَّــذى الـــمَلِيء !

وإذا الطيــرُ وقَـــد رَانَ النُّعـــاسُ ‏ ‏ ‏ فوقَ عينيــهِ[3] تَنَــزَّي فَصَحَـــا[4]
يرمـــق النــورَ بهمسٍ واختـــلاسٍ ‏ ‏ ‏ فَيُحَيِّـــه طَرُوبــــاً مَرِحَـــا

*

وانبثاقُ الفجرِ من سُدْفِ[5] الظلامِ ‏ ‏ ‏ مثلمـــا يَبْسَمُ للعَانِـــي الأمـــلْ
يَلْثُـــمُ الكـــونَ ببشرٍ وابتســـامٍ ‏ ‏ ‏ ويُحييـــه برفـــقٍ في القُبَـــلْ

---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ . ‏ ‏ ‏ (٢) جاش : امتلأ . ‏ ‏ ‏ (٣) تنزى : توثّب وتسرّع .
(٤) فَصْحَا : ظهر ضوؤه والمراد أن الطيور انطلقت مع ضوء الصبح تتوثب .
(٥) سدف : سواد .

وتـــرى الأنـــفسَ فى هذا الحَنـــانِ ساكِنـــاتٍ بيـــنَ أحضانِ الطَّبيعَـــه
ساهيـــاتٍ رَاضيـــاتٍ فى أمـــانٍ تُرْسِلُ الطـــرْفَ[6] بنَظَـراتٍ وَدِيعـه

عَالِمـــاتٍ فى كَراهـــا[7] يَقِظـــاتٍ ! سابحاتٍ فى التَّعـــلَّاتِ[8] الـــوِضَاءْ
تُنْشِدُ الآمالَ عَذْبَ الأغْنيـــــاتِ بيـــنَ سَمْـعيها ويحْدُوهـــا الرَّجَـــاءْ

فتـرةٌ فى مَطْلِـــعِ الفجـــر تَمـــرّ هى حُلْـــمٌ مثـــلَ أيـــامِ الطُّفُولَـــه
فإذا مَرَّتْ فجـــــوٌّ مُكْفَهِـــــرٌّ هو فى الطِّفْـــلِ شَبـــابٌ وكُهُولَـــه

* * *

ليتنـــى عِشْتُ بأحضَانِ الصَّبـــاح أو قضيتُ العُمْرَ أستمتـــعُ طِفْـــلَا !
لا ولا هذا من الدَّهْـــرِ يُتـــاحُ لا ولا قد عُدتُ أستمتـــــعُ كَلَّا !



(٦) الطرف : النظر .

(٧) كراها : نومها

(٨) التعلات : المبررات والأسباب والمراد تنعم بمظاهر الصباح

عبث الجمال[1] .. !

غَادةٌ ممراحٌ طروبٌ ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح ، فعمدتْ إلى جماعةٍ من الطير ، اتخذنَ لَهن عُشًّا بين أحضان شجرة ، تَذُودُهن عن عشهن الهادىء فى عبث قاسٍ ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ ، عادتْ هى إلى الذودِ !

دَعِيها تُغَرِّدْ لَحنها وتُرَجِّعْ[2] ... وتمرحْ ما شاءت وتَلهُو وتَرتَعْ

دَعيها تُنَمِّقْ[3] للحياةِ تحيةً ... وتبعثُها لحناً يَلَذُّ ويُمْتِعُ

دَعيها تُعَبِّرْ عن مَشوقٍ مُتيمٍ ... تَلِجُّ[4] به الذِّكرى ؛ فيهفُو ويَنْزَعُ

دَعيها فَفى ألحانِها ، الحبُّ نَاطقٌ ... ومن وَحْيه تَشدُو مَليًّا وتَسْجَعُ

دَعيها فقدْ رَوَّعْتِها وتَرَكْتِها ... مُشتَّتةً حَيْرىٰ تُطِلُّ وتَرجِعُ !

* * *

عزيزٌ عليها عُشُّها دَرَجَتْ[5] بِهِ ... فِراخاً نَحيلاتٍ تَهُمُّ فَتَقْعُدُ !

يُطالِعُها رُوحُ الربيعِ فتَنْتَشِي ... ويَدْهَمُها[6] قَرُّ الشِّتاءِ فَتَجْمُدُ

وتَنْشَقُ أنفاسَ الصَّباحِ نَديةً ... فَتَنْدَىٰ ؛ ويَحْدُوها الرَّجاءُ فَتَسْعَدُ

وظَلَّلَها فى عشِّها الحبُّ حَانِياً ... عَلَيها قويًّا مُنْعِشاً يَتَجَدَّدُ

* * *

فَكَانَ لها زاداً إذا قَلَّ زَادُها ... ورَوحاً ورَيْحَاناً ولَحناً يُرَدَّدُ

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ . (٢) تُرَجِّعُ : تردّد . (٣) تنمّق : تنقش وتزين .

(٤) تلج : من لجَّ فى الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

(٥) درجت : نشأت . (٦) يدهمها : يُفاجئها .

وَيَــا طالمَــا غَنَّتْ ويــا طالما بَكَتْ ... سُروراً بقـربٍ أو حَنينـاً إلى ذِكْـرى
ويا طالَما ارتـاعتْ(٧) لِخَـطْبٍ مُدَاهِمٍ ... فكـانَ لها مَنْجَىٰ وكَـانَ لَهـا سِتْـرَا
وكَـم ليلـةٍ مَرَّتْ وكَـم أشْرَقَ الضُّحـىٰ ... وكم أمَّـلَتْ خيراً ؛ وكَـم حَذَّرتْ شرّا
دَعيها . بمهـدِ الذكريـاتِ أمينـةً ... تَطيـفُ بها كالـومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَىٰ(٨)
دَعيها أجَـلْ لا تَعْبَثِـي بشعورِهـا ... ولا تَحْـرِميها خيـرَ ما حَفِـظَتْ ذُخْـرَا

* * *

وإن لا يكـنْ بُدٌّ من اللهـوِ فاعبثِـي ... بألبابِنـا لا بالطيـورِ الهَوائِـمِ !
وَهَبْتُك إحسَاسِي فمـا شئتِ فاصنعِي ... أميناً لعهـدِي مُخْـلِصاً غيـرَ نَادِمِ
وقَـاكِ الجمـالُ السَّمْـحُ كلَّ مَلامَـةٍ ... وعَتْبٍ(٩) فَلا تَخْشَى مَقالَـةَ لائـمِ
ولكنَّهـا الأطيـارُ تَلْهُـو بريئَـةً ... فمـا بالها تُنْذَهَـىٰ بِفَعْلَـةِ ظَالـمِ !؟
دَعيها ــ فَدَتْكِ النفسُ ــ لا تعبثِي بها ... فمـا كان أوْلاهـا بِرَحْمَـةِ رَاحِـمِ !

---

(٧) ارتاعت : فزعت . (٨) تترى : متتابعة . (٩) عَتْب : المراد : المؤاخذة .

يومُ خريفْ[1]

وَقَفَ الكونُ شَاخصاً[2] فى سُكُونٍ ... وتَراءىٰ لِخَاطِرِى كالحزينِ !
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ ... فتبدُو كَبَاهتاتِ الظُّنُونِ
وكأنَّ الزَّمانَ سَاورَه[3] الحُزْنُ ... فَأَغْفىٰ إغفاءةَ المُسْتَكِينِ[4]
وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيْرُ ... فناءتْ بِحِمْلِ عِبْءِ القُرونِ !
وكأنّ الأقدارَ أرْخَتْ يَدَيْها ... وتَراخَتْ عَنْ صَرْفِها للشئُونِ

* * *

وقفَ الكونُ سَاهِماً ليس يَدْرِى ... أينَ يَمْضِى ؛ وأينَ لَو شَاء يَمْضِى ؟
طَالَما دَارَ بالأنَامِ ودَارُوا ... بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ
ثم ماذَا ؟ تَساءَل الكونُ : ماذَا ؟ ... أحياةٌ مابينَ غَزْلٍ ونَقْضِ ؟
أيّما غَايةٍ نَؤمُّ[5] إليها ... أىُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سأَقْضِى ؟
تَعَبٌ ضَائعٌ وجُهْدٌ غَبينٌ[6] ... ومَصيرٌ مُقَنَّعٌ ليسَ يُرْضِى !

* * *

وسَرىٰ اليأسُ والخُمُولُ إليه ... فَتَراخىٰ فى سَيْرِه كالبليدِ !
وتَمْشى الهُمُودُ[7] فى كلِّ شيءٍ ... مِشيةَ الدَّاءِ بالأسَىٰ والكُنُودِ
فإذا الدَّوحُ[8] فى وجُومٍ كئيبٍ ... وإذا الطيرُ فى ذُهُولٍ شَرِيدِ
وإذا الزَهْرُ فى الرياضِ أسيفٌ[9] ... كصغارِ الأيتامِ فى يومِ عيدِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ . (٢) شاخصا : ماثلا أمامى . (٣) ساوره : واثبه : أو صارعه : هيّجه .
(٤) المستكين : الخاضع الذليل . (٥) نَؤُمُّ : نتجه إليها . (٦) غبين : ضعيف ناقص .
(٧) الهمود : الضعف . (٨) الدوح : الشجر .
(٩) الأسيف : الرقيق القلب البكّاء .

وإذا بالزمانِ يعطُو[١٠] كَسيحاً كأسيرٍ يُساقُ نِضْوَ[١١] القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّماءَ والأرضَ ، مَرْضَىٰ بَرِمَاتٌ بثقلةِ العُوَّادِ ![١٢]
وترى السُّحب فى السماءِ تُغشِّى ناظريهَا كَصَفْحَةٍ مِنْ رَمَادِ
وترى الأرضَ كالكظيمِ[١٣] مِنَ الحُزْنِ ثَكُولا[١٤] تَسرْبَلَتْ[١٥] بالحدادِ[١٦]
والفَنَاءُ المريضُ ، طافَ عليها طائفٌ مِنْه فى ثَنايا الرُّقَادِ
كلُّ شَىءٍ يرنُو إلى كلِّ شىءٍ ! كسجينٍ يَرْنُو إلى الجَلَّادِ

* * *

مَأْتَمٌ صَامتٌ يُهوِّمُ فيه شَبَحُ اليأسِ والقُنُوطِ العَقيمِ
ليسَ موتٌ وليسَ ثَمَّ حَياةٌ كُلُّ شىءٍ فى صمتِه كالسَّقِيمِ
والوُجُومُ الذى يُغشِّى عليها كاسِفَ البالِ مُمْعِنٌ فى الوُجومِ !
وخُفُوقُ الأرواحِ أبْطَأُ نَبْضاً كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّدِيمِ[١٧]
أَسْبَلَتْ[١٨] عَينَها الحياةُ سَآما واسْتَنَامتْ لليأسِ والتسليمِ !



(١٠) يعطو : من عَطَا يعطُو : تناوله باللَّم .

(١١) النِّضْو : المهزول ، يقال : فلان نضو سفر : مُجْهَدٌ من السفر : والمراد نضو القيود : شديد الضعف والهزال من قيوده .

(١٢) العوّاد : مفردها عائد : زائر المريض .

(١٣) كظيم : كاظمة : ممسكة نفسها من الغضب .

(١٤) ثَكول : من فقدت ولدها .

(١٥) تسربلت : لبستْ .

(١٦) بالحداد : ملابس الحداد (السوداء) .

(١٧) السديم : التعب أو الضباب الرقيق أو بقع سحابية مغيمة فى الفضاء .

(١٨) أَسْبَلَتْ : أرخت .

الجبار العاجز[1]

على إفريز محطة القاهرة ، أنزل قطار الصعيد ، كتلة بشرية ، تتنزى[2] وتتلوى ؛ وتصرخ فى حشرجة مفزعة . هذه الكتلة هى بقايا رجل متحطم ؛ صريع أشل ، يتنزى الصرع فيه ، وتتلوى صرخاته ؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَتِه أن هذا العجز ليس أصيلا فيه ، وأن له ماضيا جبارا ؛ فى ناحية من النواحى ؛ وأنه يألم أكثر ما يألم ؛ لهذا العجز الطارىء الجديد .

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمَ ... وتنزَّى[3] الداءُ فيه والأَلَمْ

ودَوّتْ من فيه تَعوِى صَرْخَةٌ ... تَتَلَوّىٰ فيه حتىٰ تَحْتَدِمْ[4]

صَرْخَةُ الجبارِ يَشكُو مُرْغَماً ... ذِلَّةَ الشّكْوَىٰ وإِهوانَ[5] الرَّغَمْ[6]

يَشْتكى العجزَ وما يُؤلِمُه ... فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تَضطرِمْ

يَشْتكى العجزَ الذى أقعدَه ... عَنْ صراعاتٍ وهولٍ يَقْتَحِمْ

تسمعُ القوةَ فى صَرْخَتِه ... مِن وَراءِ العجزِ تَلْوِى فَتَصِمْ[7]

ويَهمُّ البأسُ فى أشلائِه ... ناهضاً ؛ لكنما العجزُ جَثَمْ

* * *

أيُّ معنىٰ تَحتوِى صَرْخَتهُ ؟ ... أىُّ ماضٍ فى ثَناياها ارْتَسَمْ ؟

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به ... فى عِنَادٍ شامخٍ حتى انْحَطَمْ

هو ماضٍ غَامضٌ تَكْنُفُه ... جَلْجَلاتٌ[8] ، وهَزيمٌ[9] ؛ ورُجَمْ[10]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ . (٢) تتنزى : تكثر حركتها . (٣) تنزى : المراد زاد الألم .

(٤) تحتدم : تشتدُّ . (٥) إهوان : مصدر (هان) قبل إعلاله والمراد : الذِّلة .

(٦) الرَّغمْ : على كره منه . (٧) فتصم : من شدة الصرخة تُفقد السمع .

(٨) جلجلات : صوت فى حركة . (٩) هزيم : صوت الرعد . (١٠) رُجَمُ : أحجار القبور .

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِـــمٌ لايهابُ الموتَ فيمــا يَعْتَــزِمْ
هو ماضٍ ! أيُّ ماضٍ ؟ يالَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ(١٠)

(١٠) الأصم : المراد الذى لايستجيب .

ناحِتُ الصَّخْر[1]

أو

« الفاعل »[2]

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ[3] — أقضَّ[4] بها النُّوَّامَ فى الفجرِ مِعْوَلُ[5] ؟
لِذلكم الصَّخَّارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ — ولمّا يَزَلْ لليلِ فى الصُّبحِ مَدْخَلُ
أكبَّ على تحطيمِه وانتحاتِه — كَراجٍ له فى ذلك الصَّلْدِ[6] مَأْمَلُ
يُطَوِّحُ فى عُرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه — ويهوى على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ
ولكنَّها تَلْقَاه صَمَّاءَ لَمْ تَلِنْ — وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ
يدورُ حَوالَيها لِيُدْرِكَ مَقْتَلاً — وهَيهاتَ فى الصُّلْدِ الأصِمَّاءِ مَقْتَلُ
ويَغْمِزُها غَمْزَ الخبيرِ ويَنْثَنِى — يحاولُ مَا أعياه ، لا يَتَحَوَّلُ
وقد جَاشَ فى أعضائِه كلُّ نابضٍ — وسَالَ دَمٌ فى صورةِ الماءِ يَهْطِلُ !
وحينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعدَ طَرْقَةٍ — تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَاكانَ يَصْمَلُ[7]
فَأرخىٰ ذِراعَيْه ، وأسْنَدَ جِسْمَه — إلى مِعْوَلٍ ؛ نَضّاه[8] للكدحِ مِعْوَلُ

* * *

تَسيلُ جُهودٌ أو دِمَاءٌ نَقيةٌ — لِيُنْصَبَ تِمْثَالٌ ؛ ويُرْفَعَ مَنْزِلُ
ومانَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقىِّ — وليسَ له فى ذلك القصرِ مَوْئِلُ !
ولكن قُصاراه شَرابٌ ولُقْمَةٌ — ومَأمَلُه فى ذلك الصَّلْدِ مَأْكَلُ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الفاعل : كلمة متداولة تعنى (العامل) فى قطع الصخر من الجبل أو يعمل فى الحفر .
(٣) تُعْوِلُ : رفع الصوت بالبكاء والصياح . (٤) أقضّ : أقلق . (٥) مِعْوَل : آلة لتحطيم الصخر .
(٦) الصَّلْدُ : الصُّلْبُ الأملس الشديد . (٧) يَصْمَل : مايكون ضخماً صُلْباً .
(٨) نضاه : حَرّكه وقلقه .

قِفَـارٌ كمثـلِ الصَّخْـرِ أسودَ كالـحٍ وأفراخُـه كُثْـرٌ ؛ وأنْثَـاه مُطْفِـلُ[٩]
فإن كانَ إكليـلٌ فهـذا جَبينُـه وَإنْ كانَ تمثـالٌ فهـذا المُمَثَّـلُ
ويـارحمةَ الإنسانِ أدْعُـوكِ فَاخْجَلِـى أمـامَ بنـى الإنسانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ !



(٩) وأنثاه مطفل : لها طفل رضيع ..

حُلْمُ النِّيل(١)

هَازَ جَ(٢) بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهـو يَمْضِى إلى مَدَاه البَعيدْ
ذكريـاتُ القُـرونِ قَدْ صَاغَهـا النيـلُ نَشيـداً ، فيَالَـه مِنْ نَشيـدْ !
يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ ، ويَشْدُو بكـلِّ هَذَا القَصِيـدْ
منذُ فَجْرِ التاريخ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَدِيـمٍ جَدِيـدْ

حَالِـمٌ بالرَّجَـاء عِنْـدَكَ يانِيـلُ سَعِيـدٌ بِحُلـمِكَ المَعْهُـــودْ
يَنْبُتُ الزَّهرُ فى خُطَاكَ بَهِيجـاً ذاك حُلْـمٌ تَأويلُـه فى الـوُرُودْ



(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٨ .

(٢) هازج : تغنَّى .

وداع الشاطيء[1]

من الفردوس إلى الجحيم

أُحْـــلُ[2] يا شَطُّ ما تَشَاءُ فإنِّـــــى ... رَغمَ سحرِ الجمـــالِ والموجِ رَاحـــلْ
رَاحِـــــلٌ حَشْدُ نفْسِه لفَتَـــــاتٌ ... ليسَ عن فِتنـــةِ الجمـــالِ بغَافِـــلْ
قدْ دَعَتْـــهُ إلى الرَّحيـــلِ دِيـــارٌ ... فى صَميمِ الجحيمِ تُدْعى الشَّواغِـلْ
هي قبـــرُ الآمالِ والفـــنِّ والحبِّ ... وقَيـــدٌ عن كلِّ ماشَاقَ شَاغِـــلْ
وهـــى دَارِى التـــى دَرَجْتُ[3] عليها ... وإليها المآبُ مَهْمـــا أحـــاوِلُ !

* * *

أُحْـــلُ ياشطُّ بالجمـــالِ طَلِيقـــاً ... من قُيـــودِ الزمـــانِ نَشْوانَ وَاهِـلْ[4]
أسْكَرَتْهُ الأمـــواجُ وهـــى تُزَجِّـــى[5] ... دَفَعـــاتِ الحيـــاةِ فى كلِّ نازلْ
فيـــرَى نفْسَهُ خفيفـــاً غرِيـــراً ... قاهـــراً قادراً يجوزُ الحوائِـــلْ[6]
دَفَعَـاتُ الحيـاةِ فى المَـوْج أسْنَـــى[7] ... من بَريـــقِ الآمالِ فى نفْسِ آمِـــلْ

* * *

أُحْـــلُ ياشطُّ بالعَـــرائِسِ حُوراً[8] ... سَابحاتٍ والموجُ ظمـــآنُ نَاهِـــلْ
كانْفِتَـالِ الحِيتَـــانِ فى البحـــرِ وَثْبـــاً ... وانثنـــاءِ الغِـــزْلانِ والشطُّ ذَاهِـــلْ
فتنـــةٌ تَسْكُبُ الحيـــاةُ عليها ... سِحْرَهـــا والعيـــونُ حُورٌ[9] قَواتِـــلْ

* * *

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٤٠ .

(٢) أُحْلُ : فعل الأمر من حَلا الشيء يَحْلُو حلاوة ، ويقال : حلا الشيء له فى عينيه : لَذَّ وحَسُن .

(٣) درجت : نشأت وسرت .

(٤) واهل : ساهٍ (من سَهَا : غَفَلَ) .

(٥) تزجى : تدفع إلى الأمام .

(٦) يجوز الحوائل : يجتاز الصعاب أو الموانع .

(٧) أسنى : أضوأ (من الضوء) .

(٨) حوراً : الفتيات الحسناوات .

(٩) حور : مفردها حوراء : شدة بياض العين فى شدة سوادها (من جمال العيون) .

واندفاعُ الأمــواجِ يُوقِــظُ فى النَّفْــ ... ــسِ ظَمـاءً مُرَقْرَقـا فى الدَّخَائِــلْ(١٠)

وانطلاقــاً من التَّـــزَمُّتِ والْعُــرْ ... ــفِ وشَوْقــاً إلى المباهِــجِ واغِــلْ(١١)

* * *

أُحْــلُ ياشطٌّ لن نُطيــقَ انْفِــلاَتاً ... من رَحيــلٍ إلى جحيــمِ الشَّواغــلْ



---

(١٠) الدخائل : مفردها داخل : مافى باطن النفس .

(١١) واغل : متعمق .

الوادى المقدس[1]

على ضِفــــــافِ الخلــــــودْ   وفى شعــــــابِ الزمــــــنْ
والدهـــــر يحبُـــــو وليـــــدْ   قد كانَ هذا الوطـــــــنْ

* * *

يافجـــــــــرُ مَنْ ذا رآكْ   تجولُ تلكَ السمـــــــاءْ
ولـــــــيسَ حَيٌّ سِواك   تُهـــدِى إليـــه الضيـــاءْ ؟

* * *

رأتْك تلك الضِّفـــــــافْ   رأتكَ تلك البُـــــــرورْ[2]
رأتْكَ قبـــــلَ المطـــافْ   وأنتَ طفــــلٌ غريـــــرْ

* * *

وشِبْتَ والدَّهـــــــر شَابْ   وحنَّكَــــتْك[3] الحيـــــاهْ
والنيـــــلُ بادى الشبـــابْ   والزهـــر يَقْفـــو خُطـــاهْ

* * *

يَنْسَابُ مثـــــلَ النَّغَـــــمْ   فى عَـــزفِ نـــايٍ طـــروبْ
وكانسيـــــابِ الحُلُـــــمْ   تُضْفِــــى عليـــه الغيـــوبْ

* * *

خريــــــرُهُ صَلَـــــواتْ   مُعَطَّـــــرَاتُ النشيــــــدْ
وموجُـــــــهُ أُغنيـــــاتْ   مُرَتَّـــــلاتُ القصيــــــدْ

يانيـــــــــلُ كم من شِراعْ   يانيــــــل كم من سَفيـــــنْ[4]

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٤٤ .

(٢) البرور : مفردها البَرُّ (الشاطىء)

(٣) حنكتك : ألبتـك التجربة والمعرفة .

(٤) سفين : سفينة .

أسْلَمْتَهــــا للـــــوَداعْ علـــى مَـــدَارِ السِّنِيـــن

* * *

يانيــــلُ كَمْ من جُمــــوعْ ماجَتْ بتـــلك الضفـــافْ
يانيـــــــلُ كم من زروعْ وذِى وذِى للقطـــــــافْ

* * *

وأنتَ صِنـــوُ[5] الخلـــود وفى يديْك الزِّمـــــامْ
وكـــلُّ عامٍ تعـــودْ مُجـــدَّدَ الأيـــامْ

* * *

تجرى فتجـــرى الحيـــاه ويُمْـــرِعُ[6] الشاطئـــانْ
ويستفيـــقُ الرُّعـــاه وتمرحُ القُطْعـــــانْ

* * *

ويَـــنشطُ الـــزرزورْ يجمِّـــع العيـــدانْ
لِعشه المغْمُـــــورْ بفرخـــه الوَسنـــانْ

* * *

أكادُ خلـــفَ القـــرون أحِسُّ رِكْـــزَ[7] الجمـــوعْ
أراهُـــمُ مُهطعيـــنْ[8] فى موكبٍ للربيـــعْ

* * *

قد شمَّـــروا للـــحصاد وخَلَّفـــوا أمشيـــرْ
فى فرحـــةِ الأولادْ تسابقُـــوا للبكُـــورْ

* * *

ومـــوكبٌ للـــرَّواحْ فى كلِّ يومٍ يؤوبْ
يزُّفـــه الفـــلاحْ على مَدارِ الغـــروبْ

* *

من الحقـــولِ المَريعـــة إلى الحِمـــىٰ والدِّيـــارْ

---

(٥) صنو : رفيق .

(٦) يمرع : ينعم الشاطئان بالخصوبة .

(٧) ركز : صوت خفى .

(٨) مهطعين : مسرعين فى خوف .

تضمُّ فيـــــه الطبيعـــــهْ أبناءَهـــــا الأبـــــرارْ

* * *

لُحونُـــــه من صِيـــــاحْ ومـــن رُغـــاءِ النَّعَـــمْ (٩)
ومـــن رجيـــع النُّبـــاحْ ومـــن ثُغـــاءِ الغنـــمْ

* * *

على مَدارِ القـــــرونْ يسيـــرُ فيـــه الرُّعـــاهْ
كأنهم خالـــــدونْ ما بُدِّلُـــوا فى الحيـــاهْ

* * *

أُحبّ فيكَ الخلـــــودْ ياأيُّهـــا الـــــوادِى
أُحب فيك الصمـــــودْ للْقاهـــرِ العَـــادِى

* * *

تَصبُّ فيكَ الوفـــــودْ وأنت يقظـــانُ ساهـــرْ
تصوغُهـــم من جديـــدْ كأنما أنتَ ساحـــرْ

* * *

يا مَهبِـــــطَ الأسرارْ من الغيـــوبِ العميقَـــهْ
يا موطـــنَ الأسحـــارْ من القـــرونِ السحيقـــهْ

* * *

يَأوِى إلـــيك الزمـــانْ خوف البِلَـــى والفَنـــاءْ
يأوى لحصن الأمـــانْ فيستمـــدُّ البَقـــاءْ

* * *

ووجـــهك الفَتَّـــانْ بلونـــه الأسمرْ
يـــا طالمـــا يَـــزْدانْ بـــزرعـــك الأخـــضـــرْ

* * *

ترنُـــو له عينـــاى فى فتنـــةِ العـــاشقْ
يا أرضُ يا دُنيـــاى يا آيـــةَ الخالـــقْ

* * *

---

(٩) النَّعَم : الحيوانات .

يا أرضُ كَم تَحْلُـــين   بالزهـرِ أحـلامَ شاعـرْ
رُؤاكِ طـولَ السـنين   يا أرضُ ، تلك الأزاهـرْ

* * *

وريحكِ المعـروفْ   يشمُّـه أنفِـى
فى خاطـرِى مألـوفْ   مميـز العَـرْفِ

* * *

يا أرض ، هذا الصعيـدْ   مقـدسٌ فى ضميـرِى
سَرَىٰ عليـه الجدودْ   وأخلـدُوا للقبـور

* * *

يكـادُ فَرْطُ الحنيـنْ   إليهِمُ فى شُعـورِى
يردهـم شاخصيـنْ   إلـىَّ خلـفَ الدهـورُ

* * *

يا أرضُ سرٌّ دفيـنْ   مُغـيَّبٌ فى ثراكِ
يَردُّنـا مُوثقـين   إلـيكِ أسرَى هواكِ

* * *

هذا الثرى المنثـور   فى صفحـة الـوادى
عرفتـه فى الضمير   رفـات أجـدادى

* * *

يا أرض . هذا النشيـد   من وحـيك العبقـرىِّ
فَاقْضِى له بالوجـود   بسرِّك القُـدُسِىِّ



فى ليلةٍ من لَيالى الربيع[1]

فى الجوِّ رائحةٌ تُوسْوسُ فى الحَنَايــــا والصُّدُورْ
نَشْوانـةً خَدِرَتْ (٢) يُعاوِدُهـا التـوثُّبُ والفُتُـورْ
فَتهيـمُ كالشوقِ المجنَّـحِ فى مَتَاهَـاتِ الضَّميـــرْ
وكـأنّ رائحـةَ الحيـاةِ تَدِبُّ فى عَبَـقٍ (٣) مُثيـــرْ

* * *

وأُحِسُّ بالنغمـاتِ سَارِيـةً تَرَقْـرَقُ (٤) فى الدِّمَـــاءْ
كهُتـافِ مشتـاقٍ تَولَّـه لا يكـفُّ عَنِ الدُّعَـــاءْ
الأرضُ تَفْتِنُـــه ويَرْنُـــو فى ابتهالٍ للسَّمَـــــاءْ !
والصَّمتُ يَغْمُرُه وفى الأَحْنَاءِ (٥) وَسْوَسَةُ الغِنَـاءْ !

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَـــأُ المُغَلْغَـــلُ للحيـــاهْ
وهَواتِـفُ الدُّنيـا إلى القُبَـلِ المُليحـةِ فى الشِّفَـاهْ
وتَرَقْـرُقُ الخُرَّقَـاتِ (٦) فى شَغَـفٍ يَهيـمُ إلى مَدَاهْ
وتطلُّـع الصُّوفِـيِّ فى شوقٍ إلى ذاتِ الإلَـــهْ !

* * *

هو ذا الربيـعُ وإنّـه لَهـو الهَواتِـــف والحَنيـــنْ
أبـداً يَهيـــجُ إلى عَوالـــمَ تائهـــاتٍ لا تَبِيـــنْ
ويُهَدْهِـدُ الأحـلامَ والذِّكـرَاتُ شَتَّـى والفُنُـــونْ
فإذَا الحيـاةُ هوىً يَرِفُّ وفتنـةٌ وشَجِـــىً دفيـــنْ

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤٥ (٢) خدرت : عراها فتور واسترخاء . (٣) عبق : رائحة الطيب الدائمة .
(٤) ترقرق : تتحرك وتضطرب . (٥) الأَحْنَاء : الجوانب . (٦) الخرّقات : نوع من العصافير .

جَمالٌ حَزِينٌ (١)

أجَلُّ من الحُزْنِ والمَأتَمِ ... جَمالُكِ . إنْ كُنْتِ لَمْ تَعْلَمِى !
وَقدْ دار حولَ الجبين الخمارُ (٢) ... تَشَعْشَعَ (٣) كالليلِ بالأنْجُمِ !
كما أرْسَلَ الصبحُ لآلاءَهُ (٤) ... بَريئاً مِن الصِّبْغِ كالعَنْدمِ (٥)!
وفى شَفَتَيْكِ الجَنَى والرَّحيقُ ... ولكن طَهُرْتِ فَلَمْ تَأْثَمِى
وكَفَّكِ (٦) فى الصمتِ حُزنٌ شَفِيفُ (٧) ... سِوى قُبْلَةٍ وصْوصَتْ (٨) فى الفَمِ !
وفِتْنَةُ هذا الجَمَالِ العَميقِ ... وطُهْرُ نَمَاكِ إلى مَرْيمِ

* * *

هُو الحِلْمُ بينَ ضِفَافِ الجَنَانِ ... يَرِفُّ (٩) على ثَغْرِكِ المُلْهِمِ (١٠)
ويَطْرُقُ عَيْنَيكِ فى سَبْحَةٍ ... إلى عَالَمٍ شَاعِرِيٍّ ظَمِى
تَحجَّبَ بينَ شِعابِ (١١) الغُيوبِ ... وأومضَ (١٢) فى قلبكِ المُفْعَمِ (١٣)
ضَميرِى يُحِسُّكِ أُغْرُودةً (١٤) ... على شَفَتَىْ خَاطِرٍ مُبْهَمِ (١٥)

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٤٨ .

(٢) الخُمار : دخل فلان فى خُمار الناس : فيما يواريه ويستره ، والخِمَار : ماتغطى به المرأة رأسها .. وهذا هو المراد والأصوب .

(٣) تشعشع : انتشر . (٤) لآلاءه : بريقه والمراد إشراقته .

(٥) العَنْدَم : صبغ تختضب به الفتيات والمراد أنها مشرقة بطبيعتها بريئة من الأصباغ والألوان .

(٦) كفّك : كفاك . (٧)شفيف : الشفّاف ، والمراد حزن كشف عما بداخلك.

(٨) وَصْوَصَتْ : ضَيَّقَتْ ويقال وَصْوَصَتْ المرأة : ضيقت نقابها فلم يُرَ منه إلا عيناها ، والمراد أنها قُبْلَة سريعة خفيفة .

(٩) يَرِفُّ : يتلألأ . (١٠) الملهم : المحرك للقلوب . (١١) شِعاب : طرق .

(١٢) أومض : لَمَعَ . (١٣) المفعم : المملوء . (١٤) أغرودة : أغنية . (١٥) مبهم : مجهول .

الرثـــاء

ودمُ المختـــــار مـا زالَ نديّـــــ

ـــا يستـحثُّ الخَانِعـينَ الضُّـــعَفَاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ الـ

يوم يدعـــو مَنْ يجيبـــون الدُّعـــاء

سيد قطب

وَحْيُ الخُلُود[١]

الموتُ مرحلـةُ الخلـودِ   والذِّكْـرُ عُمْـرٌ لا يَبيـدْ[٢]

فإذا انتهى أجَـلُ العظيـ   ـمِ فَذِكْـرُه أجـلٌ جَديـدْ

ماتَ الزعيـمُ ولم تزلْ   آثـارُه تُحْيـى الجنـودْ

وَمضَىٰ شهيـداً طاهـراً   يانِعْـمَ ذَيَّـاك الشهيـدْ

هو عَلَّـمَ الشعبَ الجهـا   دَ وأيقـظَ القـومَ الرُّقـودْ

هو كانَ رَوحـاً بيننَـا   يَحيَـا فَيُحْيـى مَنْ يُريـدْ

هو كانَ كالأمـلِ المُـضى   ءِ وكانَ كالجدِّ[٣] السعيـدْ

هو قد حَبَـا[٤] الأشبـالَ مِنْ   عَزَمَاتِـه باسَ[٥] الأسودْ

فإذَا مَضَى الأسدُ الهصو   رُ فَخَلْفَـه أسدٌ عَتيـدْ

وإذا خَبَـا[٦] الـرأىُ الرَّشيـ   ـدُ فَبَعْـدَه رأىٌ رشيـدْ

ياسعـدُ أدْمـنتَ الجُهـو   دَ فحسبُنـا تلك الجُهـودْ

* * *

نَمْ مطمئنـاً بعدمَـا   عَلَّمْتَنـا معنـى الوجـودْ

الشعبُ بعـدَك لم يَعُـدْ   يُثْنِيـه وَعـدٌ أو وعيـدْ

الشعبُ لايـرضَىٰ القُيـو   دَ ولم تنلْ منـه القُيـودُ

الشعبُ نَصَّبَ[٧] مصطفـا   كَ وكاتـمَ السرِّ الـودُودْ

وهـو الأمينُ على العهـو   دِ فما يخُـون ومايَحيـدْ

* * *

---

(١) نشرت فى أبريل ١٩٢٨ .

(٢) لايبيد : لايفنى ولاينتهى .

(٣) الجد : الحظ .

(٤) حبا : منح وده وعطفه .

(٥) باس : بأس : القوة والصلابة .

(٦) خبا : إختفى .

(٧) نصّب : اختاره خليفة للك .

يأيُّهـــا الخَلَــفُ العظيــــمُ ‏ ‏ ‏ ‏ ويأأخـا الـرأى السديــدْ

الشعبُ خَلْـــفَكَ كُتلــــةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ فى مَوقــفِ الهولِ الشديــدْ

أقْـدِمْ على الخَصْـمِ العَنيـــدِ ‏ ‏ ‏ ‏ يَحُـوطُكَ الجيشُ العتيـدْ[8]

مُسْتَلْهِمــاً وَحْـــىَ الفقيــــدِ ‏ ‏ ‏ ‏ فإنــه وَحـــىُ الخُلــودْ

إنَّ الحيــاة لِمـــن صَحَــا ‏ ‏ ‏ ‏ ليستْ لِعُشَّاقِ الهجُـــــودْ[9]



(٨) العتيد : المستعد الجاهز .

(٩) الهجود : النوم والراحة .

الذكرى الخالدةُ لسعد العظيم[1]

هى هذه الذكرىٰ لثالثِ عامِ حَثَّتْ رَكائِبَهـا يدُ الأيـامِ ؟
هى هذه ذكرىٰ الخُلودِ ورَمْزه وشعـارُه البـاقى على الأعـوامِ
ذكرى البُطولةِ والزمانُ يَحفُّها[2] بجلالِـه فتجِـلُّ[3] فى الأفهـامِ
جاءتْ تُحَدِّثُ فى جَلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفــــــــةً بمرارةِ الآلامِ
بَيْنَـا تُذَكِّـرُ بالحيـاة إذا بها تَرْنـو[4] مُحَدِّثـةً بطَـرْفٍ دَامِ[5]
مَمزُوجـةَ الألـوانِ تعْصِف تَارةً وتعــودُ هَامِسةً بَوحْــيٍ سَامِ
هى كالخلودِ المحض غيرَ محددٍ وهـى اليقيـنُ يَبُضُّ[6] بالأحـلامِ
وهى النفوسُ خَيالُها فى رَوْعةٍ أخَّــاذَةٍ مَسحــورةِ الإلْهـــامِ
مَشْدُوهَـةً ماإنْ تَفيـقُ وحولَهـا زُمَــرٌ[7] من الأشبــاحِ والإِلهامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَاعِرَةً[8] الحَشَا فى غمزةٍ تَطْغَىٰ وفيضٍ طامِ[9]
هى هذه الذكرىٰ وذاكَ جَلالُها تَحْنِـى لِرَوْعتِهـا أعــزَّ الهامِ[10]

* * *

أمْضَتْ ثلاثاً كالقرونِ طويلةً سُودَ المفارقِ جُلِّلَتْ بِقَتَامِ[11]
عَصَفَتْ بمصرَ الحادثاتُ كأنّها كانتْ مُهيَّــأةً على الأقــدامِ
ومَشَتْ بها هُوجُ الرِّياحِ جريئةً تَجْرى لغـايتِها بغيــرِ زِمــامِ
وعَلَتْ رؤوسٌ كنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ من عِيرٍ[12] بكلِ مَقَـامِ

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٣٠ .
(٢) يحفها : يحيط بها .
(٣) فتجل : تعظم .
(٤) ترنو : تديم النظر : تتأمل .
(٥) بطرف دام : طرْفٍ : نَظَرٍ ، دامٍ : من الدم والمراد : نظرة أسى وحزن .
(٦) يَبُضُّ : تمتلىء ، من بَضَّ البدن يبُضُّ : امتلأ ونضر .
(٧) زُمر : جماعات .
(٨) شاعرة : مشتعلة والمراد ثائرة الأفئدة .
(٩) طام : زائد (من الزيادة الشديدة) .
(١٠) الهام : الرؤوس ومفردها هامة .
(١١) قتام : غُبار أسود .
(١٢) عِير : حمار .

هم قَد دَعَىٰ دَاعِي الغرورِ فأسرعُوا ... وهم ارتضَوْا من دَهْرِهم بِحُطَامِ
ودَعَاهُم الوطنُ الكريمُ فأعْرَضُوا ... وتَسلّلوا للخَصْمِ غيرَ كِرَامِ
هدمُوا من الدستورِ ركناً قائماً ... وتعلّلوا بالزُّورِ والأَوْهَامِ
وتَصيَّدُوا للشعبِ كلَّ مَسبَّةٍ ... كيدَ العدوِّ وطعنةَ الأَخْصَامِ
لولا جلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ ... آثامِهم مُستَبْشَعَ الآثَامِ !

يا سعدُ والذكرى تُثِيرُ شجوننَا ... وتَهدُّنَا بالعزمِ والإِقْدامِ
وتُطِلُّ رُوحُكَ فى جلالٍ صامتٍ ... يُزْرِى [١٣] بكلِّ إشارةٍ وكلامِ
يا سعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشَاشَةَ ... مِنْهَا تقومُ بواجبِ الإِكْرامِ
وتَزُفُّ أنفاسَ النَّسيمِ رقيقَةً ... تَسْرِى مزودةً بكُلِّ سَلامِ
يا سعدُ شخصُكَ فى القلوبِ مُجَسَّمٌ ... فى كلّ تِمثالٍ هناك مُقامِ !
إنّ الذى يحيى مَشَاعَر أُمَّةٍ ... تحييه بالأَرْواحِ لا الأَجْسامِ

* * *

ياأيُّها الثَّاوِى وفى تذكارِهِ ... وَحْى الخلودِ وآيةُ الإِلْهَامِ
اليوم تُذْكَرُ والجَلالُ مُخيِّمٌ ... والصمتُ يبعث شَاجِىَ الأنغامِ
وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغَيَّبٌ ... عنا وذكرُكَ فى المشاعرِ نَامِ
إنَّا فَقَدْنَا بافتقادِكِ طلعةً ... وبَقِيتَ ذكرىٰ خُلِّدَتْ بِدَوامِ
فى كلِّ نَفْسٍ من سَنَاكَ بَقِيةٌ ... وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هَامِ [١٤]
هذا هُو الشعبُ الذى خَلّفتَه ... وسطَ الطريقِ مُيمماً لِأَمامِ
هو لا يزالُ مُجاهِداً كعهودِهِ ... هو لا يزالُ مُؤيِّدَ الأَعْلامِ
أمَّا الأُلىٰ نَكَثُوا العهودَ فما رَعَوا ... إلاًّ ولم يَسْتَمْسِكُوا بِذِمامِ
فهم البُغَاثُ [١٥] جَليلُهم وحقيرُهُم ... وهُم الذِّئابُ تَفَجُّعٌ فى الإجرامِ
يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ ... أنتَ الخبيرُ بهذه الأَقْزَامِ !
حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفىٰ ... يقفُو [١٦] خُطاكَ فكانَ أَخْلصَ حَامِ
قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما ... تبقىٰ الليوثُ عن العرينِ تُحامِى

(١٣) يزرى : يحقّر .
(١٤) هام : غزير .
(١٥) البغاث : ضعاف الطير ويقال لكل ضعيف .
(١٦) يقفو خطاك : يتبع خطاك .

البطل (1)

فى مثل هذه الغمرات القاسية ، التى تعانيها الأمة المصرية الآن ، يمر كثير من الحوادث الجِسَامِ دون أن يثير انتباها ، لأن الأمة فى شغل عنه بما هى فيه ؛ فى شغل بالنكبةِ العامةِ عن النكبات الجزئية .

من ذلك وفاة السيد « العبيد » رئيس جمعية اللواء الأبيض فى السودان ؛ ذلك الشاب الجرىء الذى ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصرى من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صِلة شطرى الوطن المفدى ، ووحدته المقدسة ؛ فى جُرْأةٍ عجيبة ؛ ورجولة كاملة ؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهِقٍ شديد ، ولا بتنكيلٍ وحشى قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيد وهو « سياسى » فى سجن رطب فى بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات ، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب ، وتحوم حواليها الحشرات القتالة . ثم لم يكتف الاستعمار بذلك « الاستعمار الذى يمثل المدنية !!! » بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه فى قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات فى سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية ، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه ، ولم يخضع للإذلال .

هذا هو « العبيد » الذى يموت دون أن يشعّر بموته فى مصر أحد . والشباب المصرى ، الشباب التافه الناعم ، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضعية ، الشباب الذى فقد رجولته ومميزاته ؛ ونسى ماضيه ووقفاته هذا الشباب فى شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه ، بل عن الانتباه لكل أمر ذى بال فى الحياة !

---

(1) نشرت فى ١٩٣١ .

وهذه القصيدة نفثةٌ من شابٍ يقضى بها حق الشباب وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله ؛ فإذا كان بالشبان الآخرين حياة تعمل شيئا للذكرى كان بها ، وإلّا فحسبى هذه النفثةُ الحرىٰ .

سَجِّلى ياأرضُ وارْعَــىْ ياسماءْ
مَصْرَعَ الجبارِ بيـنَ العُظُمـاءْ
مَصْرَعُ الجَشَّامِ(٢) ما إن يَنْثَنِى
أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوىٰ السماءْ
يقـفُ الهولُ لديـه خَاشِعـاً
وهو يَلْقَىٰ الهولَ بَسَّام الرِّضَاءْ (٣)

نالَ منه الموتُ ما لَمْ يستطعْ
نَيْلَه الغُصَّابُ فى سَبْعٍ ولِاءْ
عَذَّبُـــوه ونَفَـــوه ومَضَوا
فى فنونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَاءْ !
أرسلُوه حيثُ وادِى الموتِ إذْ
لا يَرىٰ الأحياءُ أطيافَ الرَّجَاءْ
فى مَبــاءاتِ (٤) تُدوِّى بَيْنَهــا
جَلْجَلاتُ الموتِ فى هَوْلِ الوبَاءْ
تَصْفُــرُ الرِّيــحُ بها مُعْوِلــةً
تنـذرُ الأحيــاءَ فيها بالفنــاءْ
وأرادُوا والمَنَايــا حَوْلَــــه
أن يُذِلُّوا فيه تلك الكِبْرِيَـاءْ

---

(٢) الجَشَّام : الذى تحَمَّلَ التبعات الثِقَال ، من جَشِمَ يَجْشَمُ : ثَقُلَ يَثْقُلُ : أو تكلَّفَ الأمرَ على مشقةٍ
(٣) الرِّضاء : الرضا : تقبل واختيار الأمر .
(٤) مباءات : أماكن الوباء من وَبِئَتْ الأرضُ : كثر فيها الوباء أى كل مرض فاشٍ عامٍ .

فمضَىٰ يَأْنَـفُ فى سُخْرِيـةٍ
عيشَ ذُلٍّ هُو والموتُ سَواءْ
لم يقلْها : لَفْظَةٌ ، لو قالَها
لَقِى النَّعْماءَ مِنهم والـوَلَاءْ

ليتَ أهلَ الأرضِ يدرونَ بما
صنعَ الغُصَّابُ بالنفسِ البَراءْ
أتُـرىٰ أنْعَتُهـا وَحْشيـةً
فى ظلامِ الكهفِ لَمْ تدرِ الضِّياءْ ؟
أظْلِـمُ الـوحشَ إذا شَبَّهتُـه
بوحوشِ الغَربِ تمتصُّ الدِّمَاءْ !
يَفْتِكُ الوحشُ لِيحيَـا بينما
يَفْتِكُ الغربىُّ حُبًّا فى الثَّرَاءْ !
يا شبابَ الشرقِ هذا موقفٌ
تَقْشعِرُّ الأرضُ منه والسماءْ
ودمُ المختارِ ما زالَ نديًّـ
ـا يستحثُّ الخَانِعينَ الضُّعفَاءْ (٥)
وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ الـ
ـيومِ يدعُو مَنْ يجيبونَ الدُّعَاءْ

يا شبابَ الشرقِ والشرقُ إذا
لم تكونُوا جُنْدَه ضَاعَ هَبَاءْ
لا يردُّ الحقَّ قولٌ فَارِغٌ
تَذْهَبُ الرِّيحُ به عَصْفَ الهواءْ (٦)

---

(٥) هو الشهيد البطل عمر المختار الزعيم الطرابلسى وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل ، مخالفين فى ذلك كل تقاليد المدنية .

(٦) عصف الهواء : شديد الهواء .

إنَّما يُجْدِى جِهَادٌ عَارِمٌ
وخِصَامٌ ونِضَالٌ وعَنَاءْ
إنما يُجْدِى إذا نَبْعَثُها
كهزيم (٧) الرعدِ تَدوِى فى الفَضَاءْ
إنما يُجْدِى إذا ما أيْقَنُوا
أننا كالغَربِ قومٌ أقْوِياءْ

* * *

يا شبابَ النيلِ ماذَا ؟ وَيْحَكُم !
أفأنتم حيثُ يُحييكُم دُعَاءْ ؟
يا شباباً نَاعماً مُسْتَأْنِثاً !
كَذواتِ الخِدرِ (٨) فى ظِلِّ الخِبَاءْ !
يا شباباً تافهاً مُحْتَقَراً
تأنفُ الأجيالُ منه فى ازدرَاءْ (٩)
يا شباباً هَمُّه لَذّاتُه
فهو يَحيا بينَ كأسٍ وخَنَاءْ (١٠)
يا شباباً قَصُرَتْ آمالُه
كخَشَاشِ (١١) الأرضِ مَرمَاه الغِذَاءْ
يا شباباً نُكِبَ النيلُ به
فى الأَمانِى والتَّعلَّاتِ الوِضَاءْ
يا شبابَ النيلِ هَلْ أبصَرْتُمو
فى فَتى السودانِ كيفَ الشُّهداءْ ؟
عُمْرُ الإيمانِ بالحقِ له
مهجةٌ حَرّىٰ فجادتْ بالفِداءْ

---

(٧) هزيم : صوت

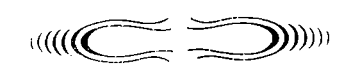
(٨) ذوات الخدر : الفتيات الأبكار اللآتى يلازمن خدرهن .

(٩) يسر الشاعر أن يسجل الآن نهضة الشباب ومساهمته فى المشروعات الوطنية لمشروع القرش وسواه .

(١٠) خناء : المراد فساد .

(١١) خشاش : حشرات الأرض .

يا شبابَ النيلِ هذا مَثَلٌ
لجلالِ الموتِ فى ظِلِّ الإبَاءْ
ما يقولُ الشِّعرُ فى هذَا ومَا
حِيلةُ الشِّعر ؟ وما طَوْقُ الرثاء ؟
موقفٌ جَلَّ عن الشعرِ فَهَلْ
يُكْمِلُ التاريخُ بَدْءَ الشُّعَراءْ ؟



ذكرى سعد (1)

خَمْسٌ مَضَيْنَ تَجُنُّكَ (2) الأستارُ
فيها . وقبرُك كعبةٌ ومَنَارُ
فى كلِّ مطَّلعٍ وكلِّ ثنيةٍ
ذكرىٰ تَزاحَمُ حولَها الأفْكَارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها
مجدٌ تَقَاصَرَ دونَه الأنظارُ
تتصرَّمُ (3) الأيامُ وهو مُوطَّدٌ
يعنُو (4) الخصومُ لديه والأنصارُ
وكأنّه عَلَم (5) يُنيفَ على الورَىٰ
ترنُو إليه وتَخْشَعُ الأقدارُ
وتَضاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى
فى ظلِّه الأقزامُ والجبارُ !

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من
سعدٍ ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ ؟
هل كانَ إلّا فى العظائمِ مَوْئِلاً
فى يومٍ تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ

---

(1) نشرت فى ١٩٣٢ .

(2) تجنُّك : تخفيك .

(3) تتصرم : تمرّ.

(4) يعنو : يخضع .

(5) ينيف : من أناف : علا وارتفع .

تَدْوِى حَواليه الخطوبُ وتَنْثَنِى
كأشَمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ
غمراتُـــه وتَـــرَاخَتْ الأخْطَـــارُ
أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ
راضٍ أشَمَّ كأنّــه المِقْـــدَارُ
رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها
وصروفِهـــا ، وتَحُفُّهـــا الأسرارُ
رُوح البطولـةِ والبُطولـةُ طَلْسَمٌ
كالسحر تَدْهَشُ عِنْدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَها
لما دَعَا سعدُ الجموعَ فَثاروُا ؟
ماذا أبـركانٌ تَفَجَّـرَ أم تُرى
موجٌ أشَمُّ أحمُّ ؟ أمْ تَيـارُ
سِحر البطولةِ أو شُواظُ لَهيبها
يُذْكِى النفـوسَ فكلُّهـا مِغْـوارُ
ذكـرىٰ تُقدِّسُهـا البـلادُ كريمةً
وتصوُن رَوْعـةَ مَجْدِهـا وتَغَـارُ
هى بعضُ تاريخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ
تاريـخَ فردٍ يَنْطـوِى ويُثَـــارُ !
ذكرى يَحِفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِى
بإزائهــــا الأحقــــادُ والأوْزَارُ
ذكـرىٰ تُطِـلُّ كأنَها قُدْسِيّـةٌ
فالكـلُّ تَحتَ ظلالِهـا أبـرارُ
فَلْتَعُنْ (٦) للذكرىٰ الجباهُ وتَنْحَنِ الـ
ـهامـــاتُ ولتتـــخَشَّعُ الأبصارُ

---

(٦) فَلْتَعُنْ : فلتخضع .

طليعة الضحايا(1)

« سَجِّلى يا أرضُ وارعَىْ يا سماءْ (2)

مَصرَع النَّسْرينِ فى جوفِ الفَضاءْ (3)

سَجِّلِيــه بمدادِ الفخــرِ لا

بلْ بفيضٍ من دِمَاءِ الشُّهداءْ

مَصْرعُ الآسادِ فى آجَامِهــا(4)

لا كما تَلْقَى مَنَايَاها الظِّبَاءْ !

سَجِّــلِيها رَوعــةً قد مُزِجَتْ

من أسَىٰ الحزنِ ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ

وضَحَايــا المجدِ فى مَذْبَحِــه

يلتقى اليـاسُ عليها والرَّجـاءْ !

وهـى القُرْبـانُ (5) يَفْـدِى أُمــةً

إيـه ما أكرمَـه هذَا الفِـدَاءْ

* * *

دَوْمــاً والريــحُ فى مُعْتَــرَكٍ

صَاخِبِ الأنواءِ ، مَشئُومِ العُواءْ

وظَــلامٌ فى ظَلامٍ مُبْهَــمٍ

يَخْشَعُ الهولُ لديــه والفَنَــاءْ

---

(1) نشرت فى ١٩٣٣ .

(2) هذا البيت للمؤلف فى قصيدة سابقة .

(3) هما المرحومان حجاج ودوس شهيدا الطيران .

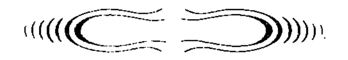
(4) آجامها : مفردها ، أجَمَةٌ : الشجر الكثير الملتف .

(5) القربان : مايقدم فداء لشىء آخر .

طَامِسُ الآثارِ مجهـــــولُ الخُطَـــــا
لا دليــلَ ، لا شُعَـــاعَ ؛ لا ضِيـــاءْ
وهما فى جَوْفِــــــه تَحْدُوهُمـــــــا
هِمَّـــةٌ قَعْسَاءُ(٦) تَأبَـــى الانْـــزِوَاءْ
يَلْطُمـــانِ الريـــحَ إِمّـــا لَطَمَـــتْ
ويَروغـــــانِ كأطيـــافِ الهَـــواءْ
أُشْرِبَتْ نَفْسَاهُمـــــا حُبُّ العـــلا
وأرَادَاهـــــا حيـــاةً فى السمــــاءْ
قد أرادَا ؛ وأرادَ اللهُ ما
كانَ ؛ سُبحــــــانَك تُمْضِى ما تَشَاءْ

* * *

إيــــــهِ يا مِصْرُ عزاءً إنّمـــــــا
أنتِ أولَـــى بالتحيـــاتِ الوِضَـــاءْ
قد بذلتِ اليــــومَ ما تَبْذُلُـــــه
أمـــــةٌ شَاءتْ حيـــاةَ النُّبَـــلاءْ
أمـــــةٌ قَدْ أعلـــــنتْ قِسْمتَهـــا
من صميـــمِ المجدِ بيـــنَ القُسَمَـــاءْ !
ودمٌ يُهــــــراقُ فى تَضحيــــــةٍ
سوفَ يَسْرِى نَخوةً (٧) بيـــنَ الدِّمَـــاءْ



---

(٦) قعساء : قوية ثابتة .

(٧) نخوة : فخر وعظمة .

موت سوسو(1)

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدى وهذه مرثيته ، أو مرثية الشعلة الخابية فيه :

لقد هَمَدَتْ فى الضُّلوعِ الحياةُ ... فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لألاؤُها فى العيونِ ... فما تَرْمُقُ (2) الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأْمَةٌ (3) فى حَشَاه ... فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ (4)
فَيَا قُرْبَها لَحْظَةٌ فى الزَّمانِ ... ويَا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عَالمٍ صَاخِبٍ ... إلى عَالمٍ صمتُه مُطْبِقُ (5)

* * *

تُقيم الحياةَ هُنا مَأْتماً ... وما إنْ تَنِى (6) جَزَعاً تَفْرَقُ (7)
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ ... بأبنائِها الكلِّ لا تَفْرُقُ (8)
فجيعتُها فى صِغارِ الفراشِ ... كموتِ الفتىٰ حَادِثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ فى كُنْهِه واحدٌ ... ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَد انْدَحَرَتْ فى صِراعِ الرَّدَىٰ ... فحقَّ لَها كلُّ مَا تَحْنَقُ ! (9)

وتَرْجُفُ فى كلِّ حَيٍّ إذَا ... أصَابَ سِواه الرَّدَىٰ المُزْهِقُ
أشِعَّتُها فى جميعِ النفوسِ ... يُرقْرِقُها (10) مَصْدرٌ يَأْلَقُ (11)

(1) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٨ .

(2) ترمق : ينظر فى مراقبة .

(3) نأمة : الصوت الضعيف .

(4) يمرق : يمرُّ سريعا .

(5) مطبق : تام .

(6) تنى : تضعف .

(7) تَفرَق : تجزع وتخاف .

(8) تفرُق : تفصل .

(9) تحنق : تغضب .

(10) يرقرقها : يحركها .

(11) يألق : يلمعُ .

فإن مَسَّه ما يَغُضُّ الضيـــــــــــــاءَ	تَذَبْــذَبَ لَألاؤُهـــا المُشْــرِقُ (١٢)

فيــا دَمْعَــةً رَقْــرَقَتْ فى العيـــــون	لأنتِ الحيـــاةُ هَمَتْ (١٣) تَدْفُــــقُ

يَعِـــزُّ على النـــفسِ فَقْـــدُ الحيــــاةِ	فَتَجْـــزَعُ للمـــوتِ إِذْ يَطْـــرُقُ (١٤)



(١٢) الحياة وحدة فى جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسَّه ما يغض من طاقته تذبذب جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته .

(١٣) هَمَتْ : نزلت بغزارة .

(١٤) يطرق : يأتى .

الزَّادُ الأَخِير[1]

زَوِّدِينِى مِنَ الرَّجاءِ الأَصِيلِ مُشْرِقاً فيكِ فى المُحَيَّا الجميلِ
أنْتِ كَنْزٌ من الطَّلاَقَةِ والبِشْرِ ودُنْيا من السَّنَا المَعْسُولِ
خِفَّةُ الطَّيْرِ وانطلاقُ الأمانِى بعضُ مَافيكِ وانطلاقُ السُّيولِ
وَهَجٌ[2] يُبْهِرُ النُفُوسَ ويُزْكِى خَفَقَاتِ القُلوبِ عِندَ المُثُولِ
ذَخَرَتْكِ الحياةُ كَنْزَ حَيَاةٍ ورَصيداً لِمَالِهَا المبْذُولِ !

* * *

زَوِّدِينى لَكَادَ يَنْفَدُ زَادِى فى صِرَاعٍ مِنَ الحياةِ طَويلِ
كادَ يَخْبُو المِصْبَاحُ إلّا بَصيصا فاسْكُبِى الزيتَ فى بَقَايا الفَتِيلِ
كُنْتِ كالجَذْوَةِ المُشِعَّةِ نُوراً وهى اليومَ فى طَرِيقِ الأُفُولِ
فِيكِ زَادٌ يَقُوتُنَا ويَقِينَا عَثَرَاتِ الطريقِ بينَ التُّلُولِ
أنْتِ لاغيرُكِ القَدِيرةُ أنْ تُرْ كِى حَياةً بِخَاطِرِى ومُيولِى

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْرُ نَفْسِى بِرَجَاءِ مُشَعْشَعٍ مَوْصُولِ
وأَرَى عِبْئِى الثقيلَ خَفِيفاً وأُرَى نَاهِضاً بِعِبْئِى الثَّقِيلِ
وكَأَنِّى إستَشْعَرْتُ رُوحَ شَبابِى وَرَجَّعْتُ الزَّمَانَ صَعْبَ القُفُولِ[3]
فَأَعيدِى إِلَىَّ مَاضِىَ عُمْرِى واغْمُرِيهِ بالبِشْرِ والتَّأْمِيلِ
واطْلُعِى فى قِفَارِ نَفْسِى حياةً وإِذَا مَادَجَى[4] عَالَمى أَوْمِضِى لِى[5]

---

(١) نشرت فى يوليو ١٩٤١ .

(٢) وهج : توقد .

(٣) القفول : العودة مرة ثانية .

(٤) دجى : أظلم .

(٥) أومضى لى : أضيئى لى الحياة .

نُوسَةُ
أو
شَطْرٌ مِنَ العُمْر (١)

نوسه قطة صحبتنى اثنى عشر عاما ، تحتل مكان الطفل الحبيب ، وتشغل فراغه من نفسى وزمنى ، وتمنحنى من الود والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة ثم ماتت بين يدى...

أغْمِضِى عينيك قد آنَ الأوانُ ... ودَعِينِى نهبةً للشجَنِ
وَأمِّنِى دُنياكِ فى آتِى الزمانِ ... ودَعِينِى لُعْبَةً للزَّمَنِ !

هذه كَفِّى وقد مرَّتْ عليكِ ... فى حَنَانٍ وارتياعٍ (٢) وولُوعِ
لم تَحُسِّيها ولم يَنْبِضْ لديكِ ... قلبىَ النابضُ من بينِ الضُلوعِ

هذه الكفُّ التى كَمْ دَلَّلَتْكِ ... وسَّدَتْكِ (٣)اليومَ أطباقَ الثَّرىٰ
أىُّ حاليْها تُرى أحنَى عليكِ ؟ ... ليتنِى أدْرِى . ومن فينا دَرَىٰ ؟

ذلك الصَّوتُ الذى تَرْتَقِبِينَ ... قَدْ دَعَاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجَابْ
قد دعاكِ . إنّما لا تَسْمَعِينَ ... أُسْدِلَ السِّتْرُ وقد عَىَّ (٤) الجوابْ

أنَا يا « نُوسةُ » والعهدُ قريبٌ ... مُوحِشُ النفسِ شَجِىٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ ... قد خَلا فى ذلكَ القلبِ الغريبِ

* * *

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٤٢ .
(٢) ارتياع : جزع
(٣) وسدتك : جعلت تحت رأسك الثرى
(٤) عَىَّ : عجز

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الـذى قد عِشْتِ فيـــه من حَياتِـــى مَوْضِعـــاً للحَـــدَبِ [٥]
مَا مَضَىٰ من دونِـــه أو مَايَليـــه غربـــةٌ تَقْسُو على مُغْتَـــــرِبِ

* * *

إننى أبْكِيكِ ياظلَّ الشبابِ إننى أبكيكِ ياطيفَ البنين
رُفْقَةٌ طالتْ على خيرِ اصطحابٍ لَكِ عَطْفِى ولىَ الودُّ المكينْ [٦]

* * *

لم يكـن ودَّ بُطُونٍ وطعامٍ إنما وُدُّ اصطحـابٍ ووَفَـاءِ
طَالَما آثَرْتِ إنْ غِبْتُ الصيامَ أو تَلُوذِيـنَ [٧] بِصَمْتٍ وانْـزِوَاءِ

* * *

فإذَا عُدتُ فَوَثْبٌ ومُـــواءٌ نَاطِقٌ بالشوقِ أو بالفـــرحِ
وألَاعِـيبٌ وخَـمْشٌ والْتِـواءٌ وتَثَـنٍّ نَاطِـقٌ بالمَـــرَحِ

* * *

طَالَمـا نَادَيْتِنِـى عَذْبَ النِّـداءِ فى وَدَاعٍ حينَ أمْضِى أو لِقَاءْ
فى صباحٍ حينَ أصْحو أو مَسَاءِ بِوُثُـوقٍ واعتـــدادٍ وذَكَاءْ !

* * *

طَالَما أحْسَسْتُ أنِّى لكِ وَحْدَكِ لاتطيقينَ شَرِيكـاً أو شَبِيهاً
طالما وَطأْتِ فى حِجْرِى مَهْدَكِ فَعْلَةَ الطفلةِ فى حُضْنِ أبِيهَا

* * *

كنتِ لى كلّكِ فى هذِى الحياةِ أينَ مَنْ ألقَاه فيها لىَ كُلُّهُ ؟
كُلُّ مَنْ ألْقَى له فيها هَوَاهُ ولــه آمَالُـهُ فيها وشُغْلُـهُ !

* * *

قد خَلا حُضْنِى وكَفِّى وذِرَاعِى قد خَلا قَلْبِى مِنْ هَذا المَتَاعِ
مُنْذُ دَعا الموتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ مَنْ دعَـاه لم يُعقِّبْ لِوَدَاعِ

* * *

أنَا يا « نُوسةُ » أمْضِى والليالى وخَـواءُ [٨] الموتِ يَغْشَىٰ عَالَمِـى

---

(٥) الحدب : العطف والحنان
(٦) المكين : القوى
(٧) تلوذين : تلجئين
(٨) خواء : فراغ

رَسْمُكِ الشَّاخِصُ يبلُو كالخيالِ   أو كَحُلْمٍ فى ضميرِ الحَالِمِ

* * *

وخَيـالاتُك فى كلِّ مَكـانٍ   شَاخِصَاتٍ تَتَـراءَىٰ للعَيـانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ على خَطْوِ الزمانِ   هَاهُنا كنتِ وقَدْ كَانَ وكَانْ

* * *

هذه أنْتِ إلى حُضْنِى أوِيْتِ   هذه أنتِ أمامِى قَد رَبَضْتِ[٩]
هذه أنتِ على صَدْرِى وَثَبْتِ   لهفَ نفسى ! أينَ أنتِ أينَ أنتِ ؟

* * *

هاهُـو الصبحُ فأيـنَ الوَثَبَـاتُ   هذه كَفِّى فأينَ اللّـمسَاتْ ؟
هاهو الأكلُ فأينَ الهَمْهمَاتُ ؟   أينَ أينَ ؟ كلُّ ماقد كَانَ فَاتْ !

* * *

أينَ قِطّاتُكِ فى الحِرْزِ الأمينِ   مَنْ دَنَـا مِنْهـا عليـه تَثِبيـنْ
غير أنِّى لِىَ وَحْدِى تأمنينَ   وإذَا مُسّتْ فَبِى تَستَنْجِدين ؟

* * *

سَكَتَ الصوتُ وقد كَان غِنَاءً !   سَكَتَ الوَثْبُ وقَدْ كَانَ مَضَاءْ[١٠]
وامتلاءُ البيتِ قد أمْسَى خَواءَ   كلُّ مَنْ فيه قد اسْتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هاهُنا كنتِ ؟ أمَا هذا ضَلالٌ ؟   وتهاويـلُ خمَّـارٍ[١١] أو خَبَـالْ ؟
لم يكنْ شَىءٌ ولم يَطْرَأْ زوالٌ   كلُّ مَاكَانَ خيالٌ فى خيالْ !

* * *

ضَلَّـةٌ للنـاسِ فى آمالِهـا   والمَنَايا رَابِضَاتٌ بالوَصِيـدِ[١٢]
زُمَـر[١٣] تمضِى إلى آجَالِهـا   والذى يَحيا يُرَجَّى فى الخلودِ !

---

(٩) ربضت : جلست

(١٠) مضاء : قوى

(١١) خمار : سكران ، خبال : عته أو لوثة عقلية

(١٢) بالوصيد : خفاء الدار

(١٣) زمر : جماعات

صَدَىٰ الفَاجِعة[1]

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم . ثم هأنذا أعانى من الفجيعة فيه كأنها فجيعتى الخاصة ... فياويحَ لأولئك الذين عاشروه ، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون ... ؟ .

جَفّ الرِّثَاءُ بخاطِرِى المَفْجُوعِ وصَمَتُّ لا أُفضى بغيرِ دُمُوعِى
إنى ذُهلتُ عَنِ المُصابِ بوقعِه حِيناً ، ذُهُولَ الوَاهِمِ المَخْدُوعِ
فَظَللتُ أُنْصِتُ للرجاء ، وأتَّقى صوتَ اليقينِ الفَاجِعِ المَسْمُوعِ
أيَمُوتُ ؟ كَلاَّ ! لايموتُ وهذه مِصْرُ تُرجِّى نَجْمَه لِسطُوعِ
أيموتُ والأحداث تَهْتِفُ باسمِه أتكونُ تلكَ هُتَافَةَ التوديعِ ؟
قُلْ أيُّها النَّاعِى سِواه ؟ فما أرىٰ أنّى ـــ وإنْ جَاهَدْتَنِى ـــ بِسميعِ !

* * *

واويلتَـــاه ! أإنَّهـــا الحقيقــــةُ جلّتْ عن الإيجافِ[2] والترويعِ ؟
صمتَ الذى قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجَّةً وتَحــدَّثَتْ طعناتُـــه بنَجيــعِ[3]
مُتَفَجِّــراتٍ بالدِّمـــاءِ كأنَّهـــا كلماتُـــــه فى قوةٍ ونُصوعِ[4]
كلماتُه اللائِى نَبضْنَ بِقَلْبِه ودِمَـــاؤُه من ذلكَ اليَنْبُــوعِ

* * *

ياواهِبَ الـوادِى مَرِيـعَ[5] حَياتِه مابالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَرِيعِ ؟

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٤٥ .

(٢) الإيجاف : من أوجف الشيءَ : حرّكه ، وجف القلب : خَفَق ، قال تعالى ﴿ قلوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ والمراد : خفقان القلب واضطرابه .

(٣) نجيع : دَمُ الجوفِ ، يقال : « طَعْنَةٌ تَمُجُ النَجِيعَ » أى طعنة تجعل دم الجوف ينزف .

(٤) نصوع : وضوح .

(٥) مريع : خِصْب

يامانعَ[٦] الوادِى العزيزِ بنَفْسِه   مابالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنِيع ؟
خَطَفَتْكَ عَادِيةُ المَنُونِ وخَلَّفتْ   وَطَناً يُعَالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوع
لَخَلا مَكانُك ليس يَمْلأُ رَحْبَه   إلا الأسىٰ وتفجُّعُ المَفْجُوع
لَخَلا مَكانُكَ والبلادُ تَهيَّأتْ   تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسِيع
وتَلَفَّتَتْ تُصْغِى لِصَوْتِكَ هَادِياً   فى المُدْلَهِمِّ[٧] ورأيكِ المَسْمُوع
فَصَمَتَّ ــ ياللهولِ ــ صَمْتَةَ وَاجِمٍ[٨]   ماضٍ لغيــرِ تأوُّبٍ ورُجُــوع
وَاهــاً لِمَصْرَ ويافجيعــةَ أَهْلِهــا   فى الرائــدِ المتفــرِّدِ المَتْبُــوع !



(٦) يامانع الوادى : يامن تمدُّ الوادى بالقوة وحاميه ، منبع : قوى محض .
(٧) المدلهِمّ : المظلم والمراد وقت الشدة   (٨) واجم : الساكت فى حزن

الوطنيــات

تبغُــونَ الاســتقلالَ ؟ تلك طريقُــهْ

ولقـــد أخَـذْتُمْ بالطــريق فَيمِّمُــوا

وهو الجهـــادُ حَميَّـــةٌ جَشّـــامَةٌ

ما إن تخافُ من الرَّدى أو تَحْجُمُ

سيد قطب

إلى البلادِ الشقيقة (1)

عَهدٌ على الأيامِ ألا تُهزَمُوا
فالنصرُ يَنْبُتُ حيثُ يُهراقُ (2) الدَّمُ

فى حيثُ تَعتَبِطُ (3) الدِّمَاء فأيقِنُوا
أن سوف تَحيوَا بالدماءِ وتَعْظُمُوا

تبغُونَ الاستقلالَ ؟ تلك طريقُهُ !
ولقد أَخَذْتُم بالطريقِ فيمِّمُوا

وهو الجهادُ حَمِيةٌ جشّامة
ما إن تخافُ من الرَّدىٰ أو تَحْجُمُ

إن الخلودَ لِمن يَطِيقُ مُيَسَّرٌ
فليمضِ طلابُ الخلودِ ويُقْدِمُوا

وطنٌ يُقَسَّمُ للدخيلِ هديةً
فعلامَ يَحْجُمُ بعد هذا مُحْجِمُ ؟

الشرقُ يا لَلشَّرقِ تلك دِمَاؤُه
والغربُ يا لَلغرب يُضْرِيه (4) الدَّمُ

الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا
حرماتِه الكُبْرى وكيفَ تَهجَّمُوا

(1) نشرت فى ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية .

(2) يهراق : من هَرَق : صبَّه ، والمراد : تُسْفَك الدماء .

(3) تعتبط : من عبطه الموت أى مات شاباً صحيحا والمراد : دماء تسيل فى سبيل الوطن دون إكراه بل برضا ومنها : عبط فلان نفسه : رمى بها غير مكره .

(4) يضريه : من الضرر .

نَةُ الكَرىٰ فتوهَّمُوا !

يا للذكاءِ ! فكيفَ قد غَرَّتْهُمُو ؟

والنيامُ تيقظُوا

فليعلمُوا مَنْ نحنُ أو لا يَعْلَمُوا !

اليومَ فَلْيَلِغُوا (٥) الدّماءَ وفى غدٍ

فَلينْدَمُوا عَنها ولاتَ (٦) المَنْدَمُ

* * *

أبطالَ الاستقلالِ تلك تحيةٌ

مِنْ مصرَ يبعثُها فؤادٌ مُفْعَمُ

إخوانُنا فى الحالِ والعُقْبى معاً

إخوانُنا فيما يَلَذُّ ويُؤْلِمُ

مِصرُ الفتاة وما تَزالُ فَتيةً

تهفُو إليكُم بالقلوبِ وتَعْظُمُ

فى كلِّ مُطّلعٍ وكُلِّ ثَنيةٍ

نارٌ من الشرقِ الفتىِّ ستُضْرَمُ (٧)



(٥) فليلغوا : من لَغِىَ بالماء والشراب : أكثر منه وهو مع ذلك لا يَرْوَىٰ .

(٦) لات الندم : ليست الساعة ساعة ندم (٧) ستضرم : ستشتعل .

مأساة البدارى (1)

ليس فى مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التى مثلها مأمور البدارى المقتول مع أهالى البدارى عامة ؛ وسجين البدارى خاصة ، وذلك الموقف العجيب الذى وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد ، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها

ما ذلك ، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ ؟(2)
ويَسيل مِنْ حَنَقٍ حَواليه الدَّمُ ؟
ومن الذى سَام النفوسَ مَهانةً
يَأْبَى ويَأْنَفُها الذلولُ الأَعْجَمُ ؟ (3)
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً
ويُهانُ مِنها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكَرامَةٌ يَشْتَطُّ (4) فى تحقيرِها
نَذْلٌ حقيرُ القلبِ لا يَتَأَثَّمُ (5)
فى أيِّما بلدٍ نعيشُ ؟ وأيما
عهدٍ يَمرُّ على الكِنَانِة مُظْلِمُ ؟ (6)
عهدٌ نُسَامُ (7) الخَسْفَ فيه ونُبْتَلَى
نِقَمًا إذا قُمْنَا نَضِجُّ ونَنْقِمُ

---

(1) نشرت فى ١٩٣٢

(2) يثلم : المراد ، يجرح ويهان

(3) الذلول الأعجم : المراد الحيوان

(4) يشتط : يبالغ فى وقاحة

(5) لايتأثم : لايعبأ بارتكابه للآثام

(6) نعت مقطوع مرفوع فى موضع الذم

(7) نسام الخسف : نذوق الظلم والوحشية .

وَحْشِيَّةٌ كَشَفَ الزَّمَانُ حِجَابَها
لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلَمُ
الوحشُ يَفْتِكُ جَائِعاً ويَعِفُّ عن
فَتَكَاتِه إذ مَا يَعِبُّ (٨) ويَطْعَمُ

* * *

يأيُّهـا الرُّفَقَـاءُ بالحيـوانِ لا
تَنْسَوا أناسيًّـا تَئِـنُّ وتَأْلَـمُ
فى مِصرَ قد تَلْقَى الكلابُ رِعايةً
بينَا يُحَقَّـرُ شَعْبُهـا ويُحَطَّمُ !
فى مِصرَ لا يَلْقَى المسىءُ جَزَاءَه
لا بلْ يُكَافَأُ دونَـه ويُكَـرَّمُ
فى مِصر ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من
فُحْشٍ يَعِجُّ (٩) بِها وفُحْشٍ يُكْتَمُ
فى مِصرَ ! لو فى مِصْر بعضُ كرامةٍ
غَضِبَتْ وفارَ على جوانِبها الدَّمُ !

* * *

ماذَا يَعِزُّ على الهوانِ نَصونُه ؟
لم يبقَ من حُرماتِنا ما نُكْرِمُ !
الموتُ ! يا لَلموتِ ! أشرفُ شِرْعةٍ
مما نُسامُ به ومِمـا نُوسَمُ (١٠)

---

(٨) يعب : المراد الشُّرب

(٩) يعجّ : يمتلىء .

(١٠) نوسم : من الوسم وهو العلامة التى تميزنا أننا نقبل الذل والخسف .

صوت الوطنية (١)

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقى على مشروع خزان جبل الأولياء

ضجَّتْ الدُّنيا فماذَا تَرْتَقِبْ

مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ ؟

ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذى

تركَ الدنيا جميعاً تَضطربْ

فَارَ ماءُ النيلِ أو صَارَ إلى

حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ مِنْه تُصَبْ

وأرى مِصرَ تُعانى سَكْرةً

وإذا تصحُو تولتْ تَنْتَحِبْ ؟

مِصر . يا مصرُ . وما يُجْدِى البُكا

غضبةٌ يا مصرُ كالليثِ وَثَبْ

غضبةٌ يا مصرُ . أو . لا . فادْرُجى

فى قيودِ الذلِّ وارضَىْ بالحَرَبْ (٢)

* * *

أفهذِى مِصرُ أم ماذا أرى ؟

أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقلبْ

أم تُرىٰ الأيامُ دارتْ دورةً

فإذا الأُسْدُ شِياهٌ تُحْتَلَبْ ؟

ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطِى ظَهْرها

كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاء رَكِبْ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢

(٢) الحَرَبْ : سلب الأموال وكل ما يُمْلَكْ

المَطَايا حينَ تَخْشَى حَتْفَهَا (٣)

تُعطبُ السَّائِقَ من دونِ العَطَبْ !

* * *

مِصْرُ لَمّـا غَضِبَتْ غَضْبَتَهـا

لَمْ يَرُعْها (٤) الغربُ لما أنْ غَضِبَ

أرسلَتْهـا صَيحـةً داويـةً

كهزيمِ الرعدِ جَيَّاشَ (٥) اللَّجَبْ

أنصتَ الغـربُ لها واستمـعتْ

أُذُنُ العَالِمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ

وأحسَّ الظُّلْـمُ مِنْهـا رِعْـدَةً

تتـمشىٰ فِيـه كالـرُّعْبِ يَدُبْ

لم تَرُعْنا هَجْمَـةٌ مِنْـه علىٰ

رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَـطِبْ

سالتْ الأنـفسُ فيها فارتـوتْ

تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَـدَبْ

وَوَعاهـا الدهـرُ فى آثـارِهِ

جَذْوةً حمراءَ فى رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مِصرُ ذِكْرىٰ فاذكُرِى

ما تولّىٰ وادأبِى خيرَ الدَّأبْ

أرجعِـى الكَـرَّةَ لا هَيَّابَـةً

واغلبِى بالعزمِ أشتـاتَ النُّـوَبْ

---

(٣) حتفها : نهايتها

(٤) يرعها : يفزعها

(٥) جياش اللجب : المراد أصوات الأبطال فى الحرب قوية فتية .

المِهْرَجَان (١)

مَا هُتافٌ ثَمَّ فى كلِّ مكانْ ... ما دُعاءٌ ثَمَّ فى كلِّ لسانْ ؟
ما نَشيدٌ تسْكُبُ (٢)الدنيـا به ... أعذبَ الألحانِ فى سَمْعِ الزمانْ ؟
ما شعورٌ فَاضَ كالوحْيِ هَفَا ... فهفَا الشعرُ على كلِّ جَنَانْ ؟ (٣)
ما ابتهاجٌ وسُرورٌ ورِضَا ... وانطلاقٌ فى التمنِّى والأمـانْ ؟
مِهْرَجانُ العرشِ والشعبِ مَعـاً ... عاشَ فاروقٌ ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَال لى الدهرُ ــ وقَدْ راودتُه (٤) ... عَن خَفَايـاهُ فأفْشَى وأبـانْ :
ليس كاليـومِ جَمـالاً وسَنَـىً ... منذُ ما كان زمـانٌ ومكـانْ
ليس كاليـومِ ابتهاجـاً ومُنـى ... منذُ ما كانَ ابتداعٌ . وافتنانْ
غيـرُ يومين وإنِّـى حَافِـظٌ ... فى سِجلِّى كلَّ ما كان وبانْ
يومُ ميـلادٍ وفى يومٍ ارتقـى ... عرشَه السَّامِـى فأعـلاه وزَانْ (٥)
ثم هذا اليومُ يومُ المِهْرَجـان ... عاشَ فاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ !
أنتَ يا فاروقُ خيرٌ خَالصٌ ... بينما الخيرُ مشوُبٌ فى الزمانْ
من ضمِيرِ الشعبِ مِنْ يقظتِه ... مِنْ مناهُ مِنْ أغانيه الحِسَانْ
صاغكَ اللهُ سنَـاءً وسَنَـى ... صَانَك اللهُ وأعطاكَ الأمانْ !!
صَانَكَ اللهُ . فإنَّـا أُمَّـةٌ ... تَقْدِرُ المُحْسنَ فى غير امتنانْ
كلّ يوم أنت فيه مِهرجـان ... عاش فاروقٌ ، ودام المهرجانْ !!

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٨
(٢) تسكب : تصب
(٣) جنان : قلب
(٤) راودته : خادعته وراوغته
(٥) وزان : من الزينة .

أنت فى مِصر قُوًى كامنةٌ منذ كانت مصرُ شعباً ذا كيانْ
يُسلِمُ الجيلُ إلى تابعهِ هذه القوةَ تَذْكُو(٦) وتُصانْ
والليالى مُرهِصاتٌ (٧) والدُّنى تَرْقُبُ الميلادَ آنا بعدَ آنْ
ثمُ شبَّ الشَّعْبُ فى نهضتِه ناضجَ الفِكْرَةِ مشبوبَ الجَنَانْ
فإذا فاروقُ فى طَلْعَتِه تهتفُ البشرىٰ على كلِّ لِسانْ
ثم كان اليومُ يومُ المِهرجان عاش فاروقٌ ، ودام المِهْرَجانْ !

* * *

أنت صِنْوُ الشعبِ فى تاريخِه كنتَ منه فى الأمانِى يومَ كانْ
قد تَوَافَى(٨) مَولِدُ النهضةِ والـ ـمَولِدُ الضَّاحِى ، فوافى مَولِدانْ
وتوافى عَهْدُ الاستقلالِ والـ ـمرتقىٰ السَّامِى ، فوافت بُشْرَيانْ
حِكْمةٌ هَذا التَّوافِى عَجَبٌ شَاءها اللّه فجاءتْ فى الأوانْ
ثم وَافىٰ اليومُ ، يومُ المهرجان عاشَ فاروقٌ ، ودام المهرجانْ

* * *

يا صديقَ الشعْبِ قُدْ نهضتَه فى سباقِ الكونِ يَظْفَرْ بالرهانْ
وله مِنك شبابٌ طَامِحٌ يبعثُ الجَرأةَ فى قَلبِ الجَبانْ
كلُّ قلبٍ حينَ تدعُو هاتفٌ : إيه لبيكَ ، إلى شَطِّ الأمانْ
إيه لبيكَ ، وفيه نَشْوةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّمْحِ ضَمانْ
إيه لبيكَ ، وقد طَهّره حُبُّك السَّامِى ورواه الحَنانْ
كلُّ قلبٍ خافقٌ بِالمهرجان عاشَ فاروقٌ ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَعْ(٩) النَغْمَةَ فى قِيثَارتِى وحيُك العَذْبُ فجوَّدتُ البيانْ
وجَرىٰ الشِّعْر وفى نَكْهَتِهِ من معانيك شذَى عَرْفَ (١٠) الجِنَانْ
فأنا الشَّادِى وفى رُوحى هوىً عَبْقَرِىٌّ الوَحِى ذَاكِى الافتنانْ
وأنا الشاعرُ آفاقِى سَمَتْ فَسَمَا مِنِّى بيانٌ ومَعَانْ
وأنا الغريدُ يومَ المِهرجان عاشَ فاروقٌ ، ودامَ المِهْرَجَانْ

---

(٦) تذكو : تنمو
(٧) مرهصات : من أرْهَصَ الشىء : أثبته وأسسه
(٨) توافى : أتى
(٩) شعشع : انشر : امْزج
(١٠) عَرْف : رائحة .

وختاماً .. مع الخالدين

أخــــى إنْ نمُــــتْ نَلْــــقَ أحْبَـابنَا

فروْضـــاتُ ربِّـــــى أُعــدّتْ لَنَــا

وأطيارُهــــــا رفــــرفت حَوْلَنــــا

فطوبى لنــــا فى ديــــار الخُلــود

سيد قطب

هُبَلٌ .. هُبَلْ[1]

هُبَلٌ ... هُبَـلْ رَمْـزُ السَّخافَـةِ والدَّجَـل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرتْ[2] على أيدى الأُباةْ
عادَتْ إلينـا اليَـوْمَ في ثَوْبِ الطُّغـــاة
تَتَـنَشَّقُ البَخـورَ تحرقُـهُ أساطيـرُ النِّفـاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأَسْرِ في قَيْدِ الخَنا[3]والارْتِزاق
وَثَـنٌ يقـودُ جُموعَهُـمْ ... يا لَلْخَجَـــل

* * *

هُبَلٌ ... هُبَلْ
رمـــزُ السَّخَافَـــةِ والجَهالــــةِ والدَّجَـــل
لاتَسْأَلَـنْ يا صاحِبـي تلك الجُمـــوع
لِمَـــن التَّعَبُّــدُ والمثوبَـــةُ[4] والخُضـــوع
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفانٍ ... القطيع
معبودُهــا صَنَـمٌ يَراهُ ... العَـمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعـى القطيـعُ غبَـاوَةً ... يا لَلْبَطَـــل

* * *

---

(١) من مجموعة شعرية صدرت في عمان تحت عنوان « لحن الكفاح » ، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع ، وحسنى أدهم جرار فى كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث) صـ ٤١ جـ ٤ ، هُبَلٌ : صنم كان بالكعبة .

(٢) دَثَرَ الشيءُ ويَدْثُر : قدم ، ويقال دَثَرَ المنزل : بَلِىَ وتهدَّم .

(٣) الخنا : الفُحْشُ فى الكلام

(٤) المثوبة : الجزاء

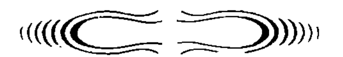
هُبَلٌ ... هُبَلْ

رمزُ الخيانَةِ والجهالَةِ والسَّخافَةِ والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريجِ ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس ... عِنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضِّياءِ وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتِحٌ ... هُوَ عَبْقَرِيٌّ مُلْهَمُ
هو مُرْسَلٌ ... هو عالِمٌ ومُعلِّمُ
ومن الجهالَةِ ماقتَلْ

* * *

هُبَلٌ ... هُبَلْ

رمزُ الخِيانَةِ والعَمالَةِ والدَّجَل
صِيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدّقَها الغبي
واستَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ(٥) وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبِي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمانِ هُمُ القليل
فليَدْخُلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبِروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى رِوايَةْ ... فَلِكُلِّ طاغِيةٍ نِهايَةْ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ ... هُبَلٌ ... هُبَلْ
هُبَلٌ ... هُبَلْ



(٥) الصراح : الخالص الذى لايشوبه شىء .

أخي [1]

أخي أنتَ حُرٌّ وراء السُّدود أخي أنتَ حُرٌّ بتلكَ القُيودْ
إذا كُنْتَ باللهِ مُستعصِماً[2] فماذا يَضيرُكَ كيدُ العبيد

أخي سَتبيدُ[3] جُيوشُ الظَّلام وَيُشرِقُ في الكَوْنِ فجرٌ جديد
فَأَطلِقْ لِرُوحِكَ إشراقَها ترى الفَجْرَ يرمُقُنا[4] من بعيد

* * *

أخي قد أصابَكَ سهمٌ ذليل وغَدْراً رَماك ذِراعٌ كَليل[5]
سَتُبْتَرُ[6] يَوْماً فَصَبْرٌ جميل ولم يَدْمَ[7] بعدُ عرينُ الأُسود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء أَبَتْ أن تُشَلَّ بِقَيْدِ الإِماء[8]
سَتَرْفَعُ قُربانها ... للسَّماء مُخَضَّبَةً بوسامِ الخُلود

* * *

أخي هل تُراكَ سَئِمْتَ الكِفاح وأَلْقَيْتَ عن كاهِلَيْكَ السَلاح

---

(١) الكفاح الإسلامي الأردنية ــ العدد ٢٩ ــ الصادر في ٢٨ / ١٢ / ١٣٧٦هـ الموافق ٢٦ / ٧ / ١٩٥٧ م .

(٢) عَصَمَ إليه : لَجأ ، عَصَمَ الله فلاناً : حفظه من الشر ، اعتصم بالله : امتنع به واستمسك .

(٣) ستبيد : بَادَ يَبيدُ بَيْداً : هَلَكَ

(٤) يرمقنا : ينظر إلينا

(٥) كليل : ضعيف

(٦) ستبتر : بَتَرَه يَبْتُر : قطعه مستأصلا

(٧) يَدْمَى : الجُرح : ينزف دما

(٨) الإماء : مفردها أَمَة وهى المرأة المملوكة (العبدة)

فَمَنْ للضّحايا يواسي ... الجِراح ويرفــعُ رايتها مِن جديـــد

* * *

أخي هل سمعتَ أنينَ التُّراب تَدُكُّ حَصاهُ جيـوشُ الخَـراب
تُمَــزِّق أحشاءه بالحِـــراب وتَصْفَعُهُ وهوَ صلبٌ عنيـد

* * *

أخي إنني اليومَ صَلبُ المِراس(٩) أدُكُّ صُخـورَ الجبـال الـرَواس
غَداً سأشيحُ بفأس الخَـلاصِ رءوس الأفاعي إلى أنْ تبيد

* * *

أخي إنْ ذَرَفْتَ عليَّ الدُّموع وَبَلَّلْتَ قَبرِي بها في خُشوع
فَأَوْقِدْ لَهُمْ من رُفاتي الشُّموع وسيروا بها نحو مَجْدٍ تليـد

* * *

أخي إن نَمُتْ نَلْقَ أحبابَنا فَروضاتُ ربـيّ أُعِدَّت لَنـــا
وأطْيارُهـــا رَفــرَفَتْ حَوْلَنـــا فَطوبى لنا في ديارِ الخُلـود

* * *

أخي إنّني ما سَئِمْتُ الكِفاح ولا أنا ألقَيْتُ عني السِّلاح
وإن طَوَّقَتْنــي جُيـــوشُ الظَّـــلام فَإنِّـــى على ثِقَـةٍ ... بالصّبـــاح

وإنّي على ثِقَـةٍ مِنْ طريقـي إلى اللهِ رَبِّ السَّنا والشروق
فإنْ عافَني السَّوْق أوْ عَقَّني فإني أمينٌ لعهـدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ على إثْرِنـــا وَفَوْجٌ على إثْرِ فوجٍ جَديد

---

(٩) المراس : مَرِسَ فلان يمرَس : كان شديدا فى معالجة الأشياء وذو مراس : ذو جلد وقوة وممارسة للأمور .

فإنْ أنـا مُتُّ فإنّـي شهيـد   وأنْتَ سَتَـمْضِي بنصرٍ جديـد

* * *

قَدِ اختارَنـا الله في دعوتِـه   وإنّـا سنـمضِي على سُنَّتِـه
فَمِنَّـا الذيـن قَضَوْا نَحْبَهُـم   ومنّـا الحفيـظُ على ذِمَّتِـه

* * *

أخي فَامْضِ لا تَلْتَفِتْ للوراء   طريـقُكَ قد خَضَّبَتهُ الدِّمـاء
ولا تَلْتَفِتْ هَهنـا أو هُنـاك   ولا تَتَطَلَّـعْ لغيـرِ السَّمـاء

* * *

فلسنا بطيرٍ مَهيض الجَنَاح   ولـن نُسْتَذَلَّ ولـن نُسْتَبـاح
وإنّـي لأسْمَـعُ صوتَ الدِّمـاء   قَوِيًّا يُنـادي الكِفَـاحَ الكِفَـاح

* * *

سَأثْـأرُ لكـنْ لِرَبٍّ وديـن   وأمْضي على سُنَّتي في يَقين
فإمّا إلى النَّصرِ فَوْقَ الأنَام   وإمَـا إلى الله في الخالِديـنْ



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٩٦ / ٨٨

الترقيم الدولى ٦ ــ ٧٨ ــ ١٤٢١ ــ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ ـ ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN